# فن الدعوة إلى الله
# في ضوء
# السيرة النبوية

في

العهد المكي


اعداد الدكتور

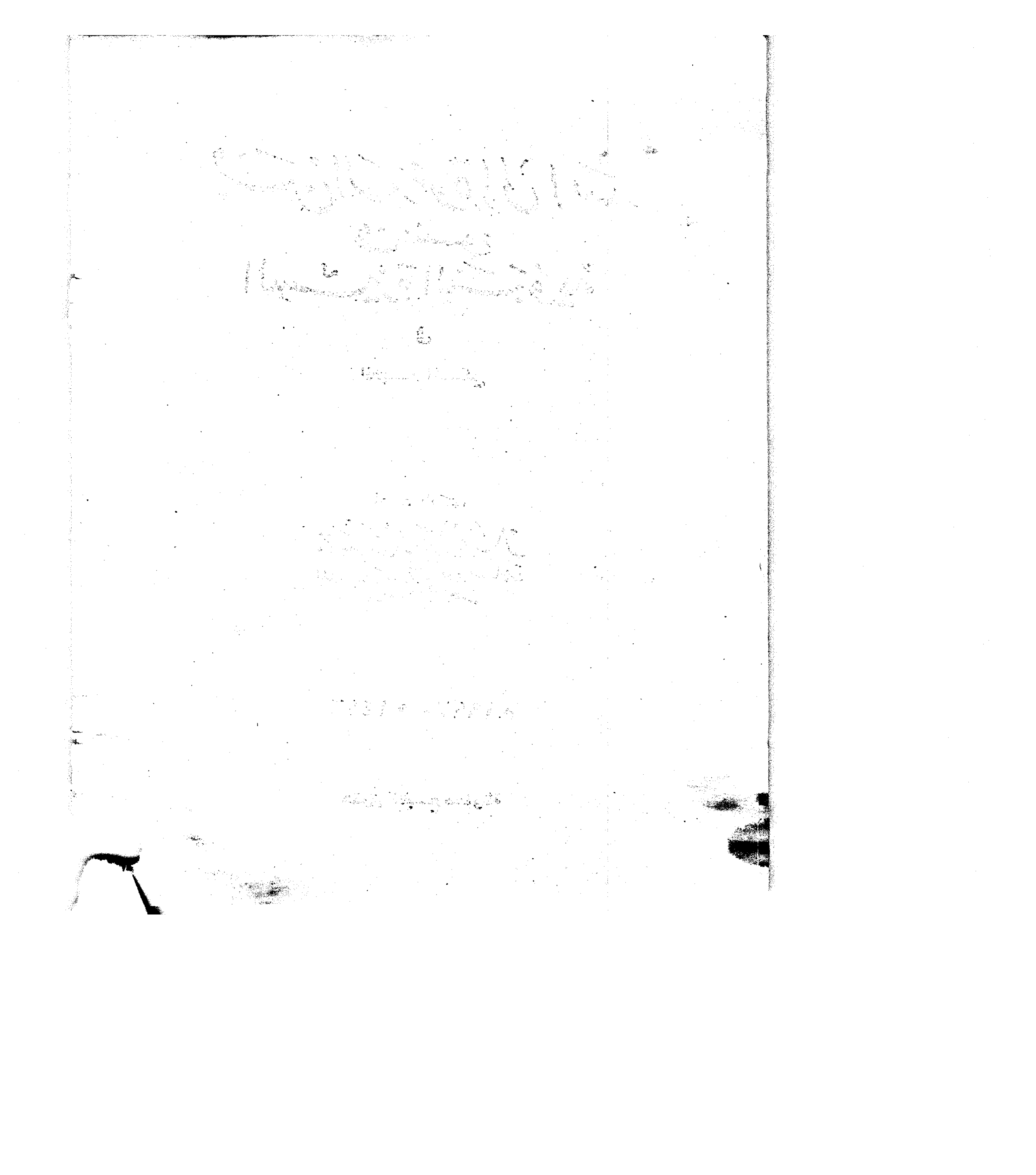
جلال سعد البشار

المدرس بكلية الدعوة بالقاهرة

جامعة الأزهر



١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد جاءكم رســـول من انفسكم عزيز عليـــه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »

[ التوبة ١٢٨ ]

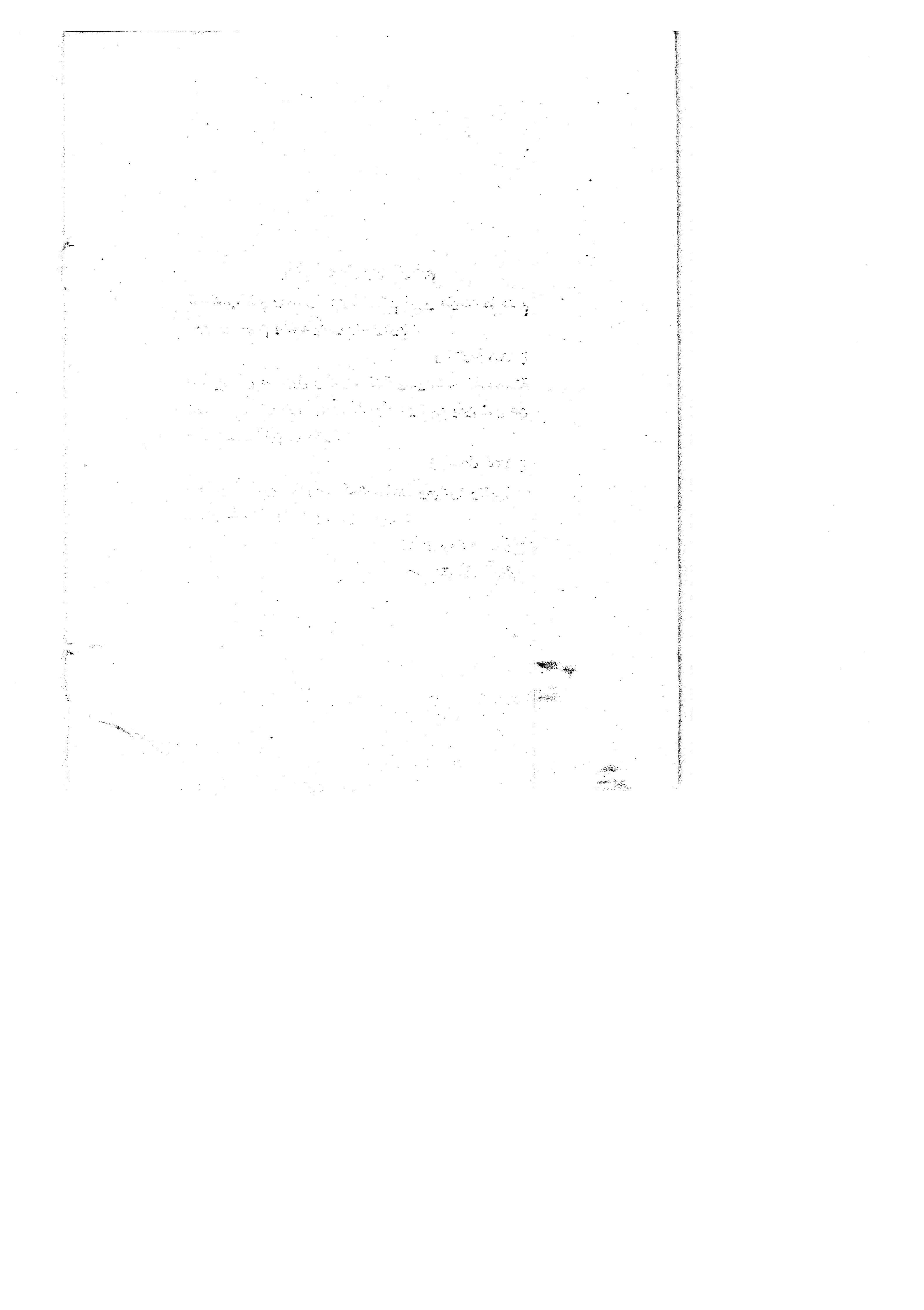
« أدع الى ســـبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحســـنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »

[ النحل ١٢٥ ]

« يا أيها النبى انا أرسلناك شـــاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »

[ الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ ]

صـــدق الله العظيم



## مقـــدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد صـادق الوعد الأمين ـــ المبعوث رحمـة للعالمين ، واماما للمتقين ، وقائدا للغر المحجلين ، أنزل الله عليه الكتاب المبين ليخرج الناس من الظلمات الى النـور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميـد ، فكان صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة وأسوة صالحة يقتدى به كل مسلم ويتأسى فى حياته ومعاملاته وأخلاقه وصفاته .

وقد زود الله رسوله بالهـدى والوحى وعلمه الكتـاب والحكمة « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما »[1] . وقد أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم كل ما تعلم وما أنزل عليه ربه من الكتاب والحكمة جاعلا أمامه أمر ربه « يا أيهـا الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس »[2] .

وقد بين الله ان رسوله الكريم أدى الأمانة كاملة « كما أرسـلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون »[3] ..

وقد رسم لنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى دعوة الناس الى الهدى والنور الطريق الواضح الجلى ، وأعطانا المثل الحى فى الصبر

---

(١) النساء ١١٣ .
(٢) المائدة ٦٧ .
(٣) البقرة ١٥١ .

والحلم والمثابرة ، وقد جسد — بحق — قول الله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[٤] ..

وفى عملية تبليغ الدعوة تعرض النبى صلى الله عليه وسلم للعديد من المواقف المختلفة ، وخاطب أنماطا متنوعة من الشخصيات التى يحكمها ويتحكم فى سلوكها ووجدانها المتناقض الأهواء والميول والاتجاهات التى تربت وتكونت من خلال جذور اجتماعية وعادات وتقاليد قديمة ارتبطت بالأخلاق والعقيدة ، وبعض الطقوس والشعائر الدينية وأساطير الأولين ، وكان على النبى صلى الله عليه وسلم كداع الى الله ومبلغ عنه دينه أن يستوعب كل هذه الشخصيات وأن يخاطب كلا منها بما يفهمه وبالاسلوب الذى يناسبه ليصل به الى طريق الحق والصواب ، ولابد أن يستوعب كل هذه الشخصيات بتراكيبها المعقدة وأن يحللها الى عواملها الأولية لتدرك دعوته وتؤمن به رسولا من الله تعـالى وهاديا الى الحق والى طريق مستقيم . والذين لم يؤمنوا به ولم يذعنوا لدعوته فان ذلك لا يعنى انه لم يستطع الوصول اليهم ، أو لم يسبر غوار نفوسهم ، وانما كفروا به عنادا وتكبرا واستعلاء على متابعته ، أو حقدا عليه اذ كان البعض منهم يطمع فى النبوة كأبى لهب ، فعندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حقد عليه وعانده وكابر فى الحق ، وقد حكى القرآن عن بعضهم قوله : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »[٥] ..

ومنهم من كان يأنف أن يتساوى مع الفقراء الذين سـبقوا الى الاسلام ، حتى طلب البعض منه أن يجعل للفقراء يوما ، وللاغنياء يوما ،

---

(٤) النحل ١٢٥ .

(٥) الزخرف ٣١ .

لكن القرآن حسم القضية بقوله : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيـاة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا • وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(٦) ••

فتحكمت الأهواء فى قبولهم الدعوة أو رفضها ، وقد جابه الهـادى البشير صلوات الله وسلامه عليه كل هؤلاء وأولئك بحكمة وصبر وعقـل وحلم ، وتقدير دقيق لمختلف المواقف فى أشد الأحوال وأحلك الأوقات ••

ومن خلال هذه المواجهات والمناقشات والمحاورات مع قومه يضع لنا الأسس التى يجب أن يسير عليها كل من يدعو الى الله ، والمنهج الذى ينبغى أن ينتهجه كل مبلغ عن الله يريد أن ينجح فى مهمته وأداء رسالته ، وذلك بما يفهمه من شخصية المدعو ، وتحديد الأسلوب المناسب فى مخاطبته ودعوته الى الله تعالى ، بجانب فهمه لما يدعو اليه ، بحيث تكون دعوته على بصيرة •

ولذا فان السيرة النبوية وما كان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم من مواجهة المدعوين فى مكة والمدينة ، وارسال الرسل بالكتب الى الملوك والرؤساء فى العالم والأسس التى وضعها صلى الله عليه وسلم فى تكوين دولة الاسلام الأولى بيثرب ، وأسلوب معاملته المجتمع بتركيبته البشرية المتنوعة من مسلمين ( مهاجرين وأنصارا ) ، ومنافقين يظهرون ويبطنون الكفر ، ويهود يتآمرون ضد الدعوة وقائدها اعتقادا منهم ان السلطة قد ضاعت منهم ، اذ كانوا يطمعون أن تكون النبـوة فيهم • والمشركين فى مكة يدبرون للانقضاض على دولة الاسلام ظنا منهم ان فى ذلك قتـلا للدعوة واستعادة لمجد أصنامهم وآلهتهم ••

---

(٦) الكهف ٢٩ •

وكل هذه الطوائف المتنوعة لم يكف الرسول صلى الله عليه وسلم عن دعوتهم والتعامل معهم نفسيا ووجدانيا وعقليا ، مما يمكننا من القول — بحق — : ان دراسة مواقف السيرة أولا ومع الاسترشاد بالسنة النبوية ومع الاستزادة بهدى القرآن يضع أمامنا أسسا هامة وواضحة يمكن أن يقوم عليها فن الدعوة والتبليغ عن الله عز وجل وهذا هو الهدف من هذه الدراسة .

فان الغرض من ذلك البحث : هو بيان المواقف الدعوية من خلال السيرة النبوية — مع ربطها بأسس التبليغ مع بيان الركائز الفعلية والوجدانية التى بنى الرسول صلى الله عليه وسلم موقفه الدعوى .

وهذه الدراسة فى الفترة المكية من الدعوة من خلال تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع مدعويه ومواقفهم من دعوته وحكمة الرسول صلى الله علية وسلم فى تبليغهم ودعوتهم وأسلوب خطابه فيهم ، وسعة صدره وصبره واصراره على هدايتهم .

وذلك لتكون هذه الدراسة — ان شاء الله — هادية الى ما يجب أن يتبعه كل من يتصدى للدعوة والتبليغ .

**منهج البحث والدراسة :**

١ — اتباع المنهج الموضوعى فى عرض الموقف الدعوى حيث تجمع المواقف المتشابهة التى ينتظمها خط واحد معين وتعرض وتوظف للدعوة .

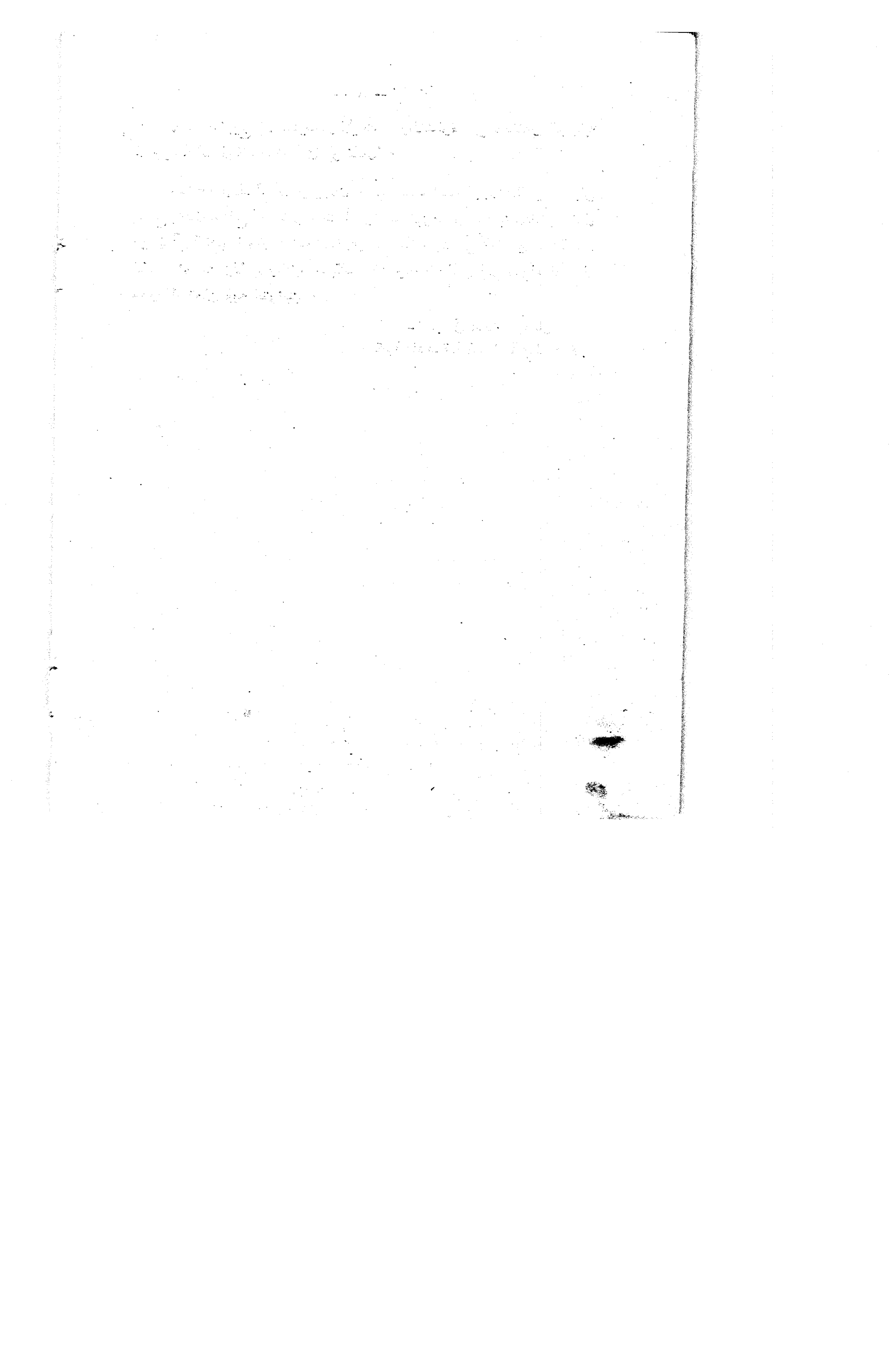
٢ — التعقيب على كل موضوع بما يبرز ما فيه من قواعد أو توجيهات الدعاة .

٣ — مراعاة أن تكون عناوين الموضوعات بما ترمى اليه من قواعد الدعوة .

٤ — تخريج الأحاديث والآيات ، والاشارة الى مصادر الجزئية المدروسة أسفل كل صفحة فى مواضعها ٠

هذا ٠٠ والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم ، وان ينتفع به كل مطالع له ، فان كنت قد وفقت الى ما أرمى اليه فذلك الفضل من العلى القدير ، وان كانت الأخرى فطبيعة العبد هى التقصير كما أسأل الله العفو عن زلاتى وتكفير سيئاتى ٠٠ وهو الهادى الى سواء السبيل وهو المستعان وبه التوفيق ٠

**د٠ جلال سعد البشار**
كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة



## مبحث تمهيدى

## فن الدعــوة الى الله

هذه الدراسة فى الدعوة الى الله فى ضوء أحداث السيرة النبوية — وقبل الخوض فيها يجوز لنا أن نتساءل : ماذا نعنى بفن الدعوة ؟

وسوف نعرض لذلك فيما يلى بايجاز غير مخل :

### ١ — الدعوة فى اللغة :

تطلق الدعوة ويراد بها معنى الاستغاثة ، والرجاء كما تكون بمعنى العبادة ، كقوله تعالى : ( أن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ) .. والدعوى : اسم لما يدعيه الانسان على الغير ، ودعوة الحق كما جاءت فى التفاسير : شهادة أن لا اله الا الله ، كما يستعمل لفظ : الدعاية ويراد به الدعوة كما جاء فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل : « أدعوك بدعاية الاسلام » أى بدعوته وهى شهادة أن لا اله الا الله ، وفى رواية : أدعوك بداعية الاسلام وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة .. ويقــال : تداعى القوم أى دعا بعضهم بعضــا حتى يجتمعوا .. والدعاة قوم الى الهدى أو الضلال واحدهم داع ، وداعى الله هو المؤذن ، والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الله تعالى كذلك — وتداعى البناء والحائط للخراب اذ انكسر وآذن بانهدام ، ومنه قولهم : تداعت الحيطان أى تساقطت كأن بعضها يدعو بعضا للسقوط[١] ..

---

(١) أنظر لســان العرب — ابن منظور جـ ١٤ ص ٢٦٢ — بتصرف ، والمصباح المنير ص ٢٠٨ — ط الحلبى .

وفى المعجم الوسيط : يقال : دعاه الى الشىء حثه عليه ويقال : دعاه الى القتال والى الصلاة والى الدين والى المذهب بمعنى حثه على اعتقاده وساقه اليه ، والداعية هو الذى يدعو الناس الى دين أو فكرة ( والهاء للمبالغة ) — والداعية : التى تدعو الى نفسها وقد عرفت بالبغاء ، والدعاية : الدعوة الى مذهب أو رأى بالكتابة أو بالخطابة ، والدعوة : ما يدعى اليه من طعام أو شراب يقال نحن فى دعوة فلان ، ويقال : كنا فى دعوة فلان الى فى ضيافته »(*) •

وعلى ذلك فان دلالة لفظ الدعوة فى اللغة يدور حول معنى الحث والطلب والاستغاثة •• وكلها يربطها خط واحد فى المعنى وجود داعى ومدعو — فهناك طالب ومطلوب ، وحاث ومحثوث •• وهكذا •

واستعمالات لفظ الدعوة فى القرآن : تدور حول معانى فى هذا الخط أيضا — حيث دار معنى اللفظ كما يلى :

١ — بمعنى طلب ورجا : « هنالك دعا زكريا قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » ( آل عمران ٣٨ ) •

٢ — بمعنى الحث والطلب : « ومن أحسن قولا ممن دعا الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » ( فصلت ٣٣ ) •

٣ — بمعنى الاستمالة : « وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم » ( ابراهيم ٢٢ ) •

٤ — بمعنى العبادة : « واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى الا أكون بدعاء ربى شقيا » ( مريم ٤٨ ) •

---

(*) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٦٨ ط دار احياء التراث العربى — مع تصرف خفيف •

٥ ــ حث الناس على الحق ودعوتهم اليه : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » ( النحل ١٢٥ ) ٠

٦ ــ النسبة الى الله تعالى : « تكاد السموات تنفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا ٠ أن دعوا للرحمن ولدا » ( مريم ٩٠ ، ٩١ ) ٠

٧ ــ يطلق اللفظ ويراد به المدعو اليه أو به : « واذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان » ( البقرة ١٨٦ ) ٠

فمن خلال النماذج السابقة نرى إن الدعوة يراد بها الحث على شىء معين كالحث على فعل الصلاة ، أو حسن الخلق ، أو اتباع الدين ٠٠ مثلا أو تطلق على الشىء المدعو اليه أو به ــ ففعل الصلاة مدعو اليه وحسن الخلق مدعو اليه ، وفى نفس الوقت كل منهما دعوة ٠٠

وعندما يقال كنا فى دعوة فلان فالمقصود بالدعوة اما ما قاله الداعى من طلب الحضور الى بيته أو وليمته ، واما أن الوليمة نفسها فهى مدعو اليها وفى نفس الوقت « دعوة » ٠

وعلى هذا نخلص بحقيقة هامة هى أن للدعوة معنيين :

١ ــ الدعوة بمعنى الدين ( المدعو اليه ) ، أو الدعــوة : بمعنى التبليغ ٠

تعريفات الدعوة بمعنييها :

**( ا ) الدعوة بمعنى الدين :**

الدعوة بمعنى الدين يراد بها ما جاءنا به النبى صلى الله عليه وسلم من عقيدة وشريعة وأخلاق ــ وهذا ما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه جبريل وسأله عن الاسلام ثم عن الايمان ، ثم عن الاحسان واليوم الآخر وعلاماته ــ ثم قال لعمر بعد أن اختفى جبريل يا عمر : أتدرى من السائل ؟ قال عمر : الله ورسوله أعلم ، قال : « هذا جبريل

أتاكم يعلمكم دينكم »[٢] ويراد بالدين العقيدة بكل عناصرها ، والشريعة بأركانها ، والأخلاق التى هى ثمرة لهما .. فالدعوة هنا بمعنى المدعو اليه من أمور الدين .

« ويلاحظ اننا كما نطلق على المحاولات القولية اسم الدعوة نطلق على الدين نفس الاسم والسياق هو الذى يحدد المعنى ، والدعوة بمعنى الدين يراد بها الاسلام نفسه » .

**( ب ) الدعوة بمعنى التبليغ والنشر :**

والدعوة بهذا المعنى يراد بها : حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة أو العاجل والآجل[٣] .

وقد عرفت أيضا : بأنها العلم الذى يعرف به كافة المحاولات الفنية الرامية الى تبليغ الناس الاسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق[٤].

كما عرفها البعض : بأنها تعنى « صرف أنظار الناس وعقولهم الى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم ، وهى أيضـــا ندبه لانقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو مصيبة كانت تحدق بهم » .

وقيل فى تعريفها أيضا : « الدعوة هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » . ويلاحظ ان هذه التعريفات لم تفرق بين الدعوة والحسبة كما فى التعريف الثالث ، لأن الحسبة جزء من الدعوة العامة ــ وعدم تفريقهم بين التبليغ الذى هو المقصود بالدعوة وبين الاسلام من حيث المبادىء

---

(٢) انظر الدعوة الاسلامية ــ د/احمد غلوش ــ ص ١٠ .
(٣) هداية المرشدين ــ على محفوظ ــ ط الحلبى .
(٤) الدعوة الاسلامية ــ د/ احمد غلوش ــ ص ١٠ .

والأحكام التى تبلغ عن طريق الدعوة — كتعريف البعض لها بأنها دعوة الاسلام وهى كلمة الشهادة التى يدعى اليها أهل الملل الكافرة[٥] .

ويفرق بين الدعوة والحسبة بأن الدعوة أعم من الحسبة فالحسبة جزء من الدعوة .

ويفرق بين الدعوة والحسبة بأن الدعوة أعم من الحسبة فالحسبة جزء من الدعوة .

وأنواع الدعوة باعتبار المدعوين والدعاة :

١ — دعوة الأمة الاسلامية ما عداها من الأمم الى المشاركة فيما هم عليه من الهدى .

٢ — دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر .

٣ — دعوة الأفراد بعضهم بعضا ويستوى فى ذلك الخاصة والعامة[٦] .

**الدعوة بين المناهج والوسائل :**

كثيرا ما نسمع لفظ مناهج الدعوة أو وسائل الدعوة أو أساليب الدعوة .. ويختلط الأمر على الكثيرين فى تحديد مفاهيم هذه الاصطلاحات الدعوية .. وفيما يلى ايجاز لتلك المفاهيم :

١ — أصول الدعوة : الأصل هو ما يبنى عليه غيره ، والجذر الذى تفرعت عنه الفروع ويراد بها فى الدعوة الأسس والقواعد التى نشأت منها الدعوة وقامت على أساسها — وهى تنقسم الى :

---

(٥) انظر اسباب نجاح الدعوة الاسلامية فى العهد النبوى — عبد الله ابن محمد آل موسى — ط عالم الكتب — الرياض ص ٢٦ .

(٦) هداية المرشدين — على محفوظ .

( ا ) الى ما فى القرآن الكريم من أدلة الأحكام ، وكذا ما فى السنة من تشريعات التى ينبنى عليها الدين الاسلامى شاملا فى ذلك العقيـدة والشريعة والأخلاق •

( ب ) النماذج الدعوية وخير أساليب الدعوة من الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحسنى — وتعتبر دعوات الرسل كما ذكرها القرآن أصولا لقواعد التبليغ الناجح على أساس الركائز الفطرية المكافئة مثل العقل والقلب والحس •

( هـ ) مصادر الدعوة من أصولها : القرآن والسنة والاجمـاع والقياس •• الخ ما تضمنته كتب أصول الفقه •

هذا وتعتبر سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين من بعده ، وسير الدعاه ومناهجهم قواعد وأصول فى فن التبليغ •

٢ — أركان الدعوة : وهى الداعى — والمدعو — وموضوع الدعوة ، ولنا أن نقول فى الموضوع : المدعو به — أو المدعو اليه •

٣ — مناهج الدعوة : المنهج هو الطريق الذى ينبغى السير عليها فى تبليغ الدعوة لادخال الناس فى الاسلام على نحو ما أراده الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم •

واستعمل المنهج حديثا بمعنى الخطة الموضوعة لأمر ما •

فنعنى بمناهج الدعوة : الخطط الموضوعة لها •

**انواع مناهج الدعوة :**

( ا ) من حيث مصادرها :

١ — ربانيـة •

٢ — بشرية •

فالأولى من عند الله ، والثانية من وضع الدعاة لدعواتهم .

( ب ) من حيث الموضوع :

عقدية وعبادية ، اجتماعية ، أخلاقية ، سياسية ، واقتصادية ، ويقال منهج الاسلام فى كذا أى ما رسمه الاسلام وما وضعه فى الجانب الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى .. مثلا . فهو يعنى الخطة الموضوعة للاصلاح الاقتصادى .. اسلاميا .

( هـ ) ركائزها : عاطفية يخاطب بها القلب والوجدان ، عقلية يخاطب فيها العقل ، وحسية يعتمد فيها على خطاب الحواس ..

وان كانت هذه المناهج مترابطة ، فترى العين أو تسمع الأذن ، فيفكر العقل ، فيطمئن القلب والوجدان .. فالقرآن يلفت الأنظار الى ما فى الكون من مظاهر القدرة ، ثم يسأل العقل عن القادر ، فيعترف القلب به ويقر له بالوحدانية فيذعن للدعوة .

( د ) من حيث طبيعتها : فردية — جماعية ، نظرية وتطبيقية ، خاصة وعامة .

٤ — أسلوب الدعوة : هو الكيفية التى يعرض بها الداعى دعوته وينفذ المنهج الذى يدعو اليه وما يختاره لذلك من عبارات وأساليب وصيغ مع مراعاة القواعد الفنية للاسلوب الذى اختاره .

٥ — وسيلة الدعوة : هى ما يتوصل به الى تطبيق وتنفيذ وصايا الدعوة ومناهجها(٧) .

ويذكر الشيخ على محفوظ(٨) عدة وسائل للدعوة ، منها :

---

(٧) انظر هذا الموضوع — دكتور عبد الخالق ابراهيم .
(٨) هداية المرشدين — على محفوظ — ط الحلبى .

بث الدعاه فى الأمصار ، نشر المرشدين الناصحين ، نشر الرسائل والكتب ، القاء المحاضرات والخطب ، انشاء الصحف والمجلات .. الخ .

فعلى سبيل المثال :

اذا ألقيت موعظة تضمنت قصة تبين ان الصدق ينجى صاحبه بأسلوب شيق يفهمه الحاضرون ..

فاننى بهذا أدعو المنهج الأخلاقى فى بناء شخصية المسلم .

واخترت من هذا خلق الصدق .

وسيلتى فى هذا هو عرض القصة التى أخاطب بها العقل والقلب معا للاقناع بأن الصدق منج .

واسلوبى فى هذا هو العبارات والجمل السهلة والتى اخترتها لايصال معنى القصة الى السامعين ..

وعندما ألفت أنظارهم الى ما حاق بالكذابين قبلهم فان هذا منهج اعتمد على العقل والحس .

وهكذا يمكن تطبيق هذا المثال على كثير من الموضوعات ..

ويعتبر القرآن والسنة من أهم وسائل الدعوة لما تضمناه من عظات وعبر ..

علوم الدعوة : على هذا تتفرع علوم الدعوة الى :

١ — أصول الدعوة : وتعنى به الأدلة والنصوص التى تستنبط منها الأحكام ، والعقدية ، والأخلاقية ، والتشريعية وبيان ركائز عملية التبليغ من بيان المناهج والأساليب والوسائل ..

٢ — مناهج الدعوة : وتعنى به ما يهتم بتوضيح المناهج الدعوية المختلفة من الحس والعقل والوجدان .. فى دعوات الرسل واستنباط القواعد منها .

٣ — فقه الدعوة : ويعنى به ما يستنبط القــواعد التبليغية التى يستفيد بها الداعية فى تبليغ دعوته — من حيث اختيار الاسلوب والوسيلة التى تناسب المدعوين •

٤ — تاريخ الدعوة : ويعنى فى تلك المادة بيان ما فى دعوات الرسل من نشأته فى المواقف مع المدعوين ، وتماثل فى موضــوعات الدعوة — وتقارب فى نتائج جهودهم فى الدعــوة — ويمكن تباين ذلك طوليــا وعرضيا — أى المنهج التحليلى ، والمنهج الموضوعى • ويعنى بالأول أن تدرس الدعوة وصاحبها مع تحليل المواقف والأحداث كل على حدة ، ويعنى بالتالى : اختيار موقف معين كموقف الاتهام بالسحر أو الجنون مثلا .. ونبين ذلك فى دعوات جميع الرسل مع التركيز على بيان الحكمة من هذا التوضيح ليستفيد منه الدعاة •

ويبدأ تاريخ الدعوة من لدن نوح عليه السلام الى العصر الحاضر وهو بهذا قديم ، ووسيط ، وحديث — وكل له مصــادره ويعتبر تاريخ الرسل ، والدعوة الاسلامية مقياسا يقاس به دعوات الدعاه فى التاريخ الوسيط والحديث •

فهذه المامة سريعة نهدف بها أن يكون مطالع كتابنا هذا على دراية بها ليسهل عليه فهم الاشارات الدعوية الموجودة فى عرض موضــوعات الكتاب • والله الموفق •

## بين يـــدى الدراســـة

**تمهيـــــد :**

مما يجب ذكره والاشارة اليه بعد التقديم هو ان الله تعـــالى لما اختار رسوله صلى الله عليه وسلم ليبعثه الى العالمين رحمة وهداية فقد جعل شخصيته مثالية فى كل العناصر المكونة لها ٠٠٠ فقـــد بلغ درجة الكمال البشرى فى التكوين الجسمانى والرقى العقلى والسمو الوجدانى العاطفى وبلغ القمة والتمام فى الأخلاق • وذلك ليكون مثلا أعلى وشخصية بادية لكل مسلم يقيس المسلمون أنفسهم وسلوكهم مع الله ومع الناس عليها ويأخذون القدوة والمثل الذى يحتذونه ويتأسون به ٠٠٠

ولذا فقد حفظ الله نسله وذاته لينقل من الأصـــلاب الطاهرة الى الأرحام الزاكية فانتقلت نطفته من صلب آدم الى أبنائه من جيل الى جيل محفوظة من كل دنس معصومة عن أى شبهة سفاح أو زنا صـــونا لعنصره الظاهر الذكى •

وارتقت عنصرا وصفات ومعادن سلسلة أجـــداده الطاهرة الذكية وحفظها الله من أن تتقطع فنجى اسماعيل وبعده عبد الله من الذبح حتى تظل السلسلة موصولة •

وعاشت أجداده وأولهم اسماعيل بجوار بيت الله المحرم ، والذى شارك اسماعيل أباه فى رفع القـــواعد منه ٠٠٠ وذلك للربط الوجـــدانى والعاطفى بجذور البيت التاريخية ليظل امام المسلمين قبله وليكون مثابة للناس وأمنا ٠٠٠ مما يوصل جذور الدعوة والهداية والنور ٠٠٠ وفيما يلى عرض موجز لهذه الحقائق باعتبارها مقدمات للســـيرة النبوية وتأصيلا لهـــا ٠٠٠

# الفصل الأول

## بين يدى الميلاد

### « خيار من خيار من خيار »

ويشمل :

١ ـ النسب الشريف .
٢ ـ اسماعيل فى مكة .
٣ ـ ابن الذبيحين .
٤ ـ للبيت رب يحميه .
٥ ـ استراتيجية الزمان والمكان .
٦ ـ المولد الشريف .
٧ ـ رسول من أنفسكم .
٨ ـ أهم ملامح الداعى الى الله .

## ١ — نسب النبى صلى الله عليه وسلم

صدق الله العظيم القائل فى محكم كتابه الكريم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ... أى رسول منكم وبلغتكم وقد قرىء من أنفسكم بفتح الفاء أى أعلاكم وأرقاكم من النفاسة ، يقول ابن كثير[1] فى تفسير « من أنفسكم » لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية ، وقال صلى الله عليه وسلم : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » ويسوق رواية ثانية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ولم يمسنى من سفاح الجاهلين شىء » ... ولا عجب فى ذلك فالله تعالى قد عصم رسوله من الزلل وحفظ نطفته الطاهرة من أن تدنس بدنس الجاهلية أو تلحقها أية شائبة من شوائب الزنا أو السفاح مع أن الجماعة البشرية قد مرت بالعديد من المراحل على مدى التاريخ كان فيها فترات جهل ومجون وانحراف ولكن رعايته تتحقق له بأن يصون النطفة الزكية من الدنس والخبث فلم تنتقل من صلب الى رحم الا عن طريق النكاح المشروع لأهل كل زمان ... وليس ذلك عجبا لنبى آخر الزمان وخاتم الرسالات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد صنعه الله على عينيه وبرعايته « والله يعصمك من الناس » ... وقد تحدث صلى الله عليه وسلم عن نسبه الشريف وطهارته ونقائه وسمو معدنه وكريم صفاته وصفات أجداده السامية ... فيروى الامام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى

---

(١) انظر ابن كثير ج ٢ ص ٤٠٣ .

هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » •• وزاد فى بعض الروايات : « فأنا خيار من خيار من خيار » فهو من خير بطون العرب وأفضلهم •

وقد ذكر العلماء أن نسبه الشريف له ثلاثة أجزاء : جزء اتفق عليه المؤرخون ويبدأ من عبد المطلب الى عدنان ، وجزء اختلفوا فيه فمنهم من قال به ومنهم من توقف فيه وهو ما بعد عدنان ، وجزء ثالث يتوقع ان فيه أمورا غير صحيحة ••• وهو ما بعد ابراهيم الى آدم ••• ومع هذا الخلاف الا ان الجميع اتفقوا على ان عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن وان الله قد اختاره من أزكى القبائل وخير بطون العرب ومن أطهر أصلابهم وأنقى أرحامهم •

**ونسبه الزكى النقى هو :**

محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصى ، بن كلاب ، بن مرة بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان •••

وهذا هو القدر المتفق عليه من النسب الشريف وأما ما بعد ذلك فهو محل خلاف بين المؤرخين •••

**وقد ذكر ابن هشام سياق النسب من عدنان الى ابراهيم ، فقال :**

عدنان بن أد ، بن مقوم ، بن ناحور ، بن تيرح ، بن يعرب ، ابن يشجب ، بن نابت ، بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن ••

**ويذكر الطبرى رواية عن الكلبى فى هذا الجزء فيقول :**

معد بن عدنان بن أدد ، بن الهميسع ، بن سلامان ، بن عوض ، ابن بوز ، بن قموال بن أبى ، ابن العوام ، بن ناشد ، بن شزا ، بن

بلداس ، بن بدلاف ، بن طابخ ، بن جاحم ، بن يثربى ، بن يحزن ، بن بلحن بن أرعــوى ، بن عيفى ، بن ديشان ، بن عيصر ، بن ، ابن ايهام ، بن مقصر ، بن ناحث ، ابن زارح ، بن شمى ، بن مزى ، ابن عوص ، بن عرام ، بن قيذر ، ابن اسماعيل ، بن ابراهيم صلوات الله عليهما[٢] •• وقد ذكرت العديد من الروايات فى سياق النسب رتبة • عدنان • الى ابراهيم عليه السلام[٣] ••

وأما سياق النسب من ابراهيم الى آدم فيذكره ابن هشام[٤] وينقل عنه العديد من الكتاب ذلك فيذكر أنه ابراهيم خليل الرحمن بن تارح — وهو آزر ، بن ناجــور ، بن أسرع ، بن أرغــو ، بن فالخ ، بن عابر ، ابن شالح ، بن ارفخشذ ، بن سام ، بن نوح ، بن لمك ، بن مستوشلخ ، ابن اخنوخ ، وهو ادريس النبى — فيما يزعمون — ابن يرد بن مهليل ابن قبض ، بن يانش ، بن شيث ، بن آدم صلى الله عليه وسلم ••

وفى رواية ذكر « مهلائل » بدلا من « مهليل » ولعله هو ، كما ذكر « قاين » بدلا من « قنين » ، و « أنوش » بدلا من « يانش » •• ولعل كل هذا اختلاف فى نقل الاسم وليس فى الشخص نفسه ••

ومع كل هذه الروايات فى النسب الشريف واختلافها واتفاقها فان ما هو معلوم ومقرر ومحفوظ أن هذا النسب من أطهر الأنساب وأنقاها وأذكاها ، فهو صلى الله عليــه وسلم من أنقى معادن العرب وأجودها وأنقاها بناء على قراءة : « لقد جاءكم رســول من أنفسكم » بفتح الفاء

---

(٢) تاريخ الطبــرى ج ٢ ص ٢٧٢ ، وانظر الرحيق المختوم — صفى الرحمن كفورى ص ٥٥ ط دار الكتاب الاسلامى .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٢٢ وما بعدها .

(٤) انظر سيرة ابن هشام ج ١ .

من النفاسة والنقاء ومنه النفيس ، فيقال : أنفس الشيء : صار نفيسا معجبا ، وشيء نفيس عظيم القيمة يرغب فيه .. ونفس الشيء بضم الفاء أي صار مرغوبا فيه[٥] فمادة الكلمة يدور معناها حول نقاء المعدن والأفضلية والخيرية فمن أنفسكم أي من أفضلكم ومن أخيركم .. فنسبه خير الأنساب وأطهرها ..

وقد عرف عن أجداده صلى الله عليه وسلم عظيم الصفات وكريم الأخلاق ونقاء الفطرة فاتصفوا بالكرم والجود والشجاعة ونجدة المظلوم ومساعدة المحتاج .. ولذا فقد كانت مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وسلامة طبعه ونقاء جوهره وصفاء معدنه متأصلة في تكوينه وشخصيته ورثها عن أجداده وأخذ عنهم طباعهم وما جبلوا عليه من مكارم الأخلاق ويذكر علماء النفس أن الأخلاق تورث وتنتقل من الآباء الى الأبناء .. فبالوراثة تنتقل الميول الفطرية الخاصة الى الذرية كالميل الى الهوايات .. كما أن لها في نسبة الذكاء والحالة العقلية وأبناء المعتوهين معتوهون ، وأبناء الأذكياء أذكياء .. كما تؤثر الوراثة في الشخصية بصفة عامة من حيث التركيب الجسماني والعقلي والوجداني[٦] .. وقد أكدت السنة النبوية هذه الحقيقة فعندما قذف هلال بن أمية زوجته في شريك بن سحماء وهي حامل قال عليه السلام : « أبصروها فان جاءت به أبيض سبطا قضيء العينين فهو لهلال بن أمية ، وأن جاءت به أكحل جعد حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به على الشبه الذي

---

(٥) انظر مختار الصحاح باب السين فصل النون ، والمعجم الوسيط ج ٢ ص ٩٤٠ .

(٦) انظر علم النفس التربوي ج ٦ ص ٦ ومابعدها — الابراش — حامد عبد القادر وعلم النفس الاجتماعي د/حامد زهران ٢١٦ .

رميت به »[٧] وهذا اعتبار واضـــح يؤيد القول بتوارث الصفات ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى قول نوح عليه السلام لربه : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادتك ولا يلدوا الا فاجرا كفـــارا »[٨] •• فذكر أن صفات الآباء من الكفر والفجـــور سيتوارثها الأبنــاء عن آبائهم ، وما ذكر نوح ذلك الا لأنه عاشر القوم ما يقرب من ألف عام فعاينه بالتجربة والمشاهدة كما أشار اليه المفسرون •• ومن هذا نعلم أن الوراثة تنقل الصفات الجسمية والعقلية بل ويعتقد علماء النفس أن الذكاء والطبع يخضعان لقوانين الوراثة ولذلك كان من عناية الله برسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن وضعه فى نهاية سلسلة فاضلة من الناس أتته من قبل والديه[٩] •• واجتمع له الحسن بكل أنواعه الخلقى والخلقى •• وانتقل اليه عبر الأجيال عن طريق الأصلاب الطاهرة الى الأرحام الزاكية ••

وقد التقى نسبه الشريف من جهة أبيه مع نسبه من جهة أمه فى كلاب ابن مرة ، فهى آمنة بنت وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة ، بن كلاب ، ابن مرة ، وكل أجداده من الجهتين اجتمعت فيهم صفـــات الكرم والوفاء والنجدة ، فعبـــد المطلب هو شيخ مكة يوم قدوم أبرهة وحفر بئر زمزم وعبـــد الله هو الذبيح الذى استبدل بذبحه بالفـــداء ، وهو الذى دعته فاطمة الخثعميـــة الى نفسها فأبى ، وعبد مناف وهاشـــم قاما بالرفادة والسقاية •• وهكذا وهاشـــم هو الذى هشم الثريد لأهل مكة •• ومعد مأخوذ معناه من القوة ، وابراهيم معناه أب راحم ، وعبد مناف كان

---

(٧) رواه مسلم كتاب اللعان .

(٨) نوح ٢٦ ، ٢٧ .

(٩) انظر د/احمـــد غلوش الدعوة الاسلاميـــة اصولها ووسائلهـــا ص ١١٤ .

يقال له القمر من جماله وحسنه ، واسماعيل مطيع الله ، وأرفخشذ معناه المصباح المضيء[١٠] .. وهذه فقط بعض نماذج دلالات الأسماء ومعانيها التى لأصحابها نصيب كبير منها ويقول ابن كثير : « جميع قبائل العرب مجتمعون مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عدنان ولهذا قال الله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » قال ابن عباس : « لم يكن بطن من قريش الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ، وكذلك بنو اسرائيل أبناؤهم وغيرهم يجتمعون معه فى ابراهيم الخليل عليه السلام الذى جعل فى ذريته النبوة والكتاب »[١١] .. وبعد فهذا هو نسب الرسول صلى الله عليه وسلم أصيل عريق اجتمعت فيـــه كريم الخلال ، وعظيم الصفات ، وطهارة العرق ونقـــاء الجوهر ، والسخاء والكرم والوفاء .. فكان أهلا لحمل الرسالة وأداء الأمانة وبناء صرح الأخلاق والفضيلة وليبلغ دين الله وشريعته الغراء .

وتلك الصفات من الخلق والخلق يجب أن يتحلى بها كل من يتصدى للدعوة الى الله فدين الله أمانة يجب أن يتصف حاملها بالصبر ورجاحة العقل والسخاء والكرم والصلة القوية بربه وخالقه .. « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » . وهنا يكون الدعاة مثلهم الأعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١٠) انظر ســـيرة ابن هشام ج ١ بتحقيق طه عبـــد الرءوف ، تاريخ الطبرى ج ٢ .

(١١) ابن كثير فى فصول فى سيرة الرســـول — ط دار الكتب العلميـــة ص ٨ .

## ٢ — اسماعيل عليه السلام فى مكة

سبق وبينا ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام هو الجد الأكبر للنبى صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم وقتئـذ بشر باسماعيل ببـلاد الشام حيث قالت له ســارة ان الرب قـد حرمنى من الولد فأدخل على أمتى لعل الله يرزقنى منها ولدا .. فوهبت له هاجر ودخل بها ورزق منها باسماعيل وكان عمر ابراهيم ستا وثمانين سنة وقبل مولد اسحاق من سارة بثلاث عشرة سنة[١٢] .. وقد ظل سيدنا ابراهيم يدعو الله عز وجل أن يرزقه بالولد الصالح ، يقول الله تعالى : « وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين • رب هب لى من الصالحين • فبشرناه بغلام حليم »[١٣] .. وبعد أن تنتهى قصة البشارة بالغلام الحليم اسماعيل يقول الله تعالى : « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين »[١٤] .

وتذكر مراجع التاريخ ان سارة شعرت بالغيرة من هاجر فلم تطق رؤيتها هى وابنها فطلبت من ابراهيم ابعادهما الى مكان ناء وبعيد ، فحملها الى الحجاز وأسكنهما بواد غير زرع عند بيت الله الحرام وكان اسماعيل رضيعا عندما تركه ابراهيم مع هاجر داعيا : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهدى اليه وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »[١٥] .. وتفجرت بئر زمزم تفور بالماء ويقول ابن كثير : « قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم —

---

(١٢) انظر تاريخ الأنبياء لابن كثير .
(١٣) سورة الصافات ٩٩ — ١٠١ .
(١٤) الصافات ١١٢ .
(١٥) ابراهيم ٣٧ .

أو قال : لو لم تغرف من الماء — لكانت زمزم عينا معينا » قال : فشربت وأرضعت ولدها •• وعرفت القبائل بوجود الماء فى ذلك المكان فوفدت لتتفق مع هاجر على أن يكونوا معها يؤانسونها والماء ماؤها فكانوا معها وشب اسماعيل وماتت هاجر وتزوج اسماعيل منهم وقد تعلم العربية منهم هو وأولاده •• هذا وقد كان سيدنا ابراهيم يذهب الى مكة من وقت الآخر ليطلع على تركته وخاصة بعدما تزوج اسماعيل فيذكر المؤرخون عدة زيارات قام بها ابراهيم لمكة ••

١ — جاء ابراهيم الى بيت ابنه اسماعيل فلم يجده ووجد امرأته التى تزوجها من قبيلة جرهم فسألها عن زوجها فقالت خرج للصيد ثم سألها عن عيشهم فقالت بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه ضيق العيش ، فقال لها : اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة بابه ، فلما جاء اسماعيل وجد ريح أبيه وآنس شيئا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ فقالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا ووصفته بأوصاف فيها استخفاف بشأنه فعرف انه أبوه ، وقال لها : ماذا قال لك ؟ قالت : قال : أقرئى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه •• قال ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك فالحقى بأهلك وطلقها وتزوج بجرهمية أخرى •

وبعد فترة عاد ابراهيم للزيارة والاطمئنان وذهب الى بيت ابنه فلم يجده فسأل عنه زوجته فقالت : خرج يبتغى لنا ، وسألها عن عيشهم فأثنت على الله ، وقالت نحن بخير فقال ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : ما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء •• قال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه ، فلما جاء اسماعيل سألها هل أتاكم من أحد ؟ قالت نعم : أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته وسألنى كيف عيشنا فأخبرته انا بخير •

قال فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك[١٦] .

ونلمس ان المرأة التي طلقها اسماعيل كانت سـيئة المقابلة بخيلة لا تعترف بفضل الله عليها ، لكن الله لم يرد أن تكون احدى جدات النبى صلى الله عليه وسلم ، أما الزوجة الثانية فقد اتسمت بالأدب مع الله ، والكرم ، وهذه كانت من جدات النبى صلى الله عليه وسلم — وهذه رعاية من الله لرسوله لينقل اليه كريم الطباع ورفيع الخلال حيث يتوارث طباعه الكريم وأخلاقه الفاضلة وسلسلة أجداده وجداته .

٢ — كما جاء ابراهيم بعد أن لبث وقتا الى اسماعيل وكان يبرى نبلا له وقد قال له ان الله أمرنى بأمر ، قال اسماعيل له اصنع ما أمرك ربك قال وتعيننى عليه قال وأعينك ، قال ان الله أمرنى أن أبنى هاهنا بيتا وهنا رفعا القواعد من البيت وكان اسماعيل يأتى لأبيه بالحجارة وابراهيم يبنى وظل البناء يرتفع .. وجاء اسماعيل بالحجر فوضعه له .. وأذن ابراهيم فى الناس بالحج ويتحدث عن ذلك القرآن الكريم : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتـاب والحـكمة ويزكيهم انك أنت العـزيز الحكيم »[١٧] .. ولذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثته انما هو دعوة ابراهيم عليه السلام فقد روى الامام أحمد بسنده عن العرباض

---

(١٦) انظر تاريخ الأنبياء — ابن كثير ص ١٥٦ ، ودراسات فى السيرة النبوية الطيب النجار ص ١٦ .

(١٧) البقرة آيات ١٣٧ — ١٣٩ .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبى ابراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤياى أمى التى رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » .. وفى رواية : ورأت أمى انه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام .. وقد أفصح عن اسمه خاتم أنبياء بنى اسرائيل سيدنا عيسى فقال فى بشارته « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ..

٣ — ومن زيارات ابراهيم عليه السلام لابنه اسماعيل تلك الزيارة التى ذهب فيها لتنفيذ وحى الله له عندما رأى فى المنام أن يذبحه وعندما فاتحه فى ذلك قائلا : « انى أرى فى المنام انى أذبحك » فانظر ماذا ترى ؟ يرد عليه اسماعيل : يا أبت افعل ما تؤمر .. وسوف يأتى تفصيل تلك القصة فى المبحث التالى ان شاء الله ..

وبهذا يكون الجد الأكبر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو اسماعيل عليه السلام قد انتقل الى مكة حيث استعداده لامضاء ما أراده الله من أن تكون مهدا للدعوة الخاتمة .

## ٣ — ابن الذبيحين

ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن نفســه : « أنا ابن الذبيحين » كما روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الذبيحين .. فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فياترى من هما الذبيحان ؟ .

**أما الذبيح الأول :**

فهو سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم عليهما الســلام وقد ذكر القرآن قصة هذا الذبح عندما أمر الله ابراهيم بأن يذبح ولده اسماعيل عندما رأى فى المنام ورؤيا الأنبياء حق ووحى فذهب الى ولده اسماعيل ليسأله : انى أرى فى المنــام انى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ فيرد عليه اسماعيل : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين .. فيسلما أمرهما لله ويذبح ابراهيم ولده فلا تقطع السكين الى أن يجتاز الاختبار حيث يسلب الله خاصية القطع من السكين ويفتدى الله اسماعيل بذبح عظيم قيل انه الكبش الذى قربه ابن آدم قربانا والمشار اليه فى قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر .. الآيات » فى قصة قابيل وهابيل ، كما قيل انه — أى الكبش — رعى فى الجنة خريفا .

**سيكلوجية الأمر ودلالاته :**

وكان ابراهيم عليه السلام قد طعن فى السن حيث بلغ ستا وثمانين سنة وكان قد تاق الى الولد داعيا الله « رب هب من الصالحين » وعلى شوق ولهفة وأمل وترقب بشره الله باسماعيل « وبشرناه بغلام حليم »

وانصرفت عاطفة الابوة بكل ما فيها من حب نحو اسماعيل الذى ولد بعد انتظار وترقب ٠٠ فكان لأبيه به ولع خاص ومحبة غامرة ٠٠ واسماعيل لم يكن طفلا صغيرا — كما يتوهم ولكنه كان قد بلغ السعى مع أبيه أى شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل ٠٠

وعندما يعرض ابراهيم عليه السلام الأمر على ولده : انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ واعجبا ٠٠ يسأله عن رأيه فى حياته أيعيش أم لا ؟ ويطلب رأيه فى ذلك ؟ ! لكن الولد البار الطائع لربه يرد عليه رد الواثق بأمر ربه : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » ويمتثلان أمر الله ويسلمان وينقـــادان لله ويلقيه على الجبين لينفذ فيه أمر الله ، وابراهيم عندما هـــوى بالسكين على عنق اسماعيل لم يخطر فى باله ان السكين لن تقطع ولذا فمن الناحية النفسية كان قد انقاد انقيادا كاملا لله عز وجل ٠٠ وكذلك اسماعيل عليه السلام ٠٠

ويلاحظ ان كلا من ابراهيم واسماعيل قد ابتليا فى شيئين عظيمين ابتلى ابراهيم فى عاطفة الابوة ، واسماعيل فى غريزة حب الحياة وهذا له دلالة قيمة وعظيمة هى ان حب الله تعالى فى قلبيهما قد تغلب على كل حب وعاطفة ، ان محبة طاعة الله تعالى قد طغت على كل العواطف ٠٠ وهذا قد امتد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغمر بحبه ورحمته كل العالمين وجعل محبة الله تعالى سبيلا للاحساس بحلاوة الايمـــان : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ٠٠ أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ٠٠ الحديث » ٠

ويرى البعض ان الذبيح ليس اسماعيل وانما هو اسحق عليه السلام وهذا مردود عليه ، اذ ان الأدلة تقوم على ان الذبيح هـــو اسماعيل ، ومنهـــا[18] :

(١٨) انظر تاريخ الأنبياء — ابن كثير ٠

١ — روى عن عثمان بن طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « انى كنت رأيت قرنى الكبش حيث دخلت البيت — يريد الكعبة — فنسيت أن آمرك أن تخمرهما — أى تسترها فخمرهما فأنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى » وقال سفيان : لم يزل قرنا الكبش معلقين فى البيت حتى احترق واحترقا .. وهذا دليل على أن الذبيح هو اسماعيل لانه كان المقيم بمكة وليس اسحق .

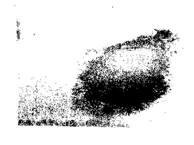
٢ — ومما استدل به ابن كعب القرظى على انه اسماعيل قول الله تعالى : « فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » ووجه الاستدلال اذ كيف تقع البشارة باسحق وانه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير قبل أن يولد له ، فالبشارة والذبح لا يجتمعان ، لأنه لا معنى للابتلاء هنا حيث انه علم بالبشارة ان اسحق يولد ويعيش حتى ينجب يعقوب .

٣ — سأل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يهوديا أسلم وحسن اسلامه : أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : اسماعيل والله يا أمير المؤمنين وان اليهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لأن اسحق أبوهم ..

٤ — ذكر القرآن قصة ذبح اسماعيل « فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين .. » الآيات الى قوله : « انه من عبادنا المؤمنين »[١٩] .

---

(١٩) الصافات الآيات من ٩٩ — ١١١ .



قال فى نهاية القصة : « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين »[٢٠] فالمبشر به أولا هو اسماعيل ثم قصة الذبح ثم المبشر به ثانيا هو اسحق بعد أحداث الذبح •

**وأما الذبيح الثانى :**

فهو عبد الله بن عبد المطلب أبو النبى : وكان عبد المطلب قد نذر عندما أراد حفر زمزم ان سهل الله أمرها عليه ليذبحن أحد أولاده فخرج السهم على عبد الله • وقيل كان قد لقى من قريش ما لقى فى حفر زمزم فنذر لئن ولد له عشرة نفر حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة •• فضربت القداح فخرجت على عبد الله فهم أن يذبحه ، فقام أهل مكة فى وجهه معترضين محاولين منعه وذلك لما عرف عن عبد الله من كريم الخلق •• وذهبوا الى عرافة يهودية اهتدت الى حل ارتضاه الأطراف عبد المطلب وأهل مكة ، هو أن يضربوا القداح على عبد الله وعشرة من الابل •• فان خرجت القداح على الابل نحروها والا زادوها وفعلا خرجت على عبد الله، فزادوا على الابل عشرا وأعادوا ضرب القداح •• فخرجت على عبد الله فزادوا على الابل عشرا وخرجت على عبد الله فظلوا يزيدون فى الابل حتى وصلت الى مائة فخرجت على الإبل فقالوا : رضيت الآلهة بالابل •• وذبح هذا الفداء ونحرت الإبل ، ونجا عبد الله •

**سيكولوجية الأمر :**

عندما نذر عبد المطلب أن يذبح أحـــد أبنائه لله ان بلغوا عشرا ، ووفاؤه بهذا النذر فيه دلالة على أن الاله المنعم يستحق الشكر من عباده ــ بغض النظر عن أسلوب الشكر ــ كما أن فيه دلالة على الوفاء بالعهد ،

---

(٢٠) آية ١١٢ الصافات •

كما ان فى رفض العرب وعبد المطلب لفكرة الذبح دلالة على ضعف الجانب الاشراكى وعدم الرضا النقى عن أوامر الآلهة بدليل زيادة الابل حتى لا تخرج على عبد الله •

**بين فداء وفداء :**

افتدى اسماعيل ، وافتدى عبد الله وبينهما بون كبير فالأول قد تم فى ثوب من طاعة الله عز وجل وسياق الخضوع لأمره تعالى وتقـديم عاطفة حب الله على كل العواطف ، والثانى قد تم فى سياق الشرك والمعصية وفى جو من الوثنية المتشبثة بالأباطيل والخرافات •

ولكنهما معا تحقيق لحفظ الله تعالى نسل نبيه صلى الله عليه وسلم والا لو ذبح اسماعيل ولم يفد بذبح عظيم ، وذبح عبد الله قربانا للآلهة — فكيف كانت نطفة النبى صلى الله عليه وسلم ستنتقل الى رحم أمه ؟ فكان لابد من ذلك الحفظ ليصل النور الى محله وتخرج البشرية من الظلمات الى النور بما من الله به عليهم من الوحى والهدى •• على لسان رسوله الكريم ••

## للبيت رب يحميه

ان بيت الله تعالى هو محج الناس وقد وضع للناس ببكة كأول بيت ليكون ملجأ ومثابة لهم تجتمع حوله قلوبهم وتسكن اليه نفوسهم وهو ملتقى عباد الله وقبلتهم يتوجهون اليه فى صلاتهم ويولون وجوههم شطره .. وقد تحدث القرآن عن البيت فى غير موضع منه فمن ذلك قول الله تعالى : ( واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .. )[٢١] أى لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون ويثوبون اليه ويأمنون فيه كما قال تعالى : ( « ان أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »[٢٢] .. وضع للناس أى لعبادتهم ونسكهم ، كما جعل حجه واجبا على كل قادر مستطيع من المسلمين فقال تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »[٢٣] .. وحج البيت هو قصده للنسك والعبادة كما جعل الله الكعبة مكانا لقيام الناس وعبادتهم فقال تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس .. »[٢٤] .

فهذه حقائق حول البيت الحرام من كونه أمانا للناس ومحجا لهم وقبلتهم ومتوجههم فى عبادتهم ، وصلاتهم ، وهذه الحقائق ثابتة الى يوم القيامة ، وفريضة الحج قائمة الى يوم البعث ولن تنسخ لان شريعة الله باقية وخالدة .. ولذا فانه معلم من معالم الاسلام .

---

(٢١) البقرة ١٢٥ .
(٢٢) آل عمران ٩٦ .
(٢٣) آل عمران ٩٧ .
(٢٤) المائدة ٩٧ .

والبيت الحرام هو الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس رفع قواعده ابراهيم واسماعيل « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم »[٢٥] • ويقال ان ابراهيم واسماعيل أول من بناه والصواب أن الذى بناه الملائكة لان الله قال : ان أول بيت وضع للناس — فهو لكل الناس وهم من آدم الى يوم القيامة جميع الأبناء والذرية ، كما ينص القرآن فى سرد قصة ابراهيم عند حمل ابنه اسماعيل مع زوجته هاجر على انه تركهما عند البيت الحرام قال تعالى : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »[٢٦] فهو قد اطمأن عليهما لانهما عند بيت الله الحرام فيفهم من هذا ان البيت كان موجودا وقائما عندما كان اسماعيل طفــلا تحمله أمه — وعندما كبر وصار شابا رفع قواعده مع أبيه كما ذكر •

ولما كان للبيت هذه الحيثية وهى أن يأمن كل لاجىء اليه ويكرم كل محتم فيه فلابد أن يكون محفوظا مصونا الى يوم القيامة وهذا ما كان وما تم عندما جاء أبرهة ليهدمه ويقضى عليه ••

وقد جاء أبرهة الأشرم أبو يكسوم الى مكة يريد هدم الكعبة وساق اليها الفيل لهذا الغرض — وكانت الفيلة وقتئذ تشبه سلاح الدبابات فى الحرب الحديثة كما كان جيش أبرهة عند ذلك يمثــل أعلى مستوى فى الحرب والاعداد فى ذلك الوقت •• ولكن لماذا قدم أبرهة فى جيشه لهدم البيت ؟ •

كان الأحباش يدينون بالمسيحية وعندما استولوا على اليمن أرادوا

---

(٢٥) البقرة ١٢٧ •

(٢٦) ابراهيم ٣٧ •

أن ينشروا دينهم فى البلاد خاصة بعد أن رأوا العرب يتوجهون الى مكة قاصدين الكعبة خاشعين خاضعين حاملين الهدايا والهبات الى سكانها ، فقام أبرهة ببناء كنيسة سماها ( القليس ) لتكون بديلا عن الكعبة بمكة وليصرف العرب عن الكعبة الى ( القليس ) وقد أسسها بعناية ونقل اليها الأعمدة من قصر بلقيس وأقام فيها صلبانا من الذهب والفضة وأقام منابر من العاج والابنوس ودعا الناس الى الحج اليها حيث خيل اليه ان ذلك قد يكون داعيا للحجيج للتوجه اليها بدل الكعبة ، وقد بعث الى النجاشى يقول : ( أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب .. )[٢٧] .

وعلم رجل من بنى مالك بن كنانة فثار وغضب وتوجه الى القليس وأحدث فيها اهانة ولطخ جدرانها بالقاذورات ثم عاد الى بلاده ، فلما بلغ ذلك أبرهة سأل عن الفاعل فعلم انه من العرب الذين يقدسون البيت الذى تحج العرب اليه بمكة .. ولذا جهز أبرهة جيشه من الأفيال والفرسان لهدم البيت الحرام ..

**مقاومة القبائل لأبرهة :**

وعندما أعد أبرهة الجيش وتحرك تجاه الكعبة خرج اليه أشراف اليمن بقيادة رجل اسمه ( ذونفر ) دعا الى جهاده — ووجه دعوته الى القبائل فمنهم من أجابه ومنهم من خذله .. وخرج لأبرهة مع من أيده من القبائل ولكنه تعرض للهزيمة من جيش أبرهة ، وأسر .

---

(٢٧) انظر : سيرة ابن هشام ج ص ٣٨ والأصنام للكلبى ص ٤٧ والروض الأنف ج ١ — دراسات فى السيرة النبوية د/ الطيب النجار .

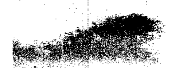
ثم مضى أبرهة فى طريقه حتى وصل الى أرض خثعم[٢٨] فخرجت اليه قبيلة ( خثعم ) مع من أيدها من القبائل بقيادة ( نفيل الخثعمى ) ولما أراد أبرهة قتل نفيل قال له لا تقتلنى فأنا دليلك بأرض العرب ، ودله حتى أتى الطائف • وخرجت له قبيلة ثقيف ، معلنة طاعتها وتعاونها معه قالوا : « أيها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس لنا عندكم خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد — يقصدون اللات — انما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم »[٢٩] •• ويظهر من هذا القول المنقول عنهم انهم كانوا يعظمون بيتا لهم بالطائف هو اللات — كما تعظم الكعبة بمكة كما يتضح انه كان لأبرهة دليلان من العرب من خثعم وثقيف وسار أبرهة آخذا بكل أسباب القوة فى طريقه الى بيت الله الحرام حتى صار على مشارف الكعبة فاستقر بمكان قريب من مكة يقال له ( المغمس ) وأرسل رسولا منه اسمه ( حناطة الحميرى ) بعد أن سأل عن سيد هذه البلاد وعلم انه عبد المطلب — أرسله اليه ليقول له : ان الملك لم يأت لحربكم وانما جاء لهدم البيت فان لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة له فى دمائكم ••

ورد عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا طاقة بذلك هذا بيت الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه •• اذن فوض عبد المطلب الأمر لله عز وجل لعلمه من تتبع تاريخ البيت ان الله تعالى حافظه ومانعه •• وذهب مع حناطة الى أبرهة الذى أجله ووقره حيث كان عبد المطلب وسيما جميلا مهابا وقورا •• فقال أبرهة لترجمانه سله عن حاجته فقال : حاجتى أن يرد على المائتى بعير التى

---

(٢٨) خثعم اسم جبل سمى به بنو غفرس بن خلف — حيث نزلوا عنده وتخثعموا بالدم أى يلطخوا به ( هامش سيرة ابن هشام ) .

(٢٩) سيرة ابن هشام ج ١ .



أصابها الى ، ولكن أبرهة يقول له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك عندما كلمتنى ، تكلمنى فى مائتى بعير أصبتها منك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك وقد جئت لهدمه ؟ اذن كان أبرهة يتوقع أن يتوسل اليه عبد المطلب ويرجوه ألا يهدم البيت لكنه فوجىء به يكلمه فى موضوع آخر بعيد عن البيت — ولذا لم يستطع أبرهة أن يخفى دهشته — ولكن عبد المطلب يرد عليه رد الواثق فى ربه وقدرة صاحب البيت على حمايته وحفظه ورد الكائدين له عنه فقال : أنا رب الابل وللبيت رب يحميه — ( والرب هنا بمعنى الصاحب ) — وفى هذه العبارة دلالات على أن عبد المطلب كان على علم تام بقدرة الله تعالى وقوته وانتقامه من الظالم وهذه مقومات أخلاقية تجعل صاحبها كريم الخلال سمح المعاملة كما أن فيها اشعارا لأبرهة بأنه وان رأى عبد المطلب والعرب ضعفاء عن مقاومته الا انه قد يتعرض لقوة عظمى لا يقوى على مواجهتها ، انها قدرة الخالق صاحب البيت الذى يتولى الدفاع عنه .

ومع هذا الانذار أصر أبرهة على مواصلة الهدف وهدم البيت فتحرك نحو البيت .. وذهب عبد المطلب الى قريش وأخبرهم بالخبر وأمرهم بالتجمع فى شعاب الجبال وقام الى الكعبة وأخذ بحلقة بابها وقام مع عبد المطلب نفر من قريش يستنصرون الى الله على أبرهة فكان يقول :

لا هم ان العبد يمـ
ـنع رحله فامنع حلالك

وانصر على الصليـ
ـب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم
ومحالهم أبدا محالك

هم جردوا لك جمعهم
والفيل كى يسبوا عيالك

ان كنــت تاركهــم وقبــــ
ــلتنا فامـــر مــا بــدا لــك

وتدل هذه الأبيات على مدى ارتباط قائلها برب البيت ومدى الثقة الكبيرة فيه سبحانه وتعالى ..

وتقدم أبرهة بفيله الثلاثة عشر لمباشرة الهدم ـ ولكن الفيل الأكبر يبرك ولا يتقدم ـ وأقبل نفيل بن حبيب الى جنب الفيل وأخــذ باذنه فقال : « أبرك محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم ارسل أذنه فبرك الفيل ـ وضربوه ليقوم فأبى فضربوه فى رأسه بآلة من حديد ليقوم فأبى .. وحاولوا معه بمختلف الطرق فأبى وكلما وجهوه الى جهة غير الكعبة قام يهرول وعندما يوجهونه للكعبــة يبرك .. »[٣٠] .

ومع ذلك لم يتعظ أو يعتبــر أبرهة وأصر على جريمته ، ولكن بعد هذا الانذار الجلى الذى لم يعتبر به الأشرم كان سلاح الطيران لأول مرة فى التاريخ حيث أرسل الله طيرا أبابيل من البحر تحمل كل طائر ثلاثة أحجار واحدا فى منقاره واثنين فى رجليه وكانت الأحجار فى حجم الحمص أو العدس ـ وكانت لا تصيب أحدا الا هلك .. وخرجوا فزعين يطلبون الطريق ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق ، فقال بعد أن رأى ما نزل بهم :

أين المفــــر والاله الطــــالب
والأشرم المغلوب ليس الغــــالب

وتحققت نصرة الله لبيته وأجاب دعاء عبد المطلب ومن معه وليبقى البيت لتتحقق آيات الله فيه وليبقى أيضا : مثابة للناس وأمنا ، ومحجا

---

(٣٠) انظر ابن هشام ج ١ .

للعالمين ، ومطافا لهم الى يوم القيامة .. وليبقى مرتبطا بوجدان المسلمين ومشـــاعرهم ليجمعهم حوله حجاجا طالبين مغفـــرة الله مهللين مكبرين ذاكرين شاكرين حامدين « ليقضـــوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » ويمتن الله تعالى ذلك على العرب فقال تعـــالى مخاطبا رســـوله : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيـــل ألم يجعل كيدهم فى تضليـــل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيـــل فجعلهم كعصف مأكول »[٣١] ..

**معنى الطير الأبابيل :**

قال بعض المحدثين أنها ليست الطيور بالمعنى المتبادر الى الذهن — وانما المراد بها الرياح التى حملت المرض وذرات التراب المحملة بالأمراض الفتاكة .. وهـــذا الرأى لا دليل عليه من التاريخ أو اللغـــة اذ لم يرد استعمال شائع للريح بمعنى الطير ..

والصواب أنها هى الطيور كما ورد لما تؤكده اللغة — والتاريخ وقد أنزلت سورة الفيل تتحدث عن الواقعة كأمر مقر حدوثه لا خلاف فيه وهى سورة مكية أى نزلت قبل الهجرة وكان فريق ممن عاصروا الحدث وشاهدوه لا يزالون على قيد الحيـــاة حيث ولد النبى صلى الله عليه وسلم فى عام الفيل وبعث بعد أربعين سنة فكان من بلغ عمره ستين ســـنة أو أقل قد شاهد الحدث — ولم يحدث ما كان لأبرهة لشنع أعداء الدعوة بذلك .. ولكن الكل تلقى الســـورة بالقبول لأنها لا تخالف ما عرفوه وعلمـــوه وشاهدوه ..

ولماذا يحاول أصحاب الرأى القائل بأنهـــا الريح الذهاب بجـــلال الموقف واشراق الصورة ؟ ..

---

(٣١) سورة الفيل .

وهل ذلك يعظم على قدرة الله تعالى وارادته البقاء لبيته الحرام ؟ .

**دلالات القصة فى تكوين الدعاة :**

فى القصـــة عدة معالم يجب علي الدعاة ان ينتبهوا لهـــا ويرتكزوا عليها وهى :

( ا ) ارتبـــاط البشرية بالبيت وجدانيا وعاطفيـــا استجابة لدعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام « فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم » ..

(ب) مع أن أبرهة أخذ بكل أسباب القوة والنصر — وتوفر له الأدلة المرشدون له الى الطريق — وانتصر علي من قاوموه — ومع أن عبدالمطلب لم يقاوم الا أنه هزم أمام البيت الذى حماه الله بالطير الأبابيل وحبس الفيل ، مما يؤكد أن صاحب الحق منصور ومؤيد من الله الى يوم القيامة مهما بلغت قوة أهل الباطل .

( ج ) التمســك بالحق واللجوء الى الله مع الثقة فى وعده بنصرة الحق وهزيمة الباطل مهما كانت قوة أهله وعدتهم وعنادهم .. مع الأخذ بأسباب القوة بقدر المستطاع ..

( د ) الداعى الى الله يجب أن يعلم أنه منصور ومؤيد من الله وأنه تعالى مدافع عن أهل الحق ويرد عنهم أعداءهم كما فعل بأصحاب الفيل « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » وأن الاســـلام محفوظ أبدا ، وأن طائفة من أهل الحق قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

فلا ييأس الدعاة ولا يرهبون أهل الباطل مهما كانت قوتهم ، وأن الله ناصر المؤمنين ولو بعد حين .

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ؟ .

بلى رأينا يارب ما فعلت وعلمناه ..

## استراتيجية الدعوة

## ( المكان والزمان )

فى عرضنا لقصة اسماعيل فى مكة بيننا أن ابراهيم عليه السلام كان فى الشام وعندما رزق باسماعيل أمر بحمله الى مكة فانتقل بذلك من منطقة الشام الى شبه الجزيرة العربية وبالذات فى مكة وعندما سألت هاجر زوجها ابراهيم آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت اذن لا يضيعنا وانصرف ابراهيم من عندهما داعيا لهما ، واستقر بمكة وكان ابراهيم يتردد عليهما للاطمئنان وعندما أمر بذبح اسماعيل فداه الله بذبح عظيم ولما كبر اسماعيل رفع مع أبيه القواعد من البيت ، وعندما تزوج وزاره أبوه أمره تغيير عتبة بابه فتزوج من جرهم بامرأة فاضلة حامدة شاكرة وتناسل منها على مدى الزمن الطويل حتى ولد من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ونلحظ أن النقلة قد تمت الى مكة والاقامة والاستقرار فى مكة لسلسلة أجداد النبى صلى الله عليه وسلم فهل سألنا أنفسنا عن الحكمة الالهية فى اختيار مكة بالذات لتبدأ فيها الدعوة ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل تساءلنا كذلك عن سر اختيار الله للزمان الذى تمت فيه البعثة والوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أن هذا يدعونا الى التماس الحكمة الالهية فى تخصيص مكان بدء الدعوة وزمانها ...

### ١ — بالنسبة للزمان :

كانت البعثة النبوية فى القرن السابع الميلادى وكانت البشرية قد مرت بمراحل عدة من لدن آدم عليه السلام الى ذلك الوقت وقد مر البشر بمراحل نمو عقلى كمجتمعات ، كالتى يمر بها الأفراد فى مراحل حياتهم ،

فكما يمر الفرد بمرحلة الطفولة ، ثم المراهقة ثم الشباب والنضج ، ثم الشيخوخة البشرية فان المجموع الكلى لأفراد المجتمع يمر بنفس المراحل على مدى الزمان الطويل من لدن آدم عليه السلام ، وقد تبين ذلك فى أسلوب تدرج الرسالات من لدن نوح عليه السلام فكانت كل الرسالات والدعوات السابقة عبارة عن مراحل فى الرسالة المحمدية العامة لكل البشر — وكانت كل رسالة فى حينها تناسب أهل زمانها من حيث حاجاتهم العقلية وما ينظم علاقاتهم فى ذلك الزمان ، وظلت الرسالات تتدرج بالبشر وتتفاعل العقول مع البيئة وتصقلها الخبرات حتى تم النضج ودقة الفهم وانطلقت العقول رافضة كل ما يتعارض مع ما فطرها الله عليه من التوحيد ..

١ — فظهر فى ذلك الزمان الباحثون عن الحق الطالبون للصواب الرافضون لعبادة الأصنام ، الثائرون على مجتمع الشرك وعبادة الأوثان وهؤلاء عرفوا بالحنفاء أو الباحثين عن دين ابراهيم « وقد وجد قبل البعثة من نظر الى الوثنية نظرة استهزاء ومن عرف أن قومه يلتقون على أباطيل مفتراة ولكنه لم يجد الطريق أو الطاقة على كفهم ، وأخرج البخارى أن عمر حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لقى زيد ابن عمرو بن نفيل — قبل أن ينزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم — فقدم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم ، ثم قال زيد : انى لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل الا مما ذكر اسم الله عليه وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله ، وانزل لها من السماء ماء ، وأنبت لها من الكلا تذبحونها على غير اسم الله — انكارا لذلك »[٣٢] .

---

(٣٢) فقه السيرة — الغزالى ص ٧٥ .

يقول الامام محمد عبده : ولعل المراد بالنضج العقلى المذكور هو وصول الانسان الى التفكير الكلى المنظم الذي يستنتج من المحسوس ومن القضايا العقلية لأشياء أخرى غيرها[٣٣] .. وقد كان عصر الدعوة الاسلامية يوافقه عصر نضج عقلى واضح ساد العالم كله ..

٢ — كما ظهرت الصراعات المتنوعة على كل المستويات — فعمت الحيرة الدنيا : ففى النصرانية وقع الشقاق بين النصارى فيما يتعلق بطبيعة المسيح وطبيعة أمه مجادلين فى الأمور التى لا تتسق مع العقل كما أنها قد تعقدت مفاهيمها وكثرت مذاهبها من يعقوبية الى ملكانية الى نسطورية والكل مختلف فى أمر المسيح وحقيقته وطبيعته وتكوينه .. وكذلك اليهودية بما دخلها من تحريف وضلال ، وما كان من تمازج المجتمعات الهندية من اعتناق للبوذية بعد أن أيدوا ثورته على الهندوكية.. وكانت جزيرة العرب تنتشر فيها بعض العادات المرذولة كوأد البنات وعبادة الأصنام وتقديسها ، ولما كان العقل البشرى قد نضج واكتمل فقد ظهر فى المجتمع العربى « جماعة الحنفاء الذين أخذوا يحللون بعمق فساد ما عليه الناس ويبينون الحاجة الى دين يعرف بالخالق والطريق اليه مدللين على اتجاههم بما وقعت عليه حواسهم من مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور وبحار لن تغور وليل ماج ، ونهار ساج وقد وصلت هذه الجماعة برجاحة عقلها الى بعض شريعة ابراهيم عليه السلام »[٣٤] ..

٣ — كما كان أهل الكتاب يبشرون بظهور نبى جديد وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا ، قال تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند

---

(٣٣) رسالة التوحيد الامام محمد عبده — ص ١٥٥ .

(٣٤) انظر الدعوة الاسلامية — د/أحمد غلوش ص ٩٢ .

الله مصـــدق لما معهم وكانوا قبـــل يستفتحون على الذين كفـــروا فلمـــا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين »[٣٥] .

وقد كانوا يقـــولون : قد أظل زمان نبى يخرج بتصـــديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم[٣٦] وقد نقل عن كاهن عمورية : انه قد أظل زمان نبى مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام يخرج بأهل العرب مهاجره الى أرض بين شرتين بينهما نخل وبه علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصـــدقة وبين كتفيه خاتم النبوة ، وهذا ليس بغريب على علماء اليهود والنصارى فأوصافه صلى الله عليه وسلم مفصلة فى التوراة والانجيل قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »[٣٧] وقد كانوا على معرفة تامة به وبصـــفاته وبأخلاقه ، وقد أشار الله تعالى الى ذلك عندما قال :

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »[٣٨] ... وقد قيل أن الضمير فى يعرفونه يعود على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم من سياق الكلام حيث ان الخطاب موجه اليه فى الآيات الســـابقة هذا بالاضافة الى خبر بحيرى الراهب الذى عرف النبى صلى الله عليه وسلم وتعرف على ملامحه وهو لا يزال طفلا فى صحبة عمه فى سفره الى الشام .

---

(٣٥) سورة البقرة ٨٩ .
(٣٦) انظر الكشاف جـ ١ .
(٣٧) آية ١٥٧ سورة الأعراف .
(٣٨) سورة البقرة ١٤٦ .

وهكذا ظهرت ملامح النبوة المحمدية فى عقول الناس وفى كثير من الأماكن وهذه الملامح تعتبر تمهيدا للدعوة وتعد الناس لقبولها واستماعها بشوق واصغاء •

كما كان هناك من يبشرون بالنبوة فى مكة نفسها مثل كعب بن لؤى ابن غالب فقد كان يقول : « زينوا حرمكم وعظموه فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم » وكان ورقة بن نوفل قد بشر الرسول بالنبوة فى بدء البعثة عندما قال له : « ليتنى أكون معك اذ يخرجك قومك قال : أو مخرجى هم ، قال : لم يأت أحد بما ستأتى به الا وعاداه قومه وآذوه وأخرجوه » ••

فمن خلال ما سبق نلمس أن العالم كان قد هيىء تماما ذهنيا وعقليا واجتماعيا وعقائديا لاستقبال الدعوة المحمدية واعتناقها بشدة وحب ومؤزرة اذ ربما لو كانت الدعوة المحمدية قد ظهرت قبل أوانها ولو بقرن فربما كان تهيؤ العالم غير كامل ، ولم يكن القبول متوقعا أو على الأقل بصعوبة ولو ظهرت بعد ذلك ولو بقرن من الزمان فربما يكون المجتمع قد مل الانتظار ويئس من ظهور نبوة جديدة ورسالة خاتمة تضع العلاج الناجح لكل المشاكل الاجتماعية والعقائدية ويجمع الناس على كلمة سواء تؤلف بين قلوبهم وتوحد صفوفهم وتقوى شوكتهم الى يوم القيامة ••

ولذا فقد كان ظهور الدعوة الاسلامية فى وقتها ملائما لحاجات البشرية وملبيا مطلبا هاما من مطالب الفطرة الانسانية وهو ربط الانسان بخالقه ووضع الأسلوب الصحيح لتنظيم العلاقات بين جميع جماعات وطوائف البشر فى كل زمان ومكان والى يوم القيامة ••

١ — **وبالنسبة للمكان :** وكما تلمسنا الحكمة فى زمان الدعوة نتلمس الحكمة فى اختيار الله تعالى لمكة لتكون بها بداية الدعوة المحمدية ببعثته صلى الله عليه وسلم •

وذلك لأن مكة فى شبه الجزيرة العربية فى الوطن العربى فهى تتوسط العالم فكل المسافات بين أى جزء من العالم وبينها متساوية تقريبا ..

كما تقع مكة فى منطقة الحرارة القصوى حيث تشتد الحرارة ويقل المطر كما لا تجرى فيهـــا أنهار وهذا أدى لجدب الأرض ـــ وهذه البيئة الجافة الشـــديدة جعلت الناس دائما متجهين الى السماء داعين يضجون بالاستغاثة ضارعين بالدعاء ، فكان لتلك البيئة أثر كبير فى ربط السكان بخالقهم ومعرفتهم به دائما وأنه سبب الرزق ومصدر الحياة ..

٢ ـــ وقد أدت هذه البيئة الجافة وقلة الزرع، وجدب الأرض الى جعل السكان يبحثون عن مصادر أخرى للرزق ـــ فكانت لهم رحلتان : رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف وفى تلك الرحلات اختلطوا بالفرس والروم ونقلوا كثيرا من عاداتهم ومعتقداتهم الى الجزيرة العربية وبالذات مكة فاشتملت الحياة على سائر النظم والعقائد ..

مما هيأ الجو للرد على كل الأباطيل والضلالات وقد ناقش القرآن كل هذه العقائد الباطلة مما ساعد على وضع الأسس العامة التى لا خلاف فيها ، فكان ذلك بمثابة تجميع لكل المذاهب والعقائد بمكة حتى يرد القرآن على الجميـــع ويكون قد رد على شىء موجود فعلا لا على شىء متخيل وجوده فكانت مناقشة القرآن لتلك القضايا موضوعية وواقعية تشمل كل التفاصيل والجزئيات والحجج ، مما وضع الأسس والقواعد الثابتة الى يوم القيامة ..

٣ ـــ كما احيطت الجزيرة ومكة بوجه خاص بحواجز طبيعية وجبال شاهقة تحتاج الى مهارة خاصة لعبورها واجتيازها ـــ وهذا لا يتوفر الا لعربى متمرس على ذلك • مما جعل وصول الأجانب من غير العرب اليها مستحيلا وغير ممكن ـــ فكانت حضارات الفرس والروم لا تصل اليهم ،

كما لا تصـــل اليها الجيوش الغازية الا بصعوبة شـــديدة كان الأمان من العدوان الخارجى متوفراً ..

وهـــذه العزلة جعلت العرب محتفظين بفطرتهم وسليقتهم السليمة وطبيعتهم النقية مرتبطين بربهم وخالقهم ، غير متأثرين بمجون الحضارة والمدنية التى قد تدنس الفطرة وتباعد بينها وبين خالقها ..

لذلك كان مكان الدعوة واضحة فيـــه العناية الالهية وتهيئته لبعث النور ومشرق الهداية ولينطلق منه الاسلام بدعوته الخالصة الى كل أرجاء الكون وليصل نور الهداية الى كل مكان ..

**ويمكن ايجاز ما سبق من حكمة الزمان والمكان فنقول :**

١ ــ تمام النضج العقلى للبشر حيث كانت العقول مهيأة والنفوس معدة بسبب ما فى العـــالم من اضطرابات وضـــلالات وصراعات فكرية واجتماعية ــ لاستقبال دين جديد ينظم حياتهم ويحدد علاقاتهم ببعضهم وبخالقهم على نحو يشبع فطرة التدين عندهم ويرضى ربهم ..

٢ ــ كان أهل الكتاب يبشرون لظهور نبى جديد بدين خاتم ورسالة تامة وقد كانوا يستفتحون به على الذين كفروا مما جعـــل العقول مهيأة لاستقبال النبوة المحمدية ويصغون اليها بشوق ولهفة ..

وبالنسبة لمكان الدعوة ودقة الحكمة الالهية فى اختياره :

٣ ــ فكان للموقع الجغرافى وتنـــوع المناخ وقلة المطر وعدم وجود الأنهار أثر كبير فى جدب الأرض وعدم الزرع والنبات مما جعل السكان متجهين دائما الى خالقهم ضـــارعين بالدعاء وهذا أدى الى ارتباطهم الوجدانى بالخالق ..

٤ ــ تتوسط الجزيرة العربية بوجه عام ومكة بوجه خاص العالم مما جعل المسافات اليها متقاربة مما كان عاملا على نشر الدعوة ..

٥ — وقد أدى جدب الأرض الى أن يبحث السكان عن مصادر أخرى للرزق فكانت التجارة أهم وسائل الرزق وكانت رحلتا الشتاء والصيف وقد أدى ذلك الى اختلاط العرب بغيرهم من الفرس والروم ونقل كثير من عاداتهم وعقائدهم مما جعل الجو مناسبا للرد على كل المعتقدات بواقعية وشمول ودقة بالغة فى القرآن الكريم ..

٦ — أدى وجود الحواجز الطبيعية الى عزل العرب عن التأثر بالحضارات المجاورة مما جعلهم محتفظين بفطرتهم السوية وطبيعتهم النقية فناسب ذلك النقاء والصفاء أن يكونوا الحملة الأوائل للدعوة ..

**درس للدعاة :**

على كل داعية أن يراعى البيئة التى يدعو فيها الى الله وأن يختار لدعوته الزمان والمكان المناسبين والا لو أخطأ فى ذلك لأخفق فى دعوته وما آتت ثمارها المرجوة منها — بمعنى أن يجعل موضوع دعوته مناسبا للزمان والمكان والمدعوين الذين يدعوهم مراعيا حالتهم العقلية والثقافية والنفسية ، فاسلوب الدعوة فى جماعة فى بيئة معينة قد يختلف عنه فى جماعة وبيئة أخرى ، وما يخاطب به أهل الحضر لا يخاطب به البدو وما يخاطب أهل مدينة ، لا يصلح لخطاب أهل قرية . اذ أن لكل منهما أسلوبه الذى يناسب تكوينه العقلى والاطار الذى نشأ فيه . وكما يقال : لكل مقام مقال .

## مولـــد الهـــدى

## مولـــد الداعيـــة

ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيـــل بعد أن أحق الله الحق وأبطل الباطل بهزيمة أبرهة المنكرة عندما أراد هدم بيت الله الحرام وكأن الله أراد للعالم أن يرى ويسمع ويقرن بين ما وقع للأشرم من الانتقام الالهى ومولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم وليعلم أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ..

وقد أشار الى عام مولده للطبرى فى تاريخه فيقول : « كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهد كسرى أنو شروان عام قدم أبرهة الأشرم أبو يكسوم من الحبشـــة الى مكة وساق اليها الفيل يريد هدم بيت الله حرام » .. كما روى هشام بن محمد عن ابن عباس قال : « ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيـــل »[٣٩] وروى الترمذى عن ابن اسحاق « ولدت أنا ورســـول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل و وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم أخا بنى يعمر ليث : أأنت أكبر أم رسول الله ؟ فقال : رسول الله أكبر منى وأنا أقدم منه فى الميلاد ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل »[٤٠] فمن خلال ما ذكر نصل الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل وقد ذكر ابن كثير فى كتاب الفصول فى سيرة الرسول كلاما حاصله « وذلك — أى المولد — عام الفيـــل ، بعده بخمسين يوما ، وقيل بعده بعشرة سنين ، وقيل بعد

---

(٣٩) انظر تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ١٥٦ .

(٤٠) الترمذى جـ ٥ ص ٥٨٩ وهو حسن غريب .

الفيل بثلاثين عاما ، وقيل بأربعين عاما والصحيح أنه ولد عام الفيل»[٤١] وهذا هو الاجماع فى ذكر مولده الشريف صلى الله عليه وسلم ••

وقــد وافق مولده الشريف فى عام الفيل الاثنين التاســع من ربيع الأول ، وقد ذكر الطبرى انه الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول وقد وافق ذلك العشرين من ابريل عام ٥٧١ م •

ويذكر ابن كثير أنه صلى الله عليــه وسلم ولد خارا ســاجدا على ركبتيه رافعا رأسه الى السماء ••

**التسمية بمحمـــد :**

وقد سماه جده ( محمـــدا ) مع أن هذا الاسم لم يكن شائعا بين العرب وقد ألهمه الله هذه التسمية ليكون محمودا فى الأرض والسماء ، ويذكر بعض المؤرخين أن أمه آمنة وهى التى اقترحت هذا الاسم على جده بسبب رؤيا رأتها فى منامها ، كما روى أن الذى رأى هذه الرؤيا هو جده ، وقد ذكر ابن سعد أن اليهود كانوا يذكرون أن نبيا سيبعث واسمه محمد ، وأن عبد المطلب سمع منهم ذلك فسماه محمدا •• وهذا مستبعد لأن عبد المطلب لم يكن يجلس الى اليهود أو يستمع اليهم •• ولا مانع من أن يكون قــد رأى رؤيا أو رأتها آمنة وقصتها عليــه •• ولكننا لنا النتيجة وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم صان الله اسمه من أن يكون فيه شائبة شرك أو وثنية أو ضلال فمع أن الأسماء الشائعة كانت أمثال : عبد شمس — وعبد اللات — وعبد العزى — ووحشى •• وغير ذلك من الأسماء الموحية بالشرك أو القوة والشراسة •• الا أن الله تعالى قد حفظ نبيه فى التسمية ، فكان ( محمـــدا ) وهو مشتق من الحمد والثناء وفيه

---

(٤١) الفصـــول فى سيرة الرسول ص ٩ — وســـيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٦ •

ايماء بالايمان والتوحيد والمعانى العظيمة التى تحتويها عبارة (الحمد) ..
ولا عجب فى هذا فالله هو القائل « والله يعصمك من النـــاس » وعندئذ لا مانع من أن يكون الله تعالى قد الهم جده هذه التسمية ليكون الاسم علما على رسول الله الى يوم الدين .. فالذى سمى فى الحقيقة هو الله — عز وجل — ويذكر ابن هشـــام أن أمه آمنة لما وضعته صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده عبد المطلب تخبره أنه ولد له غلام فاته فانظر اليه فأتاه ونظر وحدثتـــه بما رأت حين حملت به وما قيـــل لها وما أمرت أن تسميه ..

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج الى أمه فدفعه اليها[٤٢] ..

وقد فرح به عبـــد المطلب الجد وأعمامه وكان مولده مصدر سعادة للجميع لأنهم رأوا فى مولده امتدادا لحياة أبيه عبد الله وانما هو امتداد للنبوات والرســـالات واتمام لمكارم الأخـــلاق ، واعلاء لكلمة الحق ودين الهدى ، وانه كمال لدين الله واتمام لنعمته على البشرية جمعاء برسالته الخالدة ، ودعوته الصادقة ..

## مولده ايذان بزوال البـــاطل وادواته :

وقد كان مولده بهذا ايذانا للبشرية جميعا واعلاما بأن يزول الباطل بكل صوره وضلالاته ووسائله وأشكاله ، فعما قريب سوف يتصل نور السماء بالأرض بوحى الله عز وجل اليـــه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك الوحى المبين ، والهدى الى الطريق المستقيم تخرج البشرية من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد « ألر كتاب أنزلناه اليك

---

(٤٢) ابن هشام ج ١ ص ١٤٨ ، وانظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٥٦ .

لتخرج الناس من الظلمات الى النـــور باذن ربهم الى صراط العـــزيز الحميد »[٤٣] ..

وهذا ماحدث بعد مولده بأربعين سنة عندما أوحى اليه وأمر بالتبليغ والبشارة والانذار ووصـــل نور الحق الى كل قلب فنبض بالتوحيـــد ، وهتف بالاسلام كل لسان .. وهذا المعنى فى مولده صلى الله عليه وسلم قد عبر عنـــه بعض المؤرخين فى روايات عديدة حيث يذكرون أن هنـــاك أحـــداثا وقعت عند مولده وعاصرته وهى ما يعبـــر عنها بارهاصات[٤٤] النبوة فيروى البعض أن : أربع عشرة شرفة من ايوان كسرى قد سقطت ، وأن النار التى كان يعبدها المجوس قد خمدت،وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاصت وهذه الأحداث المفروض فيها أنها وقعت وتناقلها أهل الأقطار التى وقعت فيها ، ولكنهم لم يشيروا اليها فى تاريخهم لا من قريب ولا من بعيد ولو قلنا أن حقدهم على الاســـلام وكراهيتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم منعهم أن يذكروها حتى لا يقروا بفضـــل محمد ، فالرد المتوقع هو أنها لو كانت قـــد وقعت فعلا لأثبتوها ولنسبوها الى عوامل الطبيعة مثلا أو الى شىء آخر حتى لا يعترفوا بالفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لم يذكروا شـــيئا عن تلك الأحداث والوقائع خاصـــة وأنها ليست بالهينة أو التافهة ، ويقول الشيخ محمد الغزالى : « وهذا الكلام ـــ يقصـــد ما ذكر من ارهاصات ـــ تعبيـــر خطأ عن فكرة صحيحة فان ميلاد محمد كان ايذانا بزوال الظلم واندثار عهده واندكاك معالمه .. وكذلك كان ميـــلاد موسى ، ألا ترى أن الله لما وصف جبروت

---

(٤٣) ابراهيم آية ١ .

(٤٤) الارهاص هو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبى قبـــل أن يوحى اليه ، فهو غـــير مقرون بدعوى الرســـالة مثل المعجزة ومن ذلك كلام سيدنا عيسى فى المهد وقد كان ذلك ارهاصا بنبوته ورسالته بعد ذلك .

فرعون واستكانة الناس الى بغيه ثم أعلن ارادته فى تحرير العبيد واستنقاذ المستضعفين قص علينا قصة البطل الذى سيقوم بهذه الأعمال فقال « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » وكانت رسالة محمد بن عبد الله أخطر ثورة عرفها العالم للتحرر العقلى والمادى وكان جند القرآن أعدل رجال دعاهم التاريخ وأحصى فعالهم فى تدويخ المستبدين وكسر شوكتهم ، طاغية اثر طاغية ..

فلما أحب الناس بعد انطلاقهم من قيود التعسف تصوير هذه الحقيقة تخيلوا هذه الارهاصات وأحدثوا لها الروايات الواهية ومحمد غنى عن هذا كله فان نصيبه الضخم من الواقع المشرف يزهدنا فى هذه الروايات وأشباهها »[٤٥] ويعلق الدكتور الطيب النجار على كلام الغزالى بقوله : « ونحن نزيد على مقالة الشيخ الغزالى أن معظم الكتب الأصلية فى التاريخ والسيرة وكتب السنة الصحيحة لم تذكر هذه الارهاصات فيما ذكرت من سائر الارهاصات والمعجزات التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٤٦] والنفس تسكن الى هذه النتيجة ، وهى أن مولد النبى صلى الله عليه وسلم كان ايذانا ومقدمة لزوال كل صور الباطل والظلم والاستعباد فبعد انتشار الاسلام ودخول الناس فيه أفواجا عم نوره كل الأرجاء ، فكانت رفعة شأن الاسلام وعلو رايته وانتصار جنده كسرا لشوكة كسرى وعتوه وظلمه والتى عبر عنه بسقوط شرفاته (مجازا) ونار المجوس خمدت لأنها لم تجد من يشعلها ليعبدها بعد أن دخل الناس الاسلام وعاشوا آمنين فى ظلاله مهذبين بنوره ، والكنائس لم تجد من يجددها فانهدمت وتصدعت .. فكان المولد الشريف بشارة بزوال كل ذلك

---

(٤٥) انظر فقه السيرة للغزالى ص ٥٤ ط الشعب .

(٤٦) دراسات فى السيرة النبوية — الطيب النجار ص ٣٨ .

وانصراف أهله عن العنـــاية به أو تجديده .. « وقـــل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا »[٤٧] ..

**رسول من أنفسكم :**

وفى اطار الحديث عن المولد النبوى الشريف يجب الاشارة الى أن العديد من المتحدثين فى ذكرى المولد النبوى يذكرون بعض الأمور المتعلقة بخلق النبى صلى الله عليـــه وسلم حيث يذكرون بعض الروايات التى لا تستند على أصل : أن الله لما أراد خلق نبيه صلى الله عليه وسلم قبض قبضـــة من نوره وقال لها : كونى محمدا فكانت محمدا .. ويرددون هذه العبارة فى معرض التكريم للنبى صلى الله عليه وسلم وبيان فضله عليه الصلاة والسلام ..

ويضعون أدلة لهم على هذه الرواية وصحتها ، فمن ذلك :

١ — قال الله تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير وقد جاءكم من الله نور وكتاب مبـــين »[٤٨] ويفسرون النـــور بأنه سيدنا محمـــد والكتاب بأنه القرآن ..

٢ — بعض روايات الحديث التى تدور حول نسبة النور الى النبى صلى الله عليه وسلم واضافته اليه : « أول ما خلق نور نبيك يا جابر » فالمعنى هنـــا يدور حول أن أول نور خلق هو نور النبى صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أن نورا كان يرى فى ظهر آدم عليه الســـلام ثم انتقل ذلك النور الى وجهه ثم الى يديه وهو نور النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(٤٧) الأسراء ٨١ .
(٤٨) المائدة ١٥ .

ورواية أن السيدة عائشة كانت تخيط الثوب على ضوء المصباح وسقط منها المخيط وانطفأ المصباح ودخل النبى صلى الله عليه وسلم فالتقطت المخيط فى ضوء وجه النبى صلى الله عليه وسلم • ولذا كانت مقولة خلق النبى صلى الله عليه وسلم من النور ••

والرد على هذه المقولة من عدة وجوه ••

( أ ) تركيز القرآن على بشرية النبى صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : « وقالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا • أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا • أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا • أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا »[٤٩] فهو بشر رسول ••

وقال تعالى : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[٥٠] ••

ويقول : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون »[٥١] ••

(ب) تحديد مادة خلق البشر عموما بما فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذ ليس هناك دليل على أنه خلق من مادة مخالفة لما خلق منه البشر •

---

(٤٩) الاسراء من ٩٠ — ٩٣ .
(٥٠) الكهف آية ١١٠ .
(٥١) الأنبياء ٣٤ .

قال تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون »(٥٢) وقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »(٥٣) وقال : أيضا : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون »(٥٤) فالبشر بما فيهم النبى قد خلقوا من تراب وطين وحمأ مسنون وسلالة .. الخ ما ذكر فى ذلك المجال فى القرآن ..

( جـ ) أكد القرآن مماثلة الرسول صلى الله عليه وسلم لسائر الناس فقال تعالى : « قل انما أنا بشر مثلكم » وقال : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » أى من جنسكم ، وهو مثل البشر فى أصل الخلقة والتكوين ، اذ أن المماثلة ليست فى النبوة والرسالة وانما فى بدء الخلق والبشرية .

( د ) أى وصف بالنورانية للنبى صلى الله عليه وسلم يراد بها النورانية المعنوية التى يتميز بها المؤمن ويستمتع بحلاوة الايمان فيها ، ولما كان الوحى والرسالة هما السبيل الى الحق والصواب ونور القلب وصفاء الروح ، فعبر عنها بالنور الروحى ، وقد سمى الله الايمان والكتاب نورا فقال تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم »(٥٥) فالنور هنا هو نور الهداية والايمان . ورسول الله عندما نصفه بالنورانية ( مجازا ) من هذه الناحية حيث انه الداعى الى نور الايمان واتباع ذلك النور فهو سبب له وطريق اليه ..

---

(٥٢) الحجر ٢٦ .
(٥٣) المؤمنون ١٢ .
(٥٤) الروم ٢٠ .
(٥٥) الشورى ٥٢ .

كما لا يراد بالنـــور النور الحسى الذى يرى بالعين ، وقد نسجت حوله روايات كرواية أن السيدة عائشة كانت تخيط الثوب بالمخيط فسقط المخيط على الأرض وانطفأ المصـــباح فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فالتقطت المخيط من الأرض على نور وجهه •

وانما هو نور معنوى لا يحســـه الا المؤمنون الصادقون فقط • أما غيرهم فلا يحسونه ولا يشعرون به ، فهو نور الروح والقلب التى ميز الله رسوله بقسط وافر منه فامتلأ صدره نورا وهداية أكثر من غيره ، وقد أكد هذا المعنى بعض روايات الحـــديث مثل : ما رواه الترمذى عن عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل خلق الخلق فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل »[٥٦] •• وقد جعل الله الصلاة نورا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة نور »[٥٧] فهو النـــور المعنوى أيضا انه نور الروح ••

( هـ ) واذا سلمنا جدلا بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد خلق من نور الله كما يقال فسوف يرد الى خواطرنا سؤال : اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد خلق من نور الله — وقد خاطبـــه الله تعالى بقوله : « انك ميت وانهم ميتون » فهو فان كما يفنى ويموت سائر الخلق فهل يا ترى يمكن لمسلم أن يتصور أن يفنى نور الله ؟ بالطبع لا •• ولذا تعين أن النبى قد خلق مما خلق منه سائر البشر من الطين ••

فالمسلمون يجب أن لا يفتنوا بحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجونه من دائرة العبودية والبشرية الى دائرة الملائكية — نعم هو

---

(٥٦) رواه الترمذى كتاب الايمان وقال حديث حسن .
(٥٧) الحديث بتمامه رواه مسلم .

ملائكى فى عبادته وتوجهه لربه وخالقه ولكن ليس فى أصل خلقته وبدئها ..
وقد فتن قوم بحبهم لأنبيائهم فأخرجوهم من دائرة العبودية وأوصلوهم الى مرتبة الألوهية ونسبوهم الى الله كأبناء له : فقد قدس اليهود عزيرا وقالوا انه ابن الله « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون »[٥٨] ..

وبعد هذه الوقفة أمام بدء خلق النبى صلى الله عليه وسلم قد يثور سؤال :

ما فائدة هذا البحث وماذا نستفيد من اثبات أن أصل النبى صلى الله عليه وسلم طينى وانه كسائر البشر فى الطبيعة والتركيب وماذا يعنينا من ذلك ؟

نقول : أن ذلك لن ينقص من قدر النبى صلى الله عليه وسلم شيئا وانما هو تصحيح للواقع وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم نور لأنه أضاء للناس طريق الخير بما آتاه الله من العلم والحكمة ، ولكنه مخلوق من التراب الذى خلق منه سائر البشر .. وليس يضيره فى قليل أو كثير أن يكون مخلوقا من التراب ما دام الله قد اصطفاه واختاره لرسالته الكبرى التى أضاءت المشارق والمغارب وملأت العالم كله بالهدى والرشاد »[٥٩] هذا من ناحية .



**ومن ناحية أخرى :**

تصحيح مفهوم القدوة به صلى الله عليه وسلم : اذا أن الطبيعة ما دامت واحدة والمماثلة قائمة ، كان الأمر بالاقتداء صحيحا ، اذ كيف

(٥٨) التوبة ٣٠ .

(٥٩) انظر دراسات فى السيرة النبوية — الطيب النجار — ص ٨ .

يتصور عاقل أن يطلب من مخلوق طبيعته طينية أن يقتدى بآخر طبيعته ملائكية ؟ ويمكنه أن يحتج قائلا : كيف اقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو نورانى وأنا طينى ؟ ! خلقته غير خلقتى وطبيعته غير طبيعتى ٠٠ ؟

وكيف أعقد مسابقة فى السرعة والعدو بين انسان يسير على قدميه وبين آخر يركب سيارة ؟ اذا العدل يقتضى أن يكون ذلك بين متماثلين فى كل شىء فى الخلق والتكوين •

فالاقتداء به فى العبـادات والمعاملات ومكارم الأخـلاق والخوف من الله ٠٠ وغير ذلك مما أوحى الله به اليه ممكن لأنه قد فعله ، وما دام قد فعل فالفعل ممكن وما على الانسـان الا التغلب على الشيطان ليلزم الطريق السوى وينتهج المنهج القويم ويصبح هناك معنى لقول الله تعالى: « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » و « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » و « قل أطيعوا الله والرسول » ويمكن ترسم خطاه واتباع منهجه والتزام أخلاقه لأنه « بشر مثلكم » و « رسول من أنفسكم » وهنا يصح مفهوم النبوة والقدوة والاهتداء بما جاءنا به صلى الله عليه وسلم من الوحى والرسالة ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ٠٠

## أهم ملامح الداعى الى الله

مما سبق يتبين لنا مدى العناية الالهية بالنبى صلى الله عليه وسلم من حيث الاعداد والحفظ وقد اختاره من أطهر الأعراق وخير البطون العربية التى اتسمت بالصفات الكريمة والخلال العظيمة مما جعل كريم الطباع عنصرا أساسيا فى طبيعة تكوينه امتزجت بدمه وأعصابه ووجدانه وعقله ونفسه ، وروحه ، وتلك العناية تمتد الى أعماق التاريخ وعمق الزمن الطويل من حفظ النطفة من أن تدنس بدنس السفاح أو الزنا اذ انتقلت من جيل الى جيل من الأصلاب الطاهرة ، الى الأرحام الزكية ، وكذلك فى نقلة اسماعيل من موطن أبيه بالشام الى مكة حيث بيت الله المحرم وتهيئة الله له ولأمه هاجر أسباب الحياة والاستمرار فى تلك البقعة ليكون النبى صلى الله عليه وسلم وأجداده مرتبطين وجدانيا وعاطفيا ودينيا ببيت الله الحرام كذلك أدت البيئة الجافة بهذا المكان الى كثرة تقلب الوجوه فى السماء وتوجه القلوب الى الله ضارعة بالدعاء بأسباب الرزق والحياة واستنزال المطر فنشأ بهذا ما يمكن تسميته بالرابطة الوجدانية بين الانسان وخالقه ، ومن هؤلاء وفى تلك البيئة وفى كنف بيت الله تناسل أجداد النبى وولد صلى الله عليه وسلم .. ليكون نبى الأمة ورسول الله الى العالمين كافة وليكون داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .. وأخذا من هذا يجب أن يراعي فيمن يتحملون الرسالة ويدعون اليها أن يكونوا أقرب ما يمكن فى الصفات والنشأة والتكوين من النبى صلى الله عليه وسلم لتكون دعوتهم أرجى قبولا .. فيجب :

١ — أن يكون الداعى الى الله من أسرة كريمة ومن أبوين كريمين حسنى السير والسلوك وذلك حتى لا يعير بهما فيسببان له خجلا أو حرجا مع من يدعوهم ، وغنى عن الاشارة أن الفقر والغنى لا يدخلان فى هذا

الأمر بل المقصود أن يكون الداعى لم يرتكب ما يخل بشرفه أو أمانته — وكذا أسرته وهذا هو الأدلى •

ولا يرد على هذا أن أفضل الدعاة فى عصر النبوة فيمن آمن بالنبى كانوا قبل اسلامهم كفارا يفعلون المعاصى — ولم يؤثر ذلك فى دعوتهم — لأن الحال هذه كانت عامة ولم يكن هناك نبى أوحى فلم يكونوا عصاة فى وسط طائعين ، وانما كانت البلوى عامة ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن خير العرب قال : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا — فبعد الاسلام مقياس الخيرية هو الفقه والفهم الصحيح عن الله ورسوله ••

واجمالا فان الداعى يجب أن يكون سـويا مع الله والا يرتكب أو يورث معصيـة تذله أو تخجله حتى يدعو الى الله مرفوع الرأس عزيزا بالاسلام تائبا أوابا الى الله فتقبل دعوته ويرجى الهداية به ••

٢ — أن يكون مرتبطا بربه متصلا به عن طريق العبادة — فلا قيمة لدعوة يبعد صاحبها عن ربه يقترف المخالفات ويبرر فعل جميع السيئات حتى لا يلام على ارتكابها عندئذ ان فعلها ودعا الى تركها كذب فعله قوله — فيجب الاتصـال بالله والارتكاز على تأييـده ونصره ومطابقة القول للفعل ••

٣ — أن يختار الداعى الوقت والمكان المناسبين لدعوته — فيراعى ملاءمة موضوع دعوته لمناسبته ومكانه — فقد تكون الدعوة قولا حقا — ولكنها تقال فى مكان غير مناسب أو وقت غير ملائم كأن يقول قائل أبدا بالنهى عن السكر من الخمـارة ويذهب ليخاطب السكارى ويسرد أدلـة التحريم وعقوبة شارب الخمر عندئذ يكون كمن ينادى على الأموات بل ان أراد ذلك فعليه أن يبين أضرار الخمر مثلا وما تجره على شاربها من

ويلات فى الدنيا والآخرة مع الاستشهاد بأمثلة واقعية ولن يفهم عنه ذلك الا عاقل فى تمام وعيه لا المخمور ولا السكران ..

وكمن يتحدث عن الاتعاظ بالموت — مع أن هذا حق — فى حفل عرس وزفاف مثلا ..

فدقة اختيار الزمان والمكان عليها معول كبير فى نجاح الدعوة ..

وقد رسم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى مراعاة هذه الأمور على نحو ما سيأتى ان شاء الله فى الفصول التالية ..

# الفصل الثانى

## الاعداد الاجتماعى والرعاية الاجتماعية

« الم يجدك يتيما فآوى »

ويشمل :

١ ــ ظروف وملابسات ٠

٢ ــ رضاعته ( فترة الحضانة ) ٠

٣ ــ زواج النبى صلى الله عليه وسلم
بخديجة بنت خويلد ٠

٤ ــ رعاية الله له وحفظه اياه ٠

٥ ــ وقفة مع التربية الاجتماعية للداعية ٠

## تمهيـــد

تبين فى الفصل السابق أن الله تعالى قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من أن تدنس نطفته الشريفـــة بالسفاح أو الزنا وانتقلت من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام الزاكية ، كما أن الله تعالى جعل جميل الطباع فى أجداده على مدى التاريخ كله فورث منهم كل جميل ونفيس من مكارم الأخلاق والطبـــاع الأصيلة السليمة النقية ، وحفظ سلســـلة الأجداد من القطع فنجى اسماعيل عليه السلام ، وأباه عبد الله من الذبح، كما صان اسمه من أن يدخله وصف شرك أو وثنية حيث سمى ( محمدا ) مع أنه كان غير شائع بين العرب وذلك فور مولده الشريف ..

وفى هذا الفصـــل بيان لامتداد عنـــاية الله تعالى به بعد مولده ـــ فتعهده بالعناية والرعاية فى مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة والشـــباب وهيأ له من الظروف البيئية والاجتماعية ما يكون فيه الشخصية الفذة المتكاملة الواعيـــة بكل مجالات الحيـــاة المستعدة لأن تقود أمة بأسرها وتخرجهم من الظلمات الى النـــور ، انه يعد ويربى ويؤدب ليكون أهلا لا لقيـــادة قطاع محدد أو جماعة معينـــة فى زمان محدود وانما ليقود العالم كله وليكون رسولا الى الناس كافة انه يعـــد ليكون رحمة للعالمين واماما للبشرية جمعاء والى أن تقوم الساعة ..

وفى هذا الفصـــل نمر بلمحات من العناية والاعداد الربانى لرسوله صلوات الله وســـلامه عليه فى سائر مراحل حياته قبل البعثـــة ليتبين لنا ما يجب أن يكون عليه الداعية من خبرات وتجارب وأهلية ليتحمل رسالة عامة الى الناس أجمعين وينجح فى تبليغها اليهم ويؤلف قلوبهم ويجمعها على الحب والألفة بما غمرها من نور الايمان والهدى والتقوى ..

ويتضح اعزاز الله تعالى له فى أنه لم يجعله يوما ما عالة على من قام برعايته أو كفالته من البشر حيث ارتبطت البركة به دائما وهبوط الخير على من يتولاه بأى لون من العنـاية فقد هبط الخير وعم على مرضعته حليمة السعدية عند قبولها اياه لترضعه بعد أن رفضته سائر المرضعات ليتمه وعدم انتظارهن خيرا من أبيه ، كما ارتبط الخير به عندما هبط على عمه أبى طالب وزاد رزقه ورغد عيشه ببركة كفالته اياه أيضا •

وكذلك هيأ الله تعالى له من خبـرات الحياة ما كونه عقليا وثقافيا وعصمه فكريا ، وهيأه أخلاقيا ونفسيا وسياسيا وعسكريا •• مما جعله بحق أهلا لتلقى الوحى وحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ••

والله تعالى قد من عليـه بذلك عندما قال له : « ألم يجـدك يتيما فآوى • ووجدك ضـالا فهدى • ووجدك عائلا فأغنى » فالذى آوى اليتيم هو الله تعالى حيث هيأ له الأسباب لايوائه وألقى محبته فى القلوب وجعل سعة الرزق والبركة مرتبطة به والذى هداه من حيرته ورباه تربية عقلية وفكرية هو الله ، حيث حبب اليه الخلوة والتأمل الى أن هبط عليه جبـريل بوحى السماء بالقرآن الكريم فعرف طريق الحق واهتـدى الى الخالق •• يقول الزمخشرى : « ضالا معناه الضـلال عن علم الشرائع وما طريقة السمع كقوله : ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان •• وقيل ضل فى صباه فى بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب ، وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب •• فهداك فعرفك القرآن والشرائع ••

وقيـل فى ووجدك عائلا فأغنى : أى أغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم ، وقيل قنعك وأغنى قلبك »[1] ••

---

(١) انظر الكشاف للزمخشرى ج ٤ ص ٣٦٥ •

وقيـــل أن الاغناء بما جمع له بين مقامى الفقير الصـــابر والغنى الشاكر .. وعلى أى حال من الأحوال فان حليمة وأمه وجده وعمه كلهم أسباب هيأها الله لرعايته وكفالته أما الكافل والمؤوى الحقيقى فهو الله عز وجل ..

وهذا ما سيأتى بيانه فى المباحث التالية ان شاء الله ..

## المبحث الأول

## ظروف وملابسات اجتماعية

مرت بالنبى صلى الله عليه وسلم عدة ظروف اجتماعية هيأها الله له لتكون فيه شخصية فذة متميزة أدت الى سلامة التكوين الجسمانى والوجدانى والسلامة النفسية التى تؤهله ليحمل رسالة الهدى والتوحيد ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد •• وتلك الأمور ••

**١ — موت أبيه عبد الله وولادته يتيما :**

بعد أن نجا عبد الله بن عبد المطلب من الذبح بعد ان افتدى بمائة من الابل تزوج بنت سيد بنى زهرة وهب بن مناف وهى آمنة بنت وهب وكانت من أفضل نساء قريش نسبا وموضعا ••

وبعد أن دخل بها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينما هو لا يزال جنينا شاء الله أن يموت أبوه عبد الله ليولد النبى ويستقبل الحياة يتيم الأب ، وبعد ولادته تتسلمه حليمة السعدية لترضعه كعادة العرب فى مواليدهم •• على النحو الذى سيأتى بيانه بعد •• وبعد سنوات تعود به الى أمه •• ليواصل حياته معها ••

**٢ — موت أمه :**

ولكن ارادة الله تشاء أن تموت أمه وهو لا يزال طفلا فى مرحلة الطفولة المبكرة انه فى السادسة من عمره ، فقد كانت أمه قد صحبته فى زيارة لأخواله من بنى النجار وبينما هما عائدان الى مكة مرضت فى الطريق وماتت ودفنت بقرية « الابواء » بين مكة والمدينة وكان سن النبى وقتئذ ست سنوات •

### ٣ — كفالة جده له وموته بعد ذلك بعامين :

فبعد موت أمه كفله جده عبد المطلب وكان يحبه حبا شديدا ولا عجب فهو حفيده وابن ابنه الغالى ، وكان له فراش بجوار الكعبة وكان أولاده يهابون حتى مجرد الاقتراب منه احتراما لأبيهم ، ولكنه كان يحمل النبى صلى الله عليه وسلم ويجلسه بجواره حبا فيه واعزازا له ، وعندما كان أعمامه يحاولون منعه أو ابعاده عن الفراش يقول لهم عبد المطلب فى حب ومودة واعتزاز به : دعو ابنى فوالله ان له لشـــأنا ، وقد كان له بمثابة عوض عن الأب والأم ، فقد عوضه حنانه عن حنانهما ، ولكنها ارادة الله تعالى وقضائه — فعندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وســـلم الثامنة من عمره مات جده عبد المطلب وحزن عليه النبى صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وبكى عليه كثيرا فقد كان الأمر شديدا على نفسه ٠٠ طفل فى الثامنة ولد يتيما ويصدم عدة صدمات آلمته كفلته أمه بعد موت أبيه فما تلبث الا أن تموت ويفقد حنانهما ، وعندما تكفله بعدها جده عبد المطلب ولكنه ما لبث ان مات هو الآخر فبعد أخيرا بموت جده ٠٠ يا الهى ٠٠ ماذا يخبىء القدر لهذا الطفل ٠٠ ؟ ! انه يدخر له كل خير ماذا كان قد فقد رحمة الأب وحنان الأم ثم حنان الجد وحبه واعزازه ٠٠ فان رحمة الرحمن الرحيم عنه لا تنقطع وعناية الله به متصلة ٠٠ ان مصادر الحنان فى الخلق قد نضبت وانقطعت ٠٠ ففى أى رحمة سينشأ ويعيش ويترعرع؟ أين يربى هذا الطفل المحتاج الى الرحمة والحنان والعطف ٠٠ بعد وفاة جده كفله عمه أبو طالب ولكنه كان قليل المال كثير العيال ٠٠ الا انه كان مثلا رائعا للعمومة الرحيمة ٠٠

### امدادات الله تعالى له عن طريق كافلة :

مما يجدر ذكره ان معالم حب الله لرسوله صلى الله عليه وســـلم ورعايته له تتجلى فى اكرام من يحبه ويكرمه ويرعاه ولذا يمكننا القول ان

الكافل والراعى الحقيقى والمؤدى الحقيقى هو الله تعالى والناس مجرد أشكال وأسباب هيأها الله لتصل رعايته الى رسوله ..

( أ ) فعندما قبلته حليمة السعدية وكانت حالها ضيقة واتانها ضعيفة زاد الخير عندها وقويت اتانها وعاشت فى رغد العيش ببركة أخذها النبى صلى الله عليه وسلم فالذى مد لها فى الخير هو الله ..

( ب ) كما بارك لأبى طالب فى تجارته واتسعت أرباحه بعد كفالته له ، حيث كان سببا للبركة وسعة الرزق لعمه .. فالذى أمد أيضا لعمه البركة هو الله .. والذى هيأ له السكن والمأوى والمأكل هو الله عز وجل ، حيث لم يجعله عبئا على من يكفله بل جعله مصدر خير له وبركة فى الرزق والمال ..

وقد امتن عليه بقوله : « ألم يجدك يتيما فآوى » ؟ والاستفهام هنا تقريرى : أى وجدك يتيما فآواك — وهيأ لك من الأسباب من خلقه من يؤويك ويكفلك وهو فرح بك لا يشعر بأنك عبء أو ثقل عليه لان الخير قد أتاه مرتبطا بك وتبعا لكفالتك .. والذى هيأ الظروف والملابسات لحليمة لتقبلك رضيعا هو الله لتنشأ فى بيئة صالحة ومناخ طيب ينمو فيه جسدك نموا صحيحا سليما ، وينضج فيه عقلك هو الله تعالى .. والذى أفاض الخير عليها ثوابا لها على ذلك هو الله .. وفقد أمه بعد أبيه وفقد جده بعد أمه — أى فقد الأسرة تقريبا وهو لا يزال طفلا — ليس مصادفة وانما لحكمة أرادها الله ليتم تنشئته اجتماعيا وتنشئة خاصة به ، منها :

١ — الارتباط بالله تعالى : حيث قد وقر فى قلبه ان الاعتماد الحق لا يكون الا على الله — وعندما ارتبط بأمه كمصدر للحنان فقدها ، وعندما ارتبط بجده فقده كذلك .. فاتجه وجدانه الى الرحمن الباقى .. الى واهب الحنان والرحمة لعباده .. الى الله عز وجل .. وبتكوينه النفسى كان لا يطلب من أحد شيئا .. وانه لا أب له .. ولا أم .. ولا جد فممن

يطلب ؟ ومن يسأل •• فلم يعرف الطلب أو السؤال من أب أو أم •• فلم يقل أريد كذا يا أبى •• ولا يا أمى •• وانما اتجه الى ربه وخالقه سائلا اياه ما يريد فهو مصدر الأمان له •• فلم يقل : أبى •• أبى •• بل اتجه الى خالقه مالك الملك من بيده الخلق والأمر هاتفا واعيا : ربى •• ربى •• فارتبط وجدانه بربه ••

٢ — قطع السبيل على المبطلين والمشككين حيث لا يمكن لدع أو مجادل أن يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد رضع لبان دعوته من أبيه أو جده •• وعندما كفله عمه بعد ذلك ظل كافرا بعد بعثته ولم يسلم لحكمة أرادها الله •• ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قضى فترة الطفولة كلها فى بنى سعد عند حليمة مرضعته فدفع ذلك دعوى استقاء أسس الدعوة من أبيه أو جده •

٣ — كان ذلك بمثابة « مدرسة أو داخلية » له يربى فيها تربيـــة خاصة ، حيث عزل وعصم نفسيا عن التأثر بضلالات المجتمع مع اقامته فيه واتصاله به •• وعزلته عن المجتمع وعبدة الأصنام ، فنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم محفوظ البصر والفؤاد لا ينظر الى صنم ولا تتطلع الى وثن ، فنشأ نافرا مما عليه القوم من تقديس للأصنام وعبادتهم اياها وربما لو كان أبوه حيا أو أمه ، موجودة لدعواه الى ذلك ولكنها عصمة الله له حيث صنع له سياجا من الحفظ والرعاية وهيأ له الملابسات والأسباب التى تجعله مصونا محفوظا من ضلالات القوم ومعتقداتهم ••

٤ — ولا يعنى ذلك العزل الكامل له المؤدى الى الانطواء ، فقد كان متأملا مفكرا يحاور نفسه فى أمر القوم دون أن يتأثر بعاطفة أو ميل — بل وصل بفطرته النقية البعيدة عن التأثر بالأبوين الى ان تلك العبادات باطلة وان الحق غير ما هم عليه •• وظل كذلك نشيط العقل من تلك المرحلة من الطفولة حتى تم النضج العقلى والوجدانى •• وكان الوحى ••

وإذا كان مصادر الحنان من الخلق هى الأم والأب والجـد غير موجود فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فان هذه مجرد أسباب عادية فقط ولكن الرحمن الرحيم الذى خلق الحنان والحب والرحمـة موجود وقادر على توفيره له فى أى مكان يشاء وربما ألقاه على قلبـه فأحس بالشبع العاطفى والاستغناء عن عطف النـاس ورحمتهم مما يحفظ له توازن الشخصية السوية القادرة على تحمل المسئولية والقياضة بالحب والرحمة للعالمين ..

## المبحث الثانى

## رضاعة صلى الله عليه وسلم

### فترة الحضانة

كانت عادة العرب أن يعهدوا بأطفالهم الى مرضعات فى البادية وذلك كلون من الرعاية لهم حيث جو البادية الصحى الصافى الخالى من الغبار والأتربة ، والشعاع المرسل حيث يكون ذلك أقرب الى تزكيـة الفطرة وسلامتها ، وانماء المشاعر الفياضة وانطلاق الأفكار والعواطف واتقان اللسان العربى ..

فينشأ الأطفال فى تلك المرحلة المبكرة من العمر أصحاء الأجسـام حادى الأفكار صافى الذهن ، طليقى اللسان ، ذوى عواطف فياضـة ، ومشاعر غزيرة فتتكون شخصياتهم على أساس سـليم ووجدان قويم ويكونون أهلا لتحمل مسئولية الحياة وأعبائها ويواجهون بجدارة وحزم ما يطرأ فيها من أحداث ..

وكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد مولده فى انتظار مرضعة تقبله وكانت قد جرت العادة أن تحضر المرضعات الى المواليد يأخذنهم راجيات الخير من ورائهم ومن ذويهم ـ وكان صلى الله عليه وسلم من نصيب حليمة السعدية ـ وتتحدث هى عن قصة قبولها له رضيعا فتقول: انها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت : وكان ذلك فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئا ، قالت : فخرجت على اتان لى قمراء معنا شارف لنا ، والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى ثديى ما يغنيه ، وما فى شارفنا ما يغديه ، قال ابن هشام : ويقال : يعذيه ـ ولكنا كنا

نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على اتاني تلك ، فلقد أذمت بالركب أى حبسهم حتى شق عليهم ذلك ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس رضعاء، فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم ، وذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكنا نقول يتيم ؟ ! وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى : والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ، والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال لا عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت اليه فأخذته وما حملنى على أخذه الا أنى لم أجد غيره )[٢] .. لا حول ولا قوة الا بالله .. حتى حليمة أخذته وهى زاهدة فيه ؟ ! ولانها لم تجد غيره ؟ ! .. أية ارادة الهية وأية رعاية ربانية عظيمة لذلك الوليد المبارك الذى لابد أن يربى تربية خاصة ، فى رعاية مرضعة عاقلة من أصل كريم .. ليكون معدا اعدادا كاملا لتحمل أعظم أمانة وأكبر رسالة لهداية البشرية جميعا ليكون رحمة للعالمين ..

وتلك المرضعة الكريمة أعدها الله له واختارها لرضاعه انها حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية وقد كانت كريمة فى قومها بدليل اختيار الله لها لرضاع نبيه وكما اختار له أشرف البطون والأصلاب واختار له المرضعة لأن الرضاع كالنسب لانه يغير الطباع .. وطبعها كان خيرا وتكوينها كان كريما ولذا فقد كان الكرم وحسن الخلق من أهم مكونات شخصية النبى صلى الله عليه وسلم التى اكتسبها من مرضعته ومن طباع أجداده على مدى التاريخ البعيد ..

---

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٥٠ .

**بركات من الله للمرضعة ببركة الرضيع :**

ولما قبلت حليمة النبى رضيعا لها أفاض الله عليها من الخير والبركة الكثير والمزيد ، وتقول السيدة حليمة على بركاته صلى الله عليه وسلم : « فلما أخذته رجعت به الى رحلى فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجى الى أشرفنا تلك فاذا هى حافل فشرب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة ، قالت : يقول صاحبى حين أصبحنا : تعلمى يا حليمة والله لقد أخذت نسمة مباركة قالت : فقلت والله انى لأرجو ذلك قالت : ثم خرجنا وركبت اتانى وحملته عليها معى ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شىء من حمرهم ، حتى ان صواحبى ليقلن لى : يا ابنة أبى ذؤيب ويحك اربعى علينا أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ قلت : بلى والله ، انها لهى هى ، فيقلن : والله ان لها لشأنا . قلت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ، ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ، ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا ، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ، فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا »[٣] .. سبحان الله ! الرضيع الذى أخذته حليمة زاهدة فيه ليتمه ولانها لا ترجو خيرا من أبيه الميت .. يأبى الله الا أن يجعل البركة والخير قرينة له والا يكون ثقيلا على من قبلوه رضيعا وأمدها الله تعالى بامدادات وبركات من أجل الرضيع اليتيم

---

(٣) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٥٢ .

شعرت به وشعر بها صواحبها من سائر المرضعات وقد تجلى ذلك فى القوة والنشاط التى حلت بالاتان حتى سبقت جميع الركب ، وكانت قبل سببا فى تعطيله حتى تعجبت سائر نساء الركب منها ..

غزارة لبن الشارف بعد أن كان جافة ، وهدوء الصبى ونومه بعد أن رضع مع النبى صلى الله عليه وسلم من ثدى حليمة وما كانا ينامان منه قبل ذلك ، وحلول البركة بطعام الغنم الخاصة بحليمة دون غيرها .. حتى وضح ذلك جليا أمام كل بنى سعد .. وغير ذلك من بركات الحضانة والرضاعة .. فكان الله يريد أن يكون رسوله مرغوبا فى وجوده ، محبوبا فى عشرته وهذا ما كان فعلا فى فترة رضاعه حيث اقترن الخير به ... وكان الخير أكثر مما تنتظره سائر المرضعات من آباء الرضعاء .. فكان صلى الله عليه وسلم شأنه عظيم وبركاته وفيرة وكان ذلك الخير الذى قارنه بمثابة « شيك » اعانة صادر من الله عز وجل ومن خزائن كرمه ورحمته اعانة لحليمة على رضاع النبى المنتظر ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## اخوة النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع :

وأولاد حليمة الذين هم أخوة النبى من الرضاع هم : عبـد الله بن الحارث ، وانيه بنت الحارث وخذامة بنت الحارث وهى الشيماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرفه الا به ..

وقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد مع حليمة خمس سنوات عاد أثناءها مرة الى أمه فى مكة عندما كان فى الثالثة من عمره ، والسبب فى ذلك خوف حليمة عليه عندما تعرض لحادث شق صدره ..

## عناية خاصة جدا فى شق الصدر :

وحادثة شق الصدر تلك ما روى انه كان مع أخيه السعدى فى بهم خلف بيوتهم ، فعاد الطفل السعدى الى أبيه وأمه يشتد ويقول : ذلك

أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه ( يقلبانه ) ، تقول السيدة حليمة : « فخرجت أنا وأبوه فوجدناه ممتقعا وجهه فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له : ما لك يا بنى ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى فالتمسا شيئا فيه لم أدر ما هو ؟ »[٤] .

**موقف العلماء من شق الصدر :**

وقف العلماء أمام حادثة شق الصدر فريقين ، الفريق الأول يرى ان شق الصدر وقع حقيقة ، والفريق الثانى : يرى ان الشق لم يحدث وهو مجاز ويقصد به شرح الصدر فى قوله تعالى : «ألم نشرح لك صدرك» والصواب التى ترتاح له النفس هو ان الشق حقيقى وقد وقع فعلا للنبى صلى الله عليه وسلم فى طفولته وذلك لأن القصة التى حدثت لا يمكن حملها على المجاز « جاءنى رجلان » « اضجعانى » « شقا بطنى » كل هذه الحقائق لا تحتمل مجازا ، ثم ما الذى جعل أخاه السعدى يفر هاربا الى أبيه وأمه يقص عليهما ما حدث ، ورؤية أبويه له وهو ممتقع الوجه ، واعادة حكاية القصة مرة أخرى .. كل هذه قرائن تؤكد وقوع حادثة حقيقة لا مجازا ولا خيالا ..

ثم لنتأمل رواية الامام مسلم لتلك الحادثة يقول : عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرجه منه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم أعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه ( مرضعته ) ان محمدا قد قتل .. فاستقبلوه

---

(٤) انظر ابن هشام جـ ١ ص ١٥٢ ، ودراسات فى السيرة — الطيب النجار ص ٤١ .

وهو ممتقع اللون — وزاد أنس وكنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره[٥] .
ولا يقال ان الرواية اعتمدت على ما رواه طفلان والرد ان الأطفال لا يعرفون الكذب أو التخيل فروايتهم أقرب الى الصدق .. وهذا من قبيل التحصين ضد أمراض القلب والوساوس الشيطانية كخطوة فى أعداد الداعية لتحمل الأمانة وبيلغ الرسالة .. ولكن تلك الحادثة جعلت حليمة تأخذ النبى عائدة به الى أمه خوفا عليه ، ولكن أمه طمأنتها عليه وقالت لها : ان لابنى هذا لشأنا لم أكن أحس أثناء حمله بشىء مما تجده الحوامل وقد رأيت وأنا أحمله كأن نورا خرج منى فأضاء لى قصور الشام ثم طلبت اليها أن تعود به الى البادية مرة ثانية فعادت به حليمة وظل معها حتى قارب الخامسة من عمره[٦] .

وروى ابن هشام أن حليمة لما ردته الى أمه لم تخبرها بما حدث له فسألتها أمه ما أقدمك به وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك فقالت قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على وتخوفت الأحداث عليه فأديت اليك كما تحبين ، قالت أمه ما هذا شأنك واصدقينى خبرك ، قالت : فلم تدعنى حتى أخبرتها قالت : فتخوفت عليه الشيطان .. قلت نعم ، قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وان لابنى لشأنا[٧] .

هذه هى حضانة النبى صلى الله عليه وسلم بركات مفتوحة على حاضنته ومرضعته ورعاية وتحصين له من الوساوس الشيطانية .. وتربية جسمانية وعقلية ووجدانية وعاطفية .. انها حلقة فى سلسلة التربية الالهية والتأديب الربانى له « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

---

(٥) رواه مسلم جـ ١ باب الاسراء .
(٦) دراسات فى السيرة النبوية — الطيب النجار ص ٤١ .
(٧) انظر ابن هشام ص ١٥٣ جـ ١ .

## زواج النبى صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد

كان النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج مع عمه فى التجارة وتعرف على طريقة البيع والشراء واكتسب خبرة فائقة فى ذلك المجال ، وخرج بتجارة خديجة الى الشام مع غلامها ميسرة وقد كانت السيدة خديجة تاجرة لها مال وشرف وكانت تستأجر الرجال وتضاربهم اياه بشىء نجعله لهم ، فلما بلغها صدق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعظم أمانته لم تجد بدا من أن تعرض عليــه العمل فى مالها وتعطيه خــيرا مما كانت تعطى غيره •• فقبل الرسول صلى الله عليــه وسلم وخرج مع ميسرة غلامها فى تلك الرحلة بتجارتها الى الشام •• وعاد اليها بربح وفير كما ظهرت له عدة بركات ذكرها ميسرة لسيدته عندما عاد ، ومنها :

( أ ) كان اذا اشتد الحر يرى ملكين يظلانه من حرارة الشمس وهو يسير على بعيره •

( ب ) كما حدثها عن راهب قابلهما عند وصل النبى بالتجارة الى الشام ونزل فى ظل شجرة قريبا من صومعة ذلك الراهب ــ فأطلع الراهب رأسه الى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى(٨) •

( جـ ) أضف الى ذلك آمارات النضــج العقلى والعفــة والأمانة والصدق فى المعاملة ، وخبرة تجارية واسعة ومقدرته العالية فى التجارة وظهر ذلك جليا بوضوح فى الربح الكبير الذى حققه فى تلك الصفقة ••

---

(٨) ســـيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٧٢ ، وانظر تاريخ الطبــرى جـ٢ ص ٢٨١ .

وعندما قص ميسرة على سيدته كل ذلك باعجاب ، رغبت أن يكون لها زوجا ، فقد أحست بالميل نحوه وشعرت بأنها ستأمن على نفسها ومالها معه ، وكان عقل خديجة راجحا فى انها فى حاجة الى رجل كفء أمين يقوم على رعاية مصالحها فوجدت فى النبى صلى الله عليه وسلم ضالتها المنشودة(٩) .

**عرضها الزواج عليه :**

ولما أعجبت به وبكريم خلقه وعظم أمانته وصدقه عرضت عليه الزواج ، وقيل انها أرسلت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت له : « يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليها »(١٠) .. وقيل انها هى التى حدثته بنفسها .. يقول الطيب النجار : « دارت مراسلات بدأت من جانب السيدة خديجة فى جو من الأدب والحياء والطهر وانتهت بالموافقة من الطرفين »(١٠) .. وما ذلك الا توفيقا من الله عز وجل اذ هيأ له هذه الزيجة ، خاصة اذا علمنا أن الكثير من سادة قومها عرضوا الزواج عليها فرفضت وأبت .. ثم يأتى دورها بعد ذلك لا ليعرض عليها الزواج وتقبل .. بل لتبدأ العرض من ناحيتها ويقبل النبى صلى الله عليه وسلم والذى وجهه للقبول هو الله لحكمة يعلمها وسبقت بها ارادته .

---

(٩) انظر تاريخ العالم الاسلامى — العرب قبل الاسلام — محمود محمد زيادة ص ١٤٥ .

(١٠) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٨١ .

**مشورة النبى اعمامه ودلالتهـا :**

والنبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوجها هكذا من تلقاء نفسه بل ذهب الى أعمامه واستشارهم فى ذلك الأمر فخرج معـه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها ، وقيل ان الذى زوجها عمرو بن أسد لان خويلد كان قد مات وقتئذ[١١] .

وفى هذا اشارة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوقر أعمامه ويحترمهم ويحسن معاملتهم كما ان فيه درسا للمغرورين الذين يستعلون على الناس وأهليهم وذويهم بالذات ويحقرونهم ، ولكن فى فعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأمر دليل على تواضعه وحسن خلقه وكريم صفاته وعراقة أصله[١٢] . وعقد الزواج بايجاب وقبول وصداق فكان زواجها شرعيا يتمشى مع ما بقى من شريعة سيدنا ابراهيم . وألقى أبو طالب خطبة الزواج ومما ورد فيها : « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعـل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على النـاس ، ثم ان محمدا ابن أخى لا يوزن به فتى من قـريش الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وان كان فى المال قل ، فان المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك »[١٣] .

وكانت خديجة وقتئذ فى سن الأربعين وكان هو صلى الله عليه وسلم فى الخامسة والعشرين فكانت تكبره سنا ، وظل هذا الزواج قائما حتى

---

(١١) الطيب النجار ــ دراسات فى السيرة النبوية ص ٤٧ .

(١٢) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٤ .

(١٣) انظر دراسـات فى السيرة النبوية ــ د/محمد الطيب النجـار ص ٤٨ .

ماتت خديجة عن خمسة وستين عاما ، وكان هو قد جاوز الخمسين ولم يفكر النبى صلى الله عليه وسلم طوال هذا الزواج أن يتزوج بأخرى تصغره سنا طلبا للمتعة ، وفيما بعد الخمسين تقل الرغبة •• وقد رزقه الله منها كل أولاده الا ابراهيم وترتيب أبناء خديجة فى الميلاد : القاسم ، الطيب ، الطاهر ، رقية ، أم كلثوم ، ثم فاطمة فكان أكبر الذكور القاسم ، وكبرى الاناث رقية وأصغرهن فاطمة ، وقد مات كل الذكور قبل البعثة أما البنات فقد أدركن الاسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم ••

**وقفة مع زواج النبى بخديجة ودلالاته :**

عندما نتأمل وقائع وأحداث زواج النبى صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله عنها نلمس فيه مدى العناية الالهية به ، والاعداد الربانى له ليحمل رسالة الهدى والنور وليشرق نور الاسلام على البشرية جمعاء ••

( أ ) بعد زواجه هذا أستقرت حياته وبدأ يفكر فيما حوله وما عليه القوم من عبادة الأصنام والأوثان وانتشار الباطل فيحاور نفسه فيما يرى فيدرك ان الحق غير ما عليه القوم •• وانطلق يفكر وتؤكد له فطرته النقية ان خالق هــذا الكون ليس تلك الأصــــنام العاجزة الصماء البكماء وانما الخالق المبدع قادر سميع بصير حكيم •• وأشرقت نفسه بهذه التأملات الروحية ••

( ب ) حبب الله اليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء أياما ثم يعود الى السيدة خديجة ليحمل الطعام والشراب فاذا فرغ عاد من الغار ليحمل زادا جديدا من السيدة خديجة •• وهكذا أغناه الله تعالى بهذا الزواج ، وبمال السيدة خديجة عن الناس ••

**مع قول الله تعالى « ووجدك عائلا فأغنى » :**

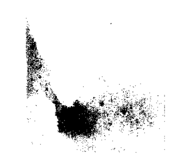
يتحدث الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم عن النعم التى أنعمها عليه ومنها أنه كان عائلا أى فقيرا فأغناه الله ••

وقيل : « أغنى » أى كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر • وقيل أيضا : فأغنى أى قنعك وأغنى قلبك[١٤] •• ولا مانع من أن تكون كل هذه صور الاغناء — فما الذى يمنع من أن يغنيه الله تعالى بمال خديجة قبل البعثة وبما أفاء الله عليه فى الغزوات هذا من حيث الاغناء المادى ، ثم هناك غنى النفس والقناعة والرضا والشكر وهذا هو الغنى الحقيقى فكم من فقير قنع بما آتاه الله واستغنى عن الناس[١٥] •• ولكن فى هذا دلالة واضحة يجب ألا تغفلها وهى ان الله كفاه هم المؤونة ليفرغ قلبه وعقله للتأمل والتدبر والتعبد ليتهيأ لحمل الوحى المقبل عليه الهابط عليه من رب العالمين •• اعداد تام ليحمل رسالة السماء الى العالمين ••

وهذا ما يجب أن يراعى فى اعداد الداعيـــة من تهيئة الجو المناسب والمناخ الملائم لينهل من العلم والفقه ومكارم الأخلاق ليدعو الى الله على بصيرة ••

ولا يعنى ذلك عزله عن مجتمعـــه وانطوائه وانما يعايش مجتمعـــه ويتأقلم به مع العمل على رعايته وحفظه من الفساد الاجتماعى الذى قد يوجد فى بعض المجتمعات وحتى يكون كالطبيب الذى يعرف حالة المريض فيصف له الدواء بدقة ••

وهذا هو ما ربى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم اجتماعيا : هيأ الله له المناخ الملائم للنضج العقلى والاعتماد على النفس ، والثقة فى الله مع اتصاله الوثيق ببيئته وأقرانه وأصحابه — حتى حظى بثقة الجميع وحبهم له وتسليمهم لصدقه وأمانته ••



---

(١٤) انظر تفسير الكشاف ، والنسفى ، وابن كثير سورة الضحى •

(١٥) وقد نقل عن النبى فى احدى الروايات انه قال : « آمنت بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها اذ حرمنى أولاد النساء » .

## رعاية الله له وحفظه اياه

ومن أعداء الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حفظه اياه من الأباطيل والضلالات وما يتعرض له الشباب من اغراءات بالانحراف عن الطريق السوى ، وهذا الدور فى مراقبة الابن وتصرفاته يقوم به الوالدان والأب بالذات فيقوم من أخلاق ابنه اذا حاد عن الطريق المستقيم ولكن أين أبو النبى صلى الله عليه وسلم ؟ .

وهذه ليست قضية وانما بالتأمل نجد أن الله تعالى قد صنعه على عينه وحفظه فى سلوكه وتصرفاته وألهمه الصواب فى تعاملاته .. ويروى ابن هشام قول النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك التقويم الالهى ، يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته وينقل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيتنى فى غلمان قريش تنقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلماء ، كلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، وانى لأقبل معهم وأدبر ، اذ لكمنى لاكم ما أراه لكمه وجيعه ثم قال : شد عليك ازارك ، وأخذته وشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين أصحابى »[١٦] .. ويروى ابن سعد القصة فى الطبقات فى بناء الكعبة وكان عمر النبى صلى الله عليه وسلم وقتها خمسا وثلاثين سنة كانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبط به ونودى عورتك ، فكان ذلك أول ما نودى فقال له أبو طالب : يا ابن أخى اجعل ازارك على رأسك فقال : ما أصابنى ما أصابنى الا فى تعرى فما رؤيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عورة بعد ذلك »[١٧] .

---

(١٦) انظر ابن هشام جـ ١ .

(١٧) الطبقات الكبرى — ابن سعد جـ ١ ص ١٤٥ .

فأى رعاية تلك لك يا رسول الله ، ان الله لم يرد لرسوله أن يفعل الخطأ الذى وقع فيه الآخرون وستر عورته بالنداء الذى سمعه أنها التربية والتأديب الربانى حتى يرتبط بمجتمعه على أساس الكمال ليحفظه من الخطأ مع مشاركته الاجتماعية وتوافقه مع ذلك المجتمع .

كذلك تتجلى رعاية الله له وحفظه من الرذائل التى كان يقع فيها الشباب عندما ذهب مع مجموعة من الشباب الى حفل عرس فى الجاهلية وهذا يعنى وجود الخمور والراقصات والمغانيات .. ولكنه لم يدخل حيث جلس على الباب يسمع صوت دف حتى نام — ولم يشارك القوم ما هم فيه من ضلال ومجون وعصمه الله تعالى عن الزلل والخطأ ، ويروى الرسول صلى الله عليه وسلم مثل تلك الواقعة فيقول فيما يرويه الطبرانى « ما هممت بشىء مما كانوا يفعلونه فى الجاهلية غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بينى وبينه ثم ما هممت به حتى أكرمنى الله بالرسالة .. قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال أفعل فخرجت حتى اذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت ما هذا ؟ قالوا : عرس ، فجلست أسمع فضرب الله على اذنى فنمت فما أيقظنى الا حر الشمس .. فعدت الى صاحبى فأخبرته ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت مكة فأصابنى مثل أول ليلة ، ثم ما هممت بعده بسوء » .

فالله تعالى قد حفظه عن كل مظاهر الانحراف وما لا يتفق مع دعوته التى يعد ليتحملها وليتمم مكارم الأخلاق ، وارساء شريعة الاسلام — وتجلت عناية الله به فى حفظه من هذه الانحرافات اذ أنه كان بشرا ولديه ميول فطرية كميول الشباب ، ولديه الغريزة للتمتع بالشهوات والأهواء لكن رعاية الله تتجلى بوضوح عندما تحفظه من ذلك مع أنه مركب فى نفسه ، ولكن العناية تصرفه عن غير اللائق ... انه تحقق لقول الله « والله يعصمك من الناس » .

## وقفــة مع تربية الداعيــة اجتماعياً

من خلال العرض الســابق لهذه المواقف من حياة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة تتجلى بوضوح الصورة التى يجب أن يربى عليها الدعاة من الناحية الاجتماعية :

**( أ ) سلامة النشأة والتربية الاسرية :**

وهذا ما كان بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم فى الرضاع لدي حليمة السعدية صاحبة الخلق الكريم والنسب الشريف ، ومن خلال طباعها السليمة تكونت طباع رضيعها فتلاقت طباعها العظيمة مع ما ورثه من كريم الخلال وطيب الطباع من أجداده ..

**( ب ) تربيته على الارتبــاط بربه :**

وهذا ما تأكد بعد وفاة عبد الله ، وآمنة ، وعبد المطلب حيث ارتبط النبى بربه لعدم وجود من يرتبط به وجدانيا من أهله ولا يعنى ذلك أن الداعى يجب أن يكون بلا أسرة ، ولكن يعنى أن تعمل كل أسرة على أن ينشأ ابنها مرتبطا بربه من حيث الخوف منه وعبادته وأن يربى فى اطار توجيهات الاســلام لترسخ لسلوكيات الاســلام وأخلاقه فى نفسه من النشأة الأولى وأن يراقب الوالدان ولدهما حتى لا يتأثر بمصاحبة أقران السوء .

**(ج) عدم عزله عن المجتمع :**

يجب فيمن يتصــدى لحمل الرسالة أن يكون معايشا للمجتمع عارفا بعاداته وتقاليــده وميوله واتجاهاته فيعرف مواطن الخطأ فيه والضلال الذى قد يقع فى بعض القطاعات الاجتماعية ولذلك فانه يفلح فى وصف العلاج والأســلوب المناسب لتبليغ الدعوة ولا يعنى ذلك موافقته على الضلال أو الانغماس فيه ، وانما يجعل لنفسه سياجا من الدين ومكارم الأخلاق ومراقبة الله تعالى ..

# الفصل الثالث

## الاعداد السـياسى والعسكرى

ويشمل :

١ ـــ خروجه لرعى الغنم ٠

٢ ـــ خروجه مع عمه للتجارة ٠

٣ ـــ حرب الفجار ٠

٤ ـــ حلف الفضول كمعاهدة سياسية ٠

٥ ـــ تعقيب ٠

## ١ — خروجه لرعى الغنم

كان أبو طالب بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم قد كفله بعد وفاة جده عبد المطلب وأخذ يرعاه ، وكان رجلا تاجرا قليل المال كثير العيال ، ولكن عند انضمام الرسول صلى الله عليه وسلم الى أسرته لم يكن عبئا ثقيلا عليه ، بل زاد الله فى رزقه ووسع عليه فى تجارته وبارك له فى ماله ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لما لديه من ذوق رفيع وتقدير للأمور ووضعها فى نصابها ، لم يشأ أن يكون عالة على عمه ، بل عندما أنس فى نفسه القدرة على السعى والكسب بدأ يعمل ويكدح ويكافح حسب استطاعته .. فكان مما عمل به رعى الغنم ، فكان يخرج بالغنم لرعيها نظير أجر من أصحابها وكان يفتخر بذلك ، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اشتغل صدر حياته برعى الغنم وقال كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة »[1] .. ويذكر ابن هشام قوله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبى الا وقد رعى الغنم ، قيل وأنت يا رسول الله ؟ قال وأنا » .. وقد رعاها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة كما رعاها بمكة على قراريط ، ويقال فى القراريط ، انها الأجزاء من الدرهم ، وقيل اسم موضع والصواب الأول ..

وروى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مابعث الله عز وجل نبيا الا راعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت يارسول الله ؟ قال : نعم وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط »[2] كما روى عن

(١) انظر فقه السيرة للغزالى ص ٦٣ ، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٢٦ .

(٢) روى الامام البخارى الحديث برواية : « قال نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » كتاب الاجارة — باب رعى الغنم على قراريط — فتح البارى ج ١٠ ص ٤ .

أبى اسحـــاق قال : كان بين أصحاب الابل وبين أصحـــاب الغنم تنازع فاستطال عليهم أصحاب الابل ، قال فبلغنا والله أعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بعث موسى عليه السلام وهو راعى غنم ، وبعث داود عليه السلام وهو راعى غنم ، وبعثت وأنا أرعى غنم أهلى باجياد » ..
ورعاية الغنم كعمل يتطلب تكوينا نفسيا خاصا من حيث الرفق بها والصبر عليها ورعايتها .. فياترى هل المسألة تلك مجرد مصادفة ، أم هى توجيه الهى لخدمة الهدف الأسمى وهو حمل الرسالة وأداء الأمانة ؟ .

واقع الأمر أن هذا من صميم التأديب الربانى لرســوله صلى الله عليه وسلم فلابد من تدريبه على سياسة الرعية وقيادتهم وتوجيههم مع الرفق بهم ولعل تلك الحكمة تتجلى اذا أخذنا بما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم من أن الكثير من الأنبيـــاء رعوا الغنم ، واذا علمنا كذلك كذلك أن كل نبى فى عصره قائدا وسياسى يقود أمته ليخرجهم من الظلمات الى النور ..

وهذا من قبيل التدريب العملى على سياسة الأمور وقيادة الأمة — ويقال فى مادة الســياسة : « ساس الناس سياســة تولى رياستهم وقيادتهم ، وساس الدواب راضها وأدبها ، وساس الأمور دبرها وقام باصلاحها »[٣] وهذا صميم عمل الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمته — فتم تدريبه على سياســة الدواب فى مرحلة رعى الغنم لينطلق منها الى سياسة الناس وقيادتهم وتعليمهم .. فكان ذلك تعويدا له على سياســة العامة والرفق بالضعفاء والسهر على حمايتهم ..

يقول ابن حجــر [٤] : « قال العلماء : الحكمة فى الهام الأنبياء رعى الغنم قبل النبوة أن يحل لهم التمرين برعيها على ما يكلفونه من القيام

(٣) انظر المعجم الوسيط ١: ص ٤٦٢ .
(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى — ابن حجر — ج ١٠ ص ٦ .

بأمر أمتهم والآن فى مخالطتها ما يحصـــل لهم الحلم والشفقة لأنهم اذا صبروا على رعيها وجمعها بعــد تفرقها فى المرعى ونقلها من مسرح الى مسرح ودفع عدوها من ســبع وغيره كالسارق وعلموا اختــلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجهــا ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها ، فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحســـنوا التعاهد لها فيكون تحملهم المشقة وذلك أســهل مما لو كلفوا القيـــام بذلك من أول وهلة لعل يحصل لهم من التـــدريج على ذلك برعى الغنم » ولذا يمكننا القول أن توجيه الله لرسوله لرعى الغنم فى صدر حياته كان تدريبا له على سياسة الجماعات والقيام على أمرهم ، وترسيخا كذلك فى نفسه ، كما كان تربية سياسية له لم يتلقها من مخلوق وانما من بارىء النفوس الذى يعلم حاجاتها وتكوينها ..

## ٢ — خروجه مع عمه للتجارة

وذكرت كتب السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخرج مع عمه الى الشام للتجارة وكان قد خرج مع عمه وكان عمره اثنى عشر سنة الى الشام مع عير للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرى فنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم وعرفه الراهب وطلب من عمه أن يحفظه من أذى اليهود وأن يعود به الى مكة ..

وكان أبو طالب يحب النبى حبا شديدا وتعلق به تعلقا كبيرا حتى فضله على أولاده وكان أبو طالب لا مال له ، وكان لا ينام الا الى جنبه ويخرج فيخرج معه ، وكان اذا أكل عيال أبى طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان اذا أراد أن يغذيهم قال كما أنتم حتى يحضر ابنى فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم ، وان لم يكن معهم لم يشبعوا ، فيقول أبو طالب انك لمبارك ..[٥] ويذكر ابن هشام خروجه مع عمه الى الشام فيقول : « لما تهيأ — يريد أبا طالب — للرحيل وأجمع المسير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى اشتاق اليه — فرق له ، وقال : والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا فخرج به »[٦] .. وفى هذه الرحلة نزل الركب بصرى من أرض الشام والتقوا براهب اسمه بحيرى أكرمهم واحتفى بهم وكانوا قبل يمرون به فلا يكلمهم لكنه أحس فى هذه المرة بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم — ولا عجب فى ذلك فقد كان أهل الكتاب يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم — هذا بالاضافة الى انه رأى وهو فى صومعته رسول الله وغمامة تظلله

---

(٥) انظر الطبقات الكبرى — ابن سعد ج ١ ص ١٢٠ .
(٦) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٥ .

فأعد للركب طعاما ودعاهم ، وعندما تخلف النبى عن الدعوة لحداثة سنه خصه بحيرى بالدعوة فجاء وأخذ بحيرى يلحظه لحظا شديدا ويتأمل مواضع فى جسده وأخذ يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره — وأخبره الرسول عما سأل — فوافق ذلك ما يعلمه بحيرى من صفته فى الكتب السابقة ونظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة فى ظهره بين كتفيه وسأل عمه عنه وعن صلته به ثم أوصاه به وأمره أن يرجع به وأن يحذر عليه اليهود .. لما سيكون له من شأن عظيم[٧] .. وفى هذا أيضا اشارة واضحة الى الاعداد النفسى لأبى طالب ليزداد حبه وحمايته لابن أخيه ورعايته .. وما نطق به بحيرى كان من الهام الله وما أوحاه الى رسله صلوات الله عليهم أجمعين .

واذا كانت رحلات النبى صلى الله عليه وسلم مع عمه لشدة ارتباطه به وحبه اياه وعدم احتمال فراقه فان هذا أفاد النبى صلى الله عليه وسلم فى تكوينه النفسى من الناحية السياسية — حيث تعرف من خلال التجارة ومعاملات الناس على مختلف طباع الناس وأسلوب التعامل معهم واقناعهم — فكانت الرحلات التجارية تلك بمثابة مدرسة اجتماعية تمرس فيها النبى صلى الله عليه وسلم على الأساليب المناسبة فى التعامل مع الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم مع التزامه الصدق والأمانة معهم .. وقد تجلى ذلك المران واضحا عندما تاجر بمال خديجة وحقق ربحا عظيما

---

(٧) ذكر ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج مرة ثانية الى الشام بعير خديجة وتجارتها وكان ذلك عند بلوغه الخامسة والعشرين وقد قال له عمه أبو طالب أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عير قومك وقد حضر خروجها بالشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيرها .. وبلغ ذلك خديجة فارسلت الى النبى تعرض عليه ضعف ما أعطى رجل من قومه .. وهذا دليل على ما شاع عنه من الأمانة والمهارة فى التجارة وحسن الخلق ( ابن سعد — ج ١ ص ١٢٩ ) .

لما له من خبرة فائقة فى مجال التجارة — اذ انه لا يغفل اطلاقا ان أسلوب التعامل والخطاب من عوامل ترغيب المشترى فى الشراء ، هذا بالاضافة الى أن مجرد الاجتماع بالناس فى البيئات المختلفة يكسب سـعة أفق وحسن تصرف وقدرة على التوافق النفسى والاجتماعى وهذا كله أولا وأخيرا بعد عصمة الله تعالى اياه وحفظه له •

فاذا ضممنا خروج النبى صلى الله عليـه وسلم للتجارة مع عمه فى سن مبكرة واكتسابه الخبرة والادراك مع معرفة طبائع الناس والتعرف على سلوكهم من خلال التعامل معهم فى التجارة ، الى رعيه للغنم لقريش وممارسته القيام عليها وتوجيهها الى المراعى المناسبة وجمعها والصبر عليها •• وغير ذلك حصل لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قـد درب ونشىء على أسلوب القيادة والريادة وانه قد أعد وجهز ليقود أمة بأسرها ويسوسها ويرعاها ، ويؤلف بين قلوب أفرادها بما يعلمهم من وحى الله تعالى ، ومما لا شك فيه ان هذه الرحلات كان لها أثر كبير فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فلقد وسعت أفقه وزادت من تجاربه •

## ٣ — حرب الفجـــار

وهذه الحرب قد شهدها النبى صلى الله عليه وسلم مع أعمامه وكان ذلك قبل البعثة بأكثر من عشرين سنة وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى الخامســـة عشرة من عمره •• وكانت هذه الحرب بالنسبة لقريش دفاعا عن قداسة الأشهر الحرام واحترامها وعدم القتال فيها •• وكان ذلك من بقية مما بقى من دين ابراهيم وقد حافظ العرب على ذلك ضمانا لمصالحهم وهـــدوء عداوتهم •• ولكنهم ابتلوا بمن استباح حرمة تلك الأشهر الحرام وظلموا أنفسهم بالقتال فيها •• واندلعت حرب الفجار وسميت بذلك لوقوعها فى الأشهر الحرم ، كما قيل ان الفجار على زنة مثال مثل قتـــال — وهى من فاجر يفاجر مفاجـــرة ذلك لأن المفاعلة بين الطرفين كانت قائمة •

وكانت هذه الحرب بين قريش ومن معها من القبائل ، وبين قيس عيلان •

وسببها : ان النعمان بن المنذر بعث بلطيمة ( عير تحمل البزو العطر ) الى سوق عكاظ للتجارة ، وأجارها له عروة بن عتبة الرحال ، فقال له العبراض من بنى كنانة — فوثب العبراض على عروة فقتله وهرب الى خيبر فاختفى بها •• وكان ذلك القتل فى الأشهر الحرم ولذلك سميت « حرب الفجار » وأتى قـــريش آت وأخبرهم بأن العبراض قتـــل عروة وهم فى الأشـــهر الحرام بعكاظ وهوازن لا تشـــعر ثم بلغهم الخبر واتبعوهم وأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم وسكنت عنهم هوازن •• ثم التقوا بعد ذلك أياما ونال كل فريق من الآخر ومما يذكر ان هذه الحرب قد استمرت أربع سنوات •• وقد اشترك النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الحرب يزود أعمامه بالنبال ويجهزها لهم

ليردوها فى نحور أعدائهم ، يقول د / زيادة : « وقد اشترك فى هــذه الحرب بجمعه السهام التى تقع على أعمامه فى نحور خصومهم فى رواية ، وفى رواية أخرى انه اشترك اشتراكا فعليا فرمى النبال بنفسه ، وفى رأينا انه لا تنافى بين الروايتين لان الحرب استمرت أربعة أعوام »[٨] كمـــا يذكر ابن هشام ان الرسول صلى الله عليه وسلم شهد هذه الحرب بعض الأيام حيث أخرجه أعمامه معهم ويقول : « كنت أنبل على أعمامى ، أى أرد عنهم نبل عدوهم اذا رموهم بها » وأيا كان اشتراك النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الحرب فانها تمثل خبــرة اضيفت الى معارفه وخبراته التى اكتسبها ويريد الله له أن يعرفها ، وهى الخبرة العسكرية وأساليب القتال ، والرمى بالنبل أو تجهيزها واعــدادها مما يجب أن يعرفه أى مقاتل •• ويتجلى ذلك واضحا اذا علمنا ان عمه أبو طالب كان يخاف عليه من الأذى •.•• وكان الأجدر به أن يتركه فى المنزل حتى لا يصيبه مكروه من المعركة ، لكن الله وجهه وألهمه الى أن يخرج النبى صــلى الله عليه وسلم معه ليشهد الحرب بنفسه ولتكون خبرته فى هــذا المجال مباشرة لا من طريق النقل اليه أو الرواية له •

وهذا أيضا من قبيل الاعداد النفسى والجسمانى لرسوله صلى الله عليه وسلم ليقود جيش الاسلام ضد جيوش الباطل ، وليرسم بتوفيق الله له ، وبما اكتسبه من أمثال تلك الخبرات العسكرية الخطة السليمة المحكمة التى تجعل الجيش الاسلامى أهلا لنصر الله عز وجل •• وهذا ما تجلى فعلا فى غزوات النبى صلى الله عليه وسلم فى العهد المدنى •

---

(٨) انظر سيرة ابن هشام جـ١ ص١٧٠ — والطبقات الكبرى ابن سعد جـ ١ ص ١٢٧ •

## ٤ — حلف الفضول

## كمعاهـــدة ســـياسية

وهذا الحلف يعتبر دليلا واضحا على ان الليل مهما طال فلابد للنهار من طلوع وان الأيام مهما اسودت صحائفها وانتشرت شرورها .. فلن تخلوا أبدا من بعض النفوس تدعو الى معانى الخـــير والنبل والأمن والاستقرار ، « وقد شعرت قريش بأن ما أصابها فى حرب الفجار كان نتيجة لتفرق الكلمة ، وعدم نصرة الحق ولذلك دعوا الى الحق واجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان وتعاهدوا على أن يكونوا مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه .

وسبب هذا الحلف : ان رجلا من زبيد أتى مكة حاملا بضاعة ليبيعها وعندما باعها اشتراها منه العاصى بن وائل وكان له قدر عظيم وشرف فى مكة ، فامتنع عن دفـــع ثمنها الى أصحاب البضـــاعة ، فاستعدى عليه الأحلاف الموجودة وطالبهم بأن يؤدوا اليـــه حقه ويساعدوه فى الحصـــول على ثمن بضاعته ، فأبوا أن يعينوه على العاصى بن وائل — ونهروا ذلك الرجل فذهب الى جبل أبى قبيس عند الكعبة وقريش فى أنديتهم وصاح بأعلى صوته :

يا آل فهـــر لمظلوم بضـــــاعته
ببطن مكة نائى الدار والنفـــر
ومحرم أشعث لم يقض عمـــرته
يا للرجال وبين الحجـــر والحجر
ان الحـــرام لـــن تمت كرامتـــه
ولا حرام لثوب الفاجر الغـــدر

وهنا قام الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا مترك ودعا الى الحلف واجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان وصنع

لهم طعاما ثم تعاهدوا وتحالفوا فى ذى القعدة على : أن يكونوا يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليـــه حقه• ما بل بحر صوفه ومارسا حراء وثور مكانهما وعلى التأسى فى المعاش ثم مشوا الى العاصى بن وائل وأخذوا منه سلعة الزبيدى وأدوها اليه •

فهذا الحلف كان اعانة للغريب المظلوم على الظالم الذى يريد أن ينهب منه بضاعته ويأكل ماله •

وقيل انه كان بعد حرب الفجار فقد كانت الحرب فى شعبان وكان الحلف فى ذى القعدة ، ويمكن أن يقال كيف ؟ وقد كانت حرب الفجار فى الأشهر الحرم وشعبان ليس منها •

وعلى أى حال فان هذا الحلف كان بعد الحرب فهو بمثابة عهد على ضمان الحق واعادته الى أصحابه بغض النظر عن الخلافات الذاتية — وفى ذلك تأمين لكل وافد علي ماله وتجارته وهذا جانب سياسى هام فى اشعار الوفود بالأمان على أنفسهم وعلى ما يملكون •

وقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحلف ، وحضر اجتماعه واستمع الى بنوده وأعجبه ما اتفق عليه القوم من احقاق الحق وازهاق الباطل مهما كان صاحب ذلك الباطل •

وهنا يكتسب الرسول صلى الله عليه وسلم خبرة جديدة تضاف الى معارفه — وهو ان الحرب ليست هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى الهدف بل ان من أهم الوسائل الحوار المقنع الهادىء المؤدى الى اتفاق عادل منصف يعطى كل صاحب حق حقه •

وقد مر النبى بالتجربة فى حرب الفجار ورأى ما خلفته من خسائر ، وعلى نفس طريق التجربة جلس وشهد حلف الفضول ورأى ما أعزه من حق وانصاف •• هذه المعانى كلها رسمت فى نفسه قبل البعثة •• واكتسبها

كخبرة وخبرات تضاف الى رصيد ثقافته ورعايته واعداده ليحمل الهدى والنـــور •

وقد تحدث النبى صلى الله عليه وسلم عن شهوده ذلك الحلف قال : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب الى به من حمر النعم ، ولو ادعى به فى الاسلام لأجبت » •• وذلك لما تضمنه من الحق والعدل الذى يدعوا اليه الاسلام وتقوم عليه الدعوة •

**تعقيب :**

من خلال ما تم عرضه فى هذا الفصل نجد العنـــاية الالهية تحيط برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث اعداده كداعية ليحمل الرسالة ويدعو العالمين الى الله وطريقه المستقيم •

فقد هيأ الله له من الظروف والملابسات ما يكسبه الخبرة والمعرفة والمران على الأمور التى تتطلبها مكانته ومهمته كداع الى الله •• فان الداعى يعتبر قدوة وقائدا لمجتمعه الذى يدعو فيـــه وليس امعة ولا تابعا لأحد بل له ثقافته وعلمـــه ، والمعرفة التامة بدعوته وفى هذا نجـــد ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اكتسب خبرات ومعارف فى عدة أمور :

( أ ) كيفيـــة معاملة الناس وســـياستهم ومخاطبتهم والعمل على جمعهم وبالتالى قيادتهم الى الصواب واخراجهم من الظلمات الى النور ، وهذا الجانب تعود عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال رعيـــه الغنم ، فتعلم الصبر عليها والرفق بها ، وجمعها واشباعها ••• الخ •

كما تعرف على طبائع الناس ونوعياتهم واختلاف عقولهم من خلال رحلاته التجارية مع عمه ، فالتجارة تتطلب مهارة خاصة فى التعامل مع المشترين •• ومن خلال ذلك تعلم الرسول صلى الله عليه وسلم طبـــاع

الناس واسلوب التعامل معهم مع التزامه مبادىء الأخلاق الكريمة من الصدق والأمانة الى آخره •• واتسعت المعرفة أكثر بمشاركته فى حلف الفضول وجلوسه مع أطرافه — كنموذج لاتفاق سياسى ، واجتماع للرأى ، كما رأى انعكاس ذلك على أمن المجتمع واستقراره •

( ب ) كما تلقى خبرة القتال والحروب عندما شارك مع أعمامه فى حرب الفجار التى كانت دفاعا عن قداسة الأشهر الحرم ، وكان يعــد النبل ويجمعها لأعمامه ليعيدوا رميها الى نحور أعدائهم •• وتلك المشاركة كانت بمثابة خبرة عسكرية علمها الرسول صلى الله عليه وسلم وأضيفت الى معارفه •• مما صنع منه بعد قائدا عسكريا خاض الكثير من الغزوات ضد الباطل وأهله •

ومن هنا يمكننا القول ان الرسول صلى الله عليه وسلم فى مرحلة شبابه قد أعد اعدادا عسكريا وسياسيا فى اطار اعداده كداعية وهاد الى الصواب والى الطريق المستقيم •

# الفصل الرابع

## الاعداد النفسي ·· والعقلي

«ووجدك ضالا فهدى ·· ووجدك عائلا فاغنى»

ويشــمل :

١ ــ تمهيــد ·
٢ ــ الاعداد النفسي للداعية ·
٣ ــ الاعــداد العقلي ·

**تمهيـــد :**

مما لا ريب فيه ان الداعى الى الله تعالى لابد أن يكون فاهما لدعوته محيطا بها وبجزئياتها وكلياتها ، كذلك لابد أن تكون لديه الخبرة والتجربة فى معاملة الناس والتعرف على مداركهم والالمام بطبائعهم وهذا ما تدرب عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى نشأته بين قومه والعمل بالتجارة ورعى الغنم ، حيث تعرف على أصول السياسة والصبر على الرعية على نحو ما سبق بيانه فى الفصول السابقة ..

ومما يجب ذكره والتنبيه اليه ان أمر الدعوة لا يعتمد على المفاجأة والطفرة بل لابد من الاعداد والتمهيد لمن يحمل الرسالة بحيث يكون عالما علما تاما بدعوته وقد وقرت فى قلبـــه واطمأن بها وجدانه عندئذ يكون لديه القدرة على الاقناع والجذب .. وهو ما يمكن أن نطلق عليه الاعـــداد النفسى والعقلى للداعية مما يجعله مستعدا لتلقى دعوته والانطلاق بها الى القوم مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا .. ولذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعد اعدادا نفسيا وعقليا ، فقد انتشر خبره ــ من قبل مولده ــ بين أهل الكتاب وصار ظهوره مؤكدا حيث نصت على ذلك كتبهم المقدسة وكان هذا بمثابة اعداد نفسى لهم وللعالم لاستقباله كنبى ــ هذا بالنسبة لهم ، ولكن ما الاعداد النفسى للنبى صلى الله عليه وسلم نفسه وهل كان يعلم بأنه سيكون نبيا حتى يستعد نفسيا لحمل تلك الأمانة ؟ .

بالطبع لم يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك ، ولذا فقد جعل الله تعالى من الظروف والملابسات فى حياته ما يشعره ما هو مقدم عليه ويجعله مستعدا لحمل أعباء النبوة والدعوة الى الله ، وذلك عن طريق ما سمعه من الرهبان ، وما كان من شق صدره فى طفولته ، وما

كان من تهيئة الله له الزواج من خديجة حتى يستقر عاطفيا واجتماعيا فيخلو لنفسه بعد ذلك مفكرا متدبرا متأملا ليصل بفطرته النقية الى الحق ويبحث عن أسلوب العبادة الصحيحة لله الواحد القهار بعد ان استقر فى وجدانه أنه لا خالق للكون سواه ولا معبود الا اياه ، وان ما عليه القوم من عبادة الأصنام انما هو باطل وزور .. كل هذا اعداد للنبى ليصير أهلا لتلقى الوحى ، بل ان الله قد هيأ له فى أول نزول الوحى عليه ما يعرفه ويعده لما هو مقبل عليه من التعب والنصب وعداء القوم واذا هم عندما ذهبت به السيدة خديجة الى ابن عمها ورقة بن نوفل ليقص عليه ما كان من نزول جبريل عليه فى الغار فيقول له : « ليتنى أكون معك اذ يخرجك قومك فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ، فيقـــول له ورقة : لم يأت رجل بما ستأتى به الا وعاداه قومه وآذوه وأخرجوه » .. اذن علم الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال ذلك أن الأمر ليس هينا وأنه مقدم على مرحلة ليست بالسهلة وان طريق دعوته ليس مفروشـــا بالورود — فاستعد نفسيا لملاقاة كل هذا وتحمله ، ولذا كان موقف قومه منـــه ومن آمن به لم يكن مفاجئا له فقـــد كان يتوقعه .. فاكتسب قوة نفسية انعكست على قومه الذين آمنوا وصدقوه فتحملوا كل ألم ومشقة فى سبيل كلمة التوحيد ودعوته وهذا كله بالاضـــافة الى تأييد الله تعالى بالمعجزات والقوة والصبر .. وان أمام كل محنة للداعى منحة من الله له تؤيده وتنصره وهو هو شأن دعاة الحق دائما « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »[1] والبصيرة هى اليقين والبرهان العقلى والشرعى ومع حجة واضحة غير عمياء ولا عن هوى وهذا يعنى الاعـــداد النفسى والعقلى للدعوة مـــع بصيرة ..

---

(١) سورة يوسف ١٠٨ .

**أولا ــ الاعداد النفسي للداعية :**

وهذا ما كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعد العالم نفسيا ووجدانيا لاستقبال رسالته ، وكانوا يترقبون مبعثه ، وقد تحدثت الكتب السماوية السابقة عنه ، وبشرت به ، ولذا فقد كان الأحبار والرهبان يخبرون بقرب زمانه وبأن نور رسالته لقريب ، وكانت علامته وصفته مفصلة فى كتبهم اذ أخبر القرآن عن ذلك « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنـــاءهم ، وان فريقـــا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » ولا عجب فقد تحدثت عنه التوراة كما تحدث الانجيل ..

فقال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » وتحدث عن بشارة عيسى عليه السلام فقال ضمن دعوته قومه : « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » ويذكر ابن هشام طائفة مما أخبر به الكهان والأحبار والرهبان يقول : « وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه ، أما الأحبار من يهود

---

(٢) سورة البقرة ١٤٦ .
(٣) سورة الأعراف ١٥٧ .
(٤) سورة الصف ٦ .
(٥) ابن هشام جـ ١ ص ١٨٩ .

والرهبان من النصارى فمما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه ، وأما الكهان من العرب أتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من التسمع اذ كانت هى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم » .. وكانت النجوم تقذف الشياطين قبل البعثـة أيضا ولكن اشتدت القذائف بعد البعثة وظهور الاسلام .. وهذا كله يعتبر اعدادا نفسيا للعالم وتهيئته لتلقى الرسالة وقبول الدعوة(٦) .

ولكن ماذا عن اعداد صاحب الرسالة ذاته نفسيا ووجدانيا لتحمل تلك الرسالة والدعوة الى الله على بصيرة ويقين ثابت ؟ .

يتضح ذلك جليا فى أمور شتى تعرض لها الرسول صلى الله عليه وسلم فى فترة الطفولة والشباب من ذلك :

( أ ) ما كان أمر شق صدره وهو طفل فى بنى سعد ، حيث يذكر ان رجلين وهو فى الثالثة من عمره أخذاه واضجعاه فشقا بطنه والتمسا فيه شيئا .. وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن نفسه عندما سألته حليمة وزوجها مالك يابنى ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى فالتمسا فيه شيئا لم أدر ما هو ؟ وذكر جماعة ان المراد بشق الصدر هو شرحه . وقد سبقت مناقشـة ذلك(٧) ، وكانت هذه لفتة له لم تحدث لغيره من الأطفال فشعر بأن له مكانة خاصة وانه يعد اعدادا خاصا لحمل أمر عظيم .. والا لو لم يكن الأمر كذلك فلماذا حدث له ما حدث ؟ ان ما حدث لم يكن مصادفة ولا عرضا وانما هو فى خطة اعداده وجدانيا وتنقيته قلبيا .

---

(٦) سبق هذا البحث مستوفى بعنوان « استراتيجية الزمان والمكان » فى هذا الكتاب .

(٧) انظر ص ٨٤ من هذا الكتاب .

( ب ) وما كان من أخبار الكهان بقرب بعثته كان يعرفه غيره ، ولكن الله هيأ له من الظروف ليعرف أيضا شيئا عظيما عن نفسه وعن المهمة التى سيناط بها والأمانة التى سيحملها والنور الذى سيسرى منه الى قلوب البشرية .. عندما لقيه الراهب بحيرى عندما كان مع عمه فى قافلة التجارة الى الشام وما كان أمامه من حديث الراهب الى عمه أبى طالب وكان هذا أيضا اشعارا له واعدادا نفسيا ليستعد لقبول تلك المهمة وليعرف مكانته التى خلق لها[٨] .

( جـ ) ومما يذكر ان السيدة خديجة ذهبت الى ابن عمها ورقة بن نوفل وقصت عليه ما كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى تجارتها مما حكاه لها غلامها ميسرة من انه اذا كانت الهاجرة وشدة الحرارة يرى ملكين يظلانه من حرارة الشمس وهو يسير على بعيره وحدثها عن راهب من الرهبان لقيه فى سفره معه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نزل ليستريح فى ظل شجرة تجاور صومعة راهب ، فنظر ذلك الراهب الى ميسرة ، فقال له من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة فقال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فأجاب الراهب : ما نزل تحت الشجرة قط الا نبى .. يريد ما نزل تحتها الآن الا نبى .. وقصت كل هذا على ورقة فأجابها مقررا : « لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه .. هذا ما علمته خديجة .. وكان ذلك مما رغبها فى الزواج منه وكان اعدادا نفسيا لها كذلك لتحمل العبء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت بمثابة أمان داخلى له فى داره تهدئه وتواسيه وتشجعه وتدفعه لأداء المهمة وتبليغ الرسالة ..

---

(٨) سبق هذا الموضوع مستوفى فى بحث خروجه مع عمه للتجارة وانظر ابن هشام جـ ١ ص ١٦٥ .

وقبل ذلك كان ما حدث أثناء السفر من تظليل الغمام أو الملائكة له صلى الله عليه وسلم وما جرى من حديث بين الراهب وبين ميسرة تأكيدا لما استشعره من الاعداد الخاص له فى المواقف السابقة وكان هـذا زيادة اعداد وتهيئة وثقة وقوة يستطيع معها حمل دين الله .

( د ) ومن ذلك الإعداد النفسى ما كان من الرؤيا الصادقة ، فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا فى منامه الا جاءت كفلق الصبح . أى وقعت كما رآها فى المنام ليس فيها أوهام ولا أضغاث أحلام .. ويؤكد ذلك ما قالته السيدة عائشة : كان أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح (٩).. وهذا يدل على اشراق النفس وسموا الروح الذى يؤهله لبدء دعوته وتلقى الوحى وليستقبل أمين الوحى جبريل عندما ينزل عليه بالقرآن وحى الله تعالى .

### ثانيا — الاعـداد العقلى :

من الأمور المقررة ان للعقل نشاطا من التفكر والتأمل وهذا نشاط لا يتأتى الا من عروض ملاحظة تلفت نظر الانسان فيبدأ فى قدح زناد فكره ويفترض الفروض ويناقشها ويقبلها أو يرفضها وسوف يصل الى الحق والصواب اذا لم يكن متعصبا لفكرة معينة أو مستحوذا على عقله مبدأ معين ويتعصب له ويحاول تبريره أو تأكيده أو الدعوة اليه ..

فاذا كان العقل حرا غير متأثر بهوى أو برأىء معين ، وفكر بأسلوب هادىء منظم فانه ولا شك سوف يهتدى الى الحق . بما منحه الله من فطرة سوية نقية من الشوائب والضلالات .

---

(٩) رواه البخارى بسنده عن عروة بن الزبير كتاب تفسير القرآن سورة العلق جـ ٦ .

وهذا يتطلب مناخا خاصا يتيح للمفكر الاستمرار فى تأمله بهدوء وسكينة وهذا ما هيأه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث حبب اليه الخلوة والانقطاع عن الناس فكان يخلو بغار حراء ويتعبد فيه ويحمل معه الطعام والشراب فاذا فرغ رجع الى السيدة خديجة فحمل ما يحتاجه من الزاد ثم ينطلق به الى الغار ليتعبد ، وقيل ان هذه العبارة كانت على دين ابراهيم ، وقيل كانت بالتأمل والتفكير فى هذا الكون العجيب وما يحيط به من أسرار دقيقة تدل على وجود اله قدير [١٠].

وعرف عن النبى انه رفض أكل ما ذبح على النصب ولم يشرب خمرا قط ، ويروى فى ذلك قوله : ما عبدت صنما قط ، وما شربت خمرا قط ومازلت أعرف ان الذى هم عليه كفر فاستمر نظيفا طاهرا لم يلوث بدنه كما لم تلوث عقيدته ، بل انه فى حياته لم يجلس مجالس اللهو البرىء وذلك لأن مرحلة الشباب عنده اقترنت بمرحلة التفكير والحيرة ، هــذه الصنعة فى الكون فأين الصانع ؟ من هذا التساؤل بدأت الفكرة والتأمل

ومن حديث عائشة : « .. ثم حبب اليه الخلاء فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه قال والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود بمثلها حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء »[١١] . وتحبب الخلوة اليه أتاح للعقل فرصة العمــل والتفكير والتأمل وطرح القضايا وتقليبها وذلك كله فى ضوء الفطرة السوية والشخصية المتكاملة وذلك أيضا مما جعله يهتدى الى وجود خالق عظيم قادر حى سميع بصير للكون وما فيه من مشاهدات ، وهذا الخالق يدبر الأمر وأعطى كل شىء خلقه وهو كذلك متصف بكل كمال منزه عن كل نقص

---

(١٠) انظر الطيب النجار — دراسات فى السيرة ص ٤٩ .

(١١) رواه البخارى — كتاب التفسير — سورة العلق ص ٢١٤ ج ٦ .

محيط بكل شيء علما ٠٠. الى هـذا كله اهتـدى النبى بالتفكير العقلى المنظم ٠٠ حيث كان صاف الذهن نقى القلب ٠٠

وهذه عموما سمة الخلوة الى النفس ، فان التفكير فى الخلوة يكون صافيا دقيقا منظما متسلسلا غير مشوش ، وفى كثير من آيات القرآن أوامر بالتفكير الحر غـير المتعصب « قـل انظروا ماذا فى السـموات والأرض »[١٢] « أو لم يتفكروا ؟ ما بصاحبهم من جنة »[١٣] وكقوله : « ان فى خلق السموات والأرض واختـلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هـذا باطلا سـبحانك فقنا عـذاب النار »[١٤] .

كما دعا فى بعض المواقف الى الانفراد والتفكير لان ذلك يكون أجدى من التفكير بصورة جماعية ، حيث ان للعقل الفردى مزاياه وخصـائصه وللعقل الجمعى خصائصه فللجماعة تأثيرها على الفرد فى أسلوب تفكيره ومن ذلك قوله تعالى : « قل انما أعظكم بواحـدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة »[١٥] .

يقول الغزالى : « فلنذكر أولا فوائد العزلة ، وهى تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى ما يمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوة والمواظبة على العبادة ، والفكر ، وتربية العلم ، والى التخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض لها الانسان بالمخالطة كالرياء والغيبة ٠٠ ثم يفصل

---

(١٢) يونس ١٠١ .

(١٣) الاعراف ١٨٤ .

(١٤) آل عمران من ١٩٠ ـ ١٩١ .

(١٥) سبأ ٤٦ .

الفوائد على النحو التالى : التفرغ للعبادة والفكر ، والتخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض لها الانســان بالمخالطــة ، الخــلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها »[١٦] .

« كما ان هذه الخلوة التى حببت الى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة لها دلالة عظيمة فهى توضح ان المسلم لا يكمل اسلامه مهما كان متحليا بالفضائل قائما بألوان العبادات حتى يجمع الى ذلك ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس ويراقب الله تعالى ويفكر فى مظاهر الكون ودلائل ذلك على عظمة الله .. بيد انه لا ينبغى أن يفهم معنى الخلوة كما شذ البعض ففهموها حسب شذوذهم وهى الانصراف الكلى عن الناس واتخاذ الكهوف والجبال موطنا واعتبار ذلك فضيلة بحد ذاتها ، فذلك مخالف لهديه صلى الله عليه وسلم ولما كان عليــه عامة الصــحابة وانما المراد هــو استحباب اتخــاذ الخلوة دواء لاصــلاح الحال »[١٧] .

وكان لهذه الخلوة التى حببت اليه صلى الله عليه وسلم نتائج من أهمها توسيع الهوة العقلية والنفسية بينه وبين قومه حيث وقر فى قلبه ان هؤلاء القوم لا يعملون عقولهم وقــد عطلها تعصبهم وحبهم لآلهتهم المزعومة كما وقر كذلك انهم ليسوا على الحق .. وان الحق غير ما هم عليه ..

يعبــر عن ذلك الغزالى بقوله : « كانت تأملات النبى قــد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه فأمست نظرته اليهم نظرة عالم الفلك —

---

(١٦) راجع الموضوع بالتفصيل احياء علوم الدين مجلد ٢ جـ ٦ ص ١ السقب ص ١٠٤٧ الى ص ١٠٦٢ .

(١٧) انظر فقه السيرة للبوطى ص ٦٤ .

فى عصرنا — الى جماعة يؤمنون بأن الأرض محمولة على قرن ثور ، أو نظرة عالم الذرة الى جماعة يتراشقون بالحجارة اذا تحاربوا وينتقلون بالمطايا اذا سافروا .. ذلك من الناحية الفكرية أما من الناحية النفسية فان الالحاد الذى شاع فى الجاهليـــة وجعل أهلها يقسمون جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، هذا الالحاد المفرق الطامس غزا النفوس الأخيار بالقلق البالغ ، الى أين تصير هذه القافلة الحائرة ؟ لئن كان الوجود أولا وآخرا — هـــذه الأعطار المستنفذة على ظهر الأرض ، أن الفنـــاء خير وأجدى .. أما من بصيص نور خلال هذا الظلام المخيم ؟[١٨] .

لقد كانت — بحق — خلوة النبى وتحنثه فى غار حراء سبيلا للتفكير الهادى المنظم وتأمل نظام الكون البديع وما فيه من دلالات على عظمـــة صانعها .. تلك السماء المرفوعة بلا عمد والكواكب السيارة والنجـــوم الهادية ، وتلك الأرض برمالها وصخورها واختـــلاف أنواعها وأحجامها وأشكالها .. وذلك العـــود الأخضر اليانع الذى ينبت من بين الصخور الصلبة .. وتلك الحشرات والهوام التى تتحرك باحثة عن رزقها فى بطون الصخور .. من صنع كل هذا ؟ من الذى منح العود الأخضر الحياة لينبت من بين الرمال والصـــخور ؟ من الذى تكفل برزق كل الخلق ومنهم تلك الهوام الحشرات الباحثة عن رزقها .. والذى بسط الأرض وألقى فيها الجبـــال الشم .. من هو ؟ لا شك أن الفاعل لكل هذا اله قادر على صنع ذلك كله ، وهو أيضا حى لأنه يمنح الحياة ويرزق خلقه وعليم حيث يسوق الأرزاق الى أصحابها فى مستقرها وأماكنها وشقوقها وجحورها .. انه وحده هو الحقيقى بالعبادة الجدير بالشكر .. انه الله رب العالمين .. بمثل هذا المنطق تأمل النبى صلى الله عليه وسلم فى خلوته .. وفكر فى

(١٨) فقه السيرة للغزالى ص ٧٧ .

مظاهر القدرة الالهية والحكمة الربانية .. لقد وقر فى قلبه ان الخالق لهذا الكون عظيم حى عليم اذ يستحيل أن يكون مانح الحياة جمادا لا ينفع ولا يضر .. يستحيل أن يكون فاعل ذلك هـو ذلك الصنم الذى نحته عابدوه ثم يخرون له ساجدين .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

ان خالق الكون قادر موجود متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص وهو وحده المعبود .. ولكن ما طريقة عبادته ؟ .. وكيف يتم التقرب اليه تعالى .. ما الطريق الصحيح الى ذلك ؟ وصل النبى صلى الله عليه وسلم الى هذه التساؤلات فى خلوته وحواره مع نفسه لقد كانت المسألة مرتبة فى عقله وتفكيره حتى اهتدى الى الصواب .. من خلال التـأمل والمشاهدة : وجد العالم بنظامه البديع ودقة صنعه .. فاعتبره دليلا على وجود صانعه وعلمه وقدرته .. ثم اهتدى الى أن ذلك الصانع الذى خلق العالم بهذا النظام هو وحده المستحق للعبادة والتوحيد .. ولكن .. كيف نعبده العبادة التى ترضيه ؟ .

بينما كان النبى فى هذه الحيرة والبحر الهائل من التساؤلات .. اذا بجبريل يهبط عليه ليخرجه من حـيرته بما أنزل عليه من حى السـماء وبالآيات الخمس الأولى من سورة « العلق » على نحو ما سيأتى بيانه بعـد .

وهذا هو المراد بقوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى »[19] فقد قيل من التفسير فى هذه الآية ان الله قد امتن على النبى صلى الله عليه وسلم بما علمه اياه من الوحى وعلم الشرائع وما طريقة السمع والعقل ، وقيل ( ضالا ) معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقة السمع كقوله .. « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان »[20] .

---

(١٩) الضحى ٧ .

(٢٠) انظر تفسـير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٣٣ وتفسـير الكشاف جـ ٤ ص ٢٦٤ .

وقيل غير ذلك .. ولكن هذا الرأى هو الأقوى فى نظرى والله أعلم وقد أخرجه الله من الحيرة وهداه من الضلال الى الهدى والحق بما أوحى اليه من شرع الله تعالى وقد هداه الى الطريق الحق المستقيم .

وهذا الاعداد العقلى للنبى صلى الله عليه وسلم يشير الى أنه صلى الله عليه وسلم كان فيه العقل الغريزى السليم المنظم ، الفكرة والذكاء الفطرى الذى كانت تؤكد وجوده تصرفاته فى المواقف المختلفة والتى تؤكد كذلك حنكته السياسية ومكانته الاجتماعية بين قومه ..

ويدل على ذلك : ما كان من قبائل قريش عندما قامت بهدم الكعبة وتجديدها وكانت كل قبيلة تجمع الحجارة على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه وتنازعوا فيما بينهم حيث كانت كل قبيلة ترى أنها أحق من غيرها ووضع الحجر فى موضعه من البناء ..

وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما وتعاقدوا وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليالى أو خمسا ثم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا .. ولكنهم اهتدوا الى حل يقطع النزاع بينهم ذلك ان أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وكان وقتئذ أكبرهم سنا اقترح اقتراحا قال فيــه : يا معشر قريش اجعلوا بينكم — أى حكما — أول من يدخل باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .. فكان أول داخل عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال — صلى الله عليه وسلم — هلم الى ثوبا فاتى به وأخذ الركن ووضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه[٢١] ..

---

(٢١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٨٢ .

ويهذا انفض النزاع وانقشع شبح نشوب الحرب التى قد تأكل الأخضر واليابس ولكن الله سلم •

وفى هذا دلالة على ان النبى صلى الله عليه وسلم كان محل احترام القوم وقد شاعت أخلاقه الكريمة بينهم فسموه الصادق الأمين — وهذه سمعة حسنة يجب أن يتحلى بها كل من يدعو الى الله أو من بعد ليهمل الى الناس دعوة الله تعالى وهديه — هذا أمر •• وأمر آخر وهو مدى رجحان عقل النبى صلى الله عليه وسلم وحكمته فى التصرف بحيث يرضى الجميع ويهدىء من ثورتهم ، كما أن هذا أيضا يتضح فيه وجود العقل الغريزى الفطرى ودقته وصفائه والمستوى الراقى للذكاء المستكن فيه ••

واذا كان المقصود بالعقل الغريزى هنا هو القوة العقلية ( الخام ) دون اكتساب أى تجارب وانها تزيد وتنضج وتبلغ قيمتها بالتجارب والاحتكاك بالمجتمعات والأوساط المختلفة وكذا بالتأمل والحوار مع النفس والتعلم وهذا ما يعرف بالعقل المكتسب ، والجانبان يظهران بوضوح وجلاء فى تصرفات النبى صلى الله عليه وسلم فى المواقف المختلفة •

ولا عجب فى هذا فالله تعالى يعده ليتحمل أعظم رسالة للعالم أجمع ويقابل نوعيات مختلفة من البشر وكلهم يناقش ويجادل ويتعصب يدافع عن باطله أو يتحرى الحق ليتبعه •• ومن يتصدى لكل هؤلاء لابد أن يكون واسع الأفق حاد الذكاء يفهم مفاتيح الشخصية التى تواجهه وأبعادها ليختار الاسلوب الأمثل والمنطق الملائم ليبنى حواره على أساسه ليصل مع من أمامه الى الحق والصواب ••

وكل هذه الجوانب أغنى ما اكتسبه الرسول صلى الله عليه وسلم من التربية الاجتماعية والصلة بالناس وما تعلمه من كيفية معاملة الناس وصبره عليهم فى التجارة ورعى الغنم والخلوة •• كل هذه الجوانب

اتضحت بجلاء فى أسلوب الدعوة العملى بعد نزول الوحى عليه وأمره بانذار الناس وهذا ما يجب مراعاته فى اعداد الدعاة دائما ، فيختار لديه نسبة ذكاء أعلى ، مع دراسة المواد العقلية التى تكسب العقل مرانا وحيوية كالمنطق ومبادىء الفلسفة والتدريب على مناقشة النظريات والمذاهب المستحدثة المتعلقة بالدعوة وذلك فى ضوء الأصول الثابتة ودراسة العلوم الانسانية مما يجعل الداعى مؤهلا عقليا ونفسيا للانطلاق بالدعوة الى سائر المجتمعات .

## تعقيب

## أهم ملامح الدعاة الى الله

لما كان الدعاة هم حملة الدعوة ، وورثة الأنبياء فى تبليغ شرع الله الى الناس — ولذا فيجب أن يكونوا ورثة لهم كذلك فى جميل الصفات وكريم الخلال ولابد ان تتقارب — أن لم تتماثل — صفاتهم مع صفات الرسل صلوات الله عليهم — مع سلامة التنشئة لهم ، ليحققوا النجاح فيما يدعون إليه من مكارم الأخلاق وسعادة الدنيا والآخرة ..

فيراعى فى اختيار الداعية واعداده ما يلى :

**( أ ) الطهارة والنقاء :**

بمعنى أن يختار الداعية من الذين استقاموا على أمر الله وطاعته ، ولم يرتكبوا من القبائح ما يجعلهم يخجلون من مواجهة الناس ودعوتهم ، أو ما يجعل أعداء الحق من الحاقدين على الدعوة المنغمسين فى الباطل يتخذون منه مبررا لرفض الدعوة والصد عنها بما يروجونه من أمور تشين الداعى ، وهذا ينطبق على أسرته التى ربته ونشأته فاذا كان من أسرة طيبة معروفة بالصلاح والتقوى فان ذلك يكون أدعى الى قبول دعوته بعد سماع كلامه ، لكن اذا كان من أسرة عرفت — مثلا — بالبخل أو الشح ، أو بالانحلال والمجون .. فان ذلك يجعل أعداءه يقولون : ليذهب أو لا فيقيم أمر أسرته ثم يأتى ليقيم أمرنا ويرشدنا ..

وقد اشتهر رسل الله صلوات الله عليهم بين أقوامهم بالصلاح والاستقامة وسلامة العقل وصواب الرأى ..

ونضرب لذلك مثالين قرآنيين من سورة هود :

١ — ينقل القرآن حكاية عن قوم صالح عندما دعاهم الى ترك ما هم عليه ، والايمان بالله الواحد قالوا له : « يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وانّنا لفى شك مما تدعونا اليه مريب »[٢٢] أى انه كان متمتعا عندهم بمكانة ويحظى باحترامهم قبل أن يدعوهم • وهذا ما فهمناه من قولهم « مرجوا » أى يرجى رأيك السديد •• لكنهم مع ذلك شكوا فى دعوته وسلامة عقله لانه دعاهم الى غير ما يألفون•

٢ — كما يحكى لنا القرآن رد قوم شعيب عليه عندما دعاهم الى التوحيد والى عدم نقص الكيل والميزان ، والى ترك ما هم عليه من ضلال وبعد عن الحق والصواب « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشـاء انك لأنت الحليم الرشـيد »[٢٣] أى لحلمك ورشدك لا ينبغى لك أن تقول مثل هذا القول •

نضيف الى ذلك ما عرف به رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قومه من الصدق والأمانة ورجاحة العقل — حتى حاز مكانة سامية فى نفوسهم حتى قبلوا حكمه عندما اختلفت القبائل فى وضع الحجر الأسود بالكعبة بعد تجديد بنائها وكادت تشتعل حربا تأكل الأخضر واليابس ولكن الله سلم •

وعلى الطرف الآخر : ينقل لنا القرآن رد فرعون على موسى عليه السلام عندما دعاه الى عبادة الله وتوحيده والايمان — فيرد عليه فرعون : «قال : ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين »[٢٤] كأن فرعون

---

(٢٢) هود ٦٢ •
(٢٣) هود ٨٧ •
(٢٤) الشعراء ١٨ •

ينكر على موسى دعوته — ويرد عليه بأن هذا مخالف لما نشـأ عليه من التربية فى قصر فرعون الذى كان يقول فيـه : « أنا ربـكم الأعلى » « ما علمت لكم من اله غيرى » • ولكن غابت عن فرعون حقيقة هامة هى انه لم يرب موسى ، وانما الذى رباه وصنعه هو الله على طاعته والصلة به تعالى ، فهو وان أقام فى قصر فرعون الا أن الذى كون نفسه وفطرته وصانهما من الضلال هو الله ، وقد إمتن على موسى بذلك عندما قال له :

« ولقد مننا عليك مرة أخرى • اذ أوحينا الى أمك ما يوحى • ان اقذفيه فى التابوت فاقذفيـه فى اليم فليلقه اليم بالسـاحل يأخذه عدو لى وعدو له ، وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى •• »[٣٥] ولتصنع أى لتنشأ وتربى على عينى ورعايتى وحفظى ، ولماذا هذه الرعاية الخاصة ؟ ولماذا لم يتأثر موسى بما عليـه القوم فى القصر ؟ لأن الله يصنعه ليحمل دينه الحق الى فرعون فيقول : « واصطنعتك لنفسى »[٣٦] •• فالذى رعاه وصنعه هو الله والمربى له هو الله وليس فرعون كما ظن •

ونفس هذه الرعاية فى النشأة والتكوين تحققت لنبى الله ابراهيم خليل الرحمن ، فقد نشأ فى بيت تصنع فيه الأصنام وتباع لتعبد وكان الذى يصنعها هو أباه •• ومع ذلك صانه الله عن التأثر بذلك اعدادا لحمل الرسالة — وعند ذلك نهره أبوه لما دعاه الى نبذ عبادة الأصنام وعبـادة الاله الواحد — ويحكى القرآن ذلك : « يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا • يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا • يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا • يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا • قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك

---

(٣٥،٣٦) طه آيتا ٣٩ ، ٤١ .

واهجرني مليا »[٢٧] فابراهيم لم يتأثر بعبادة أبيه الأصنام وصانه وحفظه كما صنع موسى وأعده ..

والرسل صلوات الله عليهم نشأهم الله التنشئة المناسبة لمهمتهم وصانهم عن التلبس بمنهى عنه وحفظ ظواهرهم ومواطنهم عن ذلك .

ولكن هؤلاء هم رسل الله والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وقد أعدهم لذلك بعينه ورعايته .. فيجب أن تراعى سلامة التنشئة الاجتماعية عند اختيار الداعية ليكون أهلا لحمل الرسالة وأداء الأمانة وقد تبين ذلك في حفظ رسوله صلى الله عليه وسلم[٢٨] وسائر رسل الله صلوات الله عليهم .

ولا يرد على ذلك ان كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مشركين قبل الاسلام ، لأن الكل كان متساويا في ذلك والاسلام يجب ما قبله — وقد اتسموا جميعا بكريم الصفات وغالبا لم يقترف أحدهم ما يجعله يخجل من مجتمعه « وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » .

وليس هذا غلقا لباب الدعوة في وجه العاصي الذي تاب وأطاع الله وحسنت طاعته فالتوبة الصادقة تمحو ما قبلها من الذنوب — وانما المراد ألا يتصدى للدعوة وهو قائم على المعصية اذ انهما لا يجتمعان .. وينبغي أن يكون الداعي معروفا بالاستقامة والصلاح ومن أسرة كريمة ليكون ذلك أرجى لقبول دعوته .

وهذا كله بالاضافة الى صفاته الذاتية .. التي منها :

( ا ) حسن الخلق ، والذكاء ، وسلامة العقل والأعضاء ليتمكن من

---

(٢٧) مريم الآيات ٤٢ — ٤٦ .

(٢٨) انظر ص ٩٢ من هذا الكتاب من صور العناية الالهية .

حمل الدعوة والتحرك بها من مكان الى مكان ، الى المدعوين ، والوصول اليهم وحسن معاملتهم ، والحوار معهم للوصول الى الحق والصواب ..
وقد ضرب لنا رسول الله المثل الأعلى فى حسن الخلق ومعاملة المدعوين على نحو ما سيأتى بعد .. وقد وصفه ربه جل وعلا بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم »[٢٩] كما دعا صلوات الله وسلامه عليه الى حسن الخلق ولين الجانب حيث قال : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقـاً ، وخياركم خياركم لنسائهم »[٣٠] .

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « تقوى الله وحسن الخلق .. »[٣١] خاصة وان هدف الدعوة بناء الصرح الأخلاقى « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

( ب ) سعة الصدر والتواضع : ومعنى ذلك أن الداعى لا ينبغى له أن يضيق بمدعويه فيضجر من استفساراتهم وأسئلتهم وأن يعاملهم بتواضع ولين جانب ، وألا يتعالى عليهم وأن يعلم انه : ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعـه الله »[٣٢] ..

( حـ ) الحلم : بمعنى أن يكون ضابطا لنفسه لا يندفع وراء غضبه فيعتدى بالقول وربما بالفعل على من خالفه ، وأن يكظم غيظـه ولا يجره الشيطان الى المعصية والمخالفة والنيل من الآخرين فيفشل فى دعوته والله تعالى قد أثنى على عباده الضابطين أنفسهم الكاظمين غيظهم العافين عن

---

(٢٩) سورة القلم آية ٤ .
(٣٠) الحديث رواه الترمذى وحسنه .
(٣١) الحديث بتمامه رواه الترمذى .
(٣٢) رواه مسلم .

الناس وعدهم من جملة المتقين الذين أعدت لهم الجنـــة فقال تعـــالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين • الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »(٣٣) •

وقال مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك •• »(٣٤) فأساس المعاملة هو اللين والرفق •

( د ) الاخلاص : بمعنى توجه الداعية بقلبه الى الله تعـــالى فى دعوته لانه ان دعا لينال ثناء الناس أو مدحهم أخفق فى تحقيق هدف دعوته ، وأن يقول كلمة الحق لوجه الله دون رياء أو سمعة أما اذا دخله شيء من تلك الأمراض القلبية فلا أمل فى الوصول الى الهدف والغاية التى ينشدها •

( هـ ) قوة النفس والعزيمة : بمعنى أن يكون لديه القـــدرة على التحمل فان طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود بل مملوء بالأشواك ان لم يكن بالألغام حيث ان الداعى يرمى الى صرف الناس عن أشياء ألفوها وتعودوا عليها أزمانا طويلة وذلك على كل مستويات الدعوة •• فهو ان دعا الكفار الى الهدى فانه يدعوهم الى ترك الكفر الذى ألفوا سلوكهم عليه الى الايمان الذى لم يعرفوا عنه شيئا ، وان دعا أهـــل بدعة الى سنة — فهو يطلب منهم ترك المألوف الى غيره وهكذا فى كل أمر بمعروف ونهى عن منكر • فيجب أن يصبر عليهم ويكون قوى النفس معهم متحملا مواقفهم صابرا عليها : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر

(٣٣) سورة آل عمران ١٣٣ — ١٣٤ •
(٣٤) آل عمران ١٥٩ •

واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور »(٣٥) فهذه وصية لقمان لابنه كما ذكرها القرآن يبين ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستلزم الصبر •

**( ب ) ثقافة الداعية :**

مما يجب أن يراعى فى تكوين الداعية أن يكون عالما بدعوته ملما بها الماما كاملا عالما بجزئياتها وكلياتها ليكون على بصيرة من أمره فى دعوته « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »(٣٦) •

وقد رأينا كيف ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تعلم الكثير من خبرات الحياة قبل البعثة من الأمور السياسية والعسكرية على نحو ما سبق بيانه ليكون أهلا للقيام بمهمة مزدوجة الدعوة الى الله ثم اقامة الدولة بعد الهجرة كما أعد اعدادا عقليا ونفسيا ليكون متهيئا ليؤدى المهمة على الوجه الأكمل • وبناء على ما سبق ينبغى أن يكون الداعية ملما بأصول دعوته مع ثقافة عصره ، وقبل أن نبين ما يجب أن يكون عليه الداعية من ثقافة ، يجب التنويه بأن الدعوة لها معنيان ولكل معنى منهما متطلباته من المعرفة والثقافة التى تناسبه وذلك على الأساس التالى :

**( أ ) الدعوة بمعنى الدين :**

وهذا يتطلب من الداعية أن يكون ملما بأصول الدين ومصادر الشريعة وسائر الأحكام — فيلم بالقرآن حفظا وتفسيرا ، وبالسنة عارفا بصحيحها وضعيفها مع أطراف من علوم الحديث ، وبأصول العقيدة

---

(٣٥) سورة لقمان ١٧ .
(٣٦) سورة يوسف ١٠٨ .

الصحيحة ، وملما بالردود على العقائد الباطلة وشائعات المغرضين وأباطيلهم .

وأن يلم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده لأن ذلك يعنى التطبيق العملى للقرآن ، وأن يلم بالأحكام الفقهية مع أدلتها وأصولها .

وباختصار عليه أن يطلع على كل ما يهمه فى دعوته من قديم أو حديث .

**( ب ) الدعوة بمعنى التبليغ :**

ولما كان للعرض الجيد للدعوة داعيا الى سماعها وتأملها وتدبر ما فيها كان لابد للداعية أن يلم ببعض العلوم المساعدة له فى تبليغ دعوته مثل : علم النفس العام ليتعرف من خلاله على شخصية المدعو ويحدد مداخله الى قلبه — وعن أى طريق يتم ذلك وهل الشخص الذى أمامه يميل الى العقل أو الى العاطفة ؟ ويتحدث معه بما يناسبه من الحكمة والموعظة الحسنة كوسائل للدعوة ، وعليه أن يلم بعلم المنطق ليستخدمه فى الجدل اذا دعته الضرورة الى ذلك ، اذ ينبغى ألا يلجأ الداعى الى الجدل الا اذا لجأ اليه المدعو — وليكن ذلك بالحسنى لان الأصل هو الحكمة والموعظة الحسنة ، فالجدل بالحسنى كما قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[٣٧] ويقول : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم »[٣٨] .

---

(٣٧) سورة النحل من آية ١٢٥ .
(٣٨) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

كما ينبغى أن يلم بعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعى ومعرفة أساليب مخاطبة الجماعة اذ أن مخاطبة العقل الجمعى تختلف عن مخاطبة العقل الفردى ، وما يجدى فى دعوة الفرد قد لا يذكر ولا يجدى فى دعوة الجماعة لان للجماعة تأثيرها الفعال فى سلوك الفرد ، وقد يبيح الفرد لنفسه فى ظل الجماعة مالا يبيحه لنفسه منفردا ٠٠ ولما للجماعة من هذا التأثير على السلوك دعا القرآن الى الخلوة وتأمل الدعوة دون تأثر بالجماعة فقال تعالى : « قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ٠٠ »[٣٩] .

وهذه المعارف أساسية للنجاح فى الدعوة وتحقيق الهدف منها ٠

**( د ) سلوك الداعية :**

ونعنى به التصرفات العملية فى المواقف المختلفة للداعية ، والمعنى أن يكون حامل الدعوة متوافق السلوك مع ما يدعو اليه ٠ ومتلائم النفس مع أسس الايمان والعقيدة ونوجز ذلك فيما يلى :

١ — موافقة فعله قوله : بمعنى ألا يقول شيئا ويعمل خلافه فاذا دعا الى معروف لا يفعل شرا ومنكرا ، واذا نهى عن منكر لا يفعله « وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه »[٤٠] والله ينعى على أولئك الذين تباينت أقوالهم مع أفعالهم « يا يها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ٠ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »[٤١] ٠٠ وقال : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »[٤٢]

---

(٣٩) سورة سبأ ٤٦ .
(٤٠) سورة هود من آية ٨٨ .
(٤١) سورة الصف آيتا ٢،٣ .
(٤٢) سورة البقرة آية ٤٤ .

ولان فعله ما يناقض قوله يكذبه فى دعوته ، لانه يدعو الى المعروف ولا يفعله ، فيرد المدعوون لو كان ما يدعونا اليه معروفا وحقا فلماذا لا يفعله؟! وهم محقون فى ذلك • فلابد للداعية لينجح فى دعوته من توافق القول والعمل ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من المخالفة فيقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »(٤٣) •

٢ — القناعة والرضا وعدم طلب ما فى أيدى الناس : بمعنى أنه يجب أن يكون راضيا بما أعطاه الله وما قسم له من رزق فلا يتطلع الى ما فى أيدى الناس أو يطلبه لأن ذلك قد يجره الى التفريط فى دعوته ، ويبتغى بها منفعة من أحد ، ولذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عندما قال له : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى »(٤٤) •

فالداعية يجب أن يكون عفيف النفس مستغنيا عن الناس •

٣ — طلاقة الوجه : بمعنى أن يكون سمحا بشوشا ، وهذا ما اتسم به النبى صلى الله عليه وسلم : « فبما رحمة من الله لنت لهم » وقد جعل صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة ، ويؤكد لنا أثر اللقاء بوجه طليق فيعده من المعروف فيقول : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك بوجه طليق » • فالاسلام لا يعترف بأولئك الذين يرسمون على وجوههم الغضب والاكتئاب خالطين بذلك بين الجدية وبين عبوس الوجه

---

(٤٣) الحديث متفق عليه .

(٤٤) سورة طه آية ١٣١ .

فالبسمة لها سحرها فى قبول الموعظة • ولا نعنى بذلك أن يكون الداعية ممثلا كوميديا — بل نعنى أن يكون طليق الوجه يظهر السرور لسامعيه لين الكلام مما يؤلف قلوبهم حوله •

٤ — الاقتصاد فى الموعظة : بمعنى أن يوجز فى وعظه ولا يطيل حتى لا يمله سامعوه فينصرفون عنه بعد فترة وأن يتحين الوقت المناسب لتلك الموعظة والمكان والمناسبة اذ أن لكل مقام مقالا — وقد قيل لعبد الله بن مسعود لو أنك ذكرتنا كل يوم فقال اما انه يمنعنى من ذلك إنى أكره أن أملكم وانى أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا »[٤٥] •

**( د ) المشاركة الوجدانية :**

وهذا يعنى أن يكون الداعية على صلة بمجتمعه يعيش مشاكلهم ويحاول التغلب عليها معهم ، لأن الداعية كمسلم يجب أن يكون ايجابيا فى مواقفه ازاء ما يعرض من مشكلات فى المجتمع ولا يكون بمعزل عن اهتمامات الناس ، « فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » •

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، فالداعية يجب أن يشارك مجتمعه فى أفراحهم وأحزانهم ومهام أمورهم ، وقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم اهتمامات قومه عندما شارك فى حرب الفجار ، وحلف الفضول — ولكن بدون أن يتأثر بعقائدهم أو ضلالهم ••

وتلك المشاركة تجعل الداعى مقبول الكلمة مسموع الرأى اذا أحسن الدعوة ، وراعى فيها الأصول النفسية ••

---

(٤٥) الحديث متفق عليه .

كما ينبغى أن يدعو الى الله على بصيرة وعلم بما يدعو اليه وأن يكون هدف دعوته واضحا فى ذهنه .. وأن يخطط فى الدعوة لما يحقق له غايته ..

وقد يتعرض وتتعرض دعوته لمقاومة من المدعوين لأنه يدعوهم الى خلاف ما ألفوه وما يأوا عليه من عقيدة على نحو ما سيأتى فى الفصول التالية إن شاء الله .

* * *

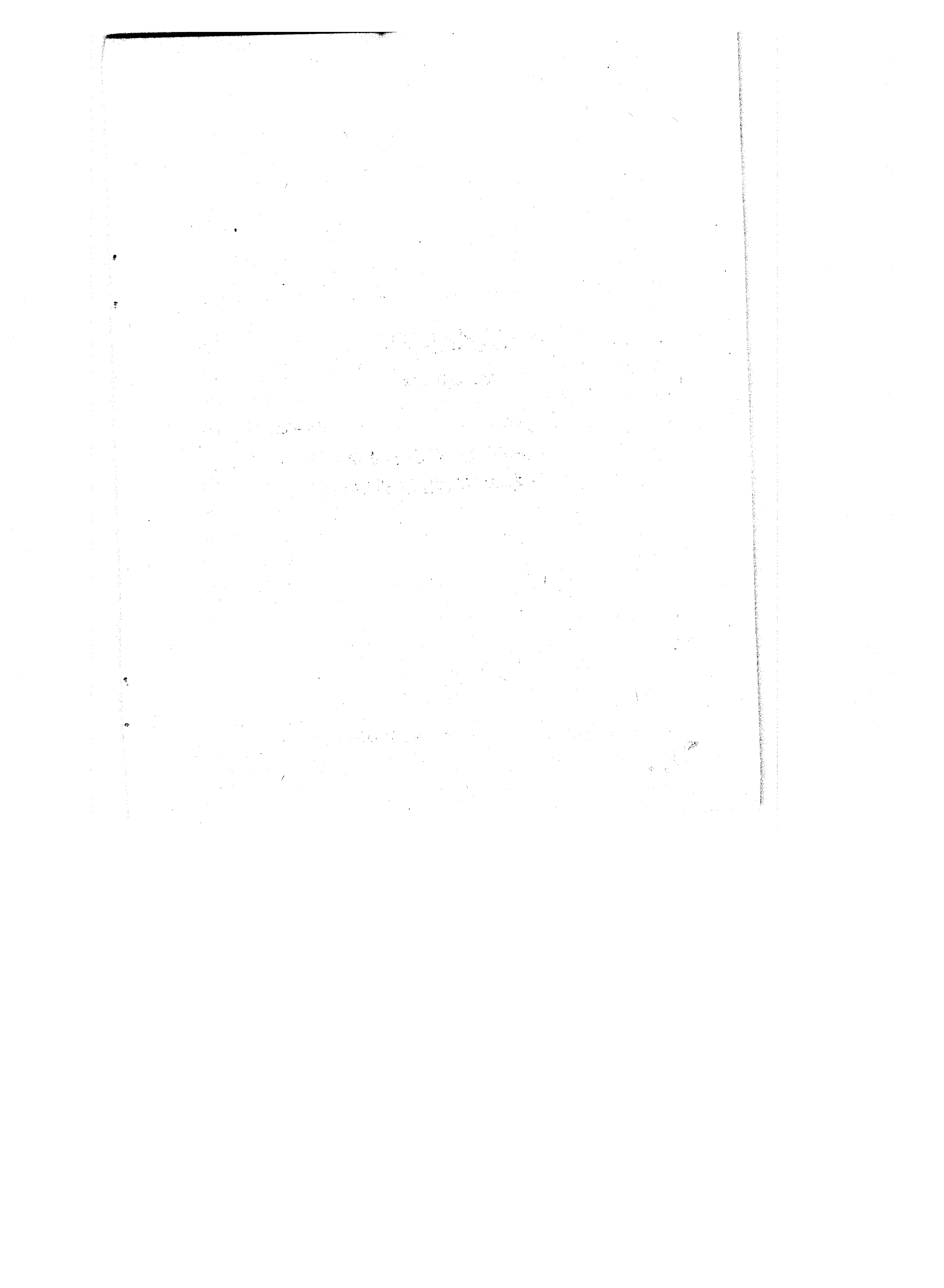
# الفصل الخامس

## تلقى الرســالة

ويشـــمل :

١ ـــ نزول جبريل عليه وبدء الوحى ٠

٢ ـــ فترة الوحى والتهيئة النفسية ٠



## المبحث الأول

### بـــدء الوحـــى

بعد أن أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة الشباب وحببت اليه الخلوة والتحنث والتعبد فى غار حراء وكان هذا بمثابة اعداد روحى وذهنى لتلقى أعظم أمر وأجل تكليف من ربه بتبليغ دينه الى الناس كافة ودعوتهم الى التوحيد الخالص ونبذ عبادة الأصنام — الى أن كان الوحى اليه فى رمضان فى ليلة القدر منه حيث نزل عليه أمين الوحى جبريل بالآيات الأولى من سورة العلق ليصل نور السماء بالأرض ولتشرق أنوار الهداية على العالمين ، ويتحدث رسول الله صلى الله عليه وســلم عن لقائه مع جبريل ونزول الوحى عليه .. فينقل البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها : « .. جاءه الملك وهو فى غار حراء ، فقال : اقرأ ، فقلت[1] ما أنا بقارىء ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قلت ما أنا بقارىء ، قال : فأخذنى فغطنى الثانيــة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى وغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • إقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » فرجع رسول الله يرجف بوادره حتى دخــل على خديجة ، فقال : زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة : أى خديجة مالى ، وأخبرها الخبر ، قال : لقد خشيت على نفسى ، قالت له خديجة : كلا ابشر فوالله ما يخزيك الله أبدا ، والله انك

---

(١) القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكى السيدة عائشة عبارته .

لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق •• فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عمها[٢] •• لماذا أتته ؟ لتقص عليه ما حدث للنبى وتطمئن على زوجها وتعرف حقيقة ما حدث له •

والمراد بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أنا بقارىء » فى تلك الرواية أى لا أحسن القراءة و ( ما ) نافية — وهذا هو الصواب ، كما حكى القاضى عياض خلافا للعلماء : فمنهم من جعلها استفهامية — والمعنى : ماذا أقرأ ؟ •

ويرى ابن حجر ان ( ما ) نافية أى لا أستطيع القراءة ، والباء زائدة فى « بقارىء » لتأكيد النفى ، فلما قال ذلك ثلاثا قيل له : « اقرأ باسم ربك » ، أى انك لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك ولكن بحول ربك واعانته فهو يعلمك كما خلقك »[٣] •

ويذكر ابن اسحاق رواية فى بدء الوحى تفيد ان النبى رأى ما رأى فى النوم ، ويروى ناقلا قول رسول الله : « •• جاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ ، قال : قلت ما أقرأ ؟ فغطنى به حتى ظننت انه الموت ، ثم أرسلنى فقال اقرأ ، فقلت ما اقرأ ؟ قال : فغطنى حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال إقرأ ، فقلت ماذا اقرأ ؟ ما قلت ذلك الا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم

---

(٢) من حديث مسلم عن عائشة — باب بدء الوحى ج ١ ص ٢٠٠ ط دار الفكر — ورواه البخارى •

(٣) انظر شرح النووى على مسلم ج ١ ص ١٩٦ ، وفتح البارى على البخارى — لابن حجر ج ١ ص ٢٤ ط دار الفكر •

بالقلم علم الانسان مالم يعلم » قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا .. »[٤] .

فأمامنا الآن روايتان :

( ١ ) الأولى : رواية البخارى ومسلم عن عائشة تفيد ان النبى أوحى اليه فى غار حراء فى اليقظة — حيث روى فيها انه رجع بها — أى بالآيات التى تلقاها من جبريل — أو بالقصة التى حدثت له مع جبريل ، وقوله لها : « زملونى .. فزملوه أى لفوه .. » وقوله : « خشيت على نفسى » وقوله : « يرجف فؤاده » يدل هذا على انفعال حدث له من مجىء الملك ومفاجأته به ومن ثم قال : زملونى — ووجه دلالة هذه التعبيرات على أن ما حدث لم يكن فى النوم :

١ — رجوعه بالآيات أو بالقصة وحكايتها لخديجة كان من غار حراء الى المنزل .

٢ — ورجفة الفؤاد وارتعاد الجسم لا يكون غالبا الا فى يقظة .

٣ — قوله زملونى أى لفونى — ولفوه — والغرض انه ملفوف مزمل أثناء النوم فدل هذا على انه كان يلبس ثوبه العادى الذى أحس معه بالبرودة — مما جعله يطلب زيادة بالزمال أى بما يلفه من ثياب أو غطاء .

وأخيرا لو كان الأمر مجرد رؤيا — فما وجه خشيته على نفسه ؟ خاصة وان ابن حجر ذكر أقوال العلماء فيما خشيه النبى صلى الله عليه وسلم على نفسه فذكر : الجنون ، وان يكون ما رآه من جنس الكهانة ، أو الهاجس ، أو الموت من شدة الرعب ، أو المرض ، أو العجز عن حمل أعباء النبوة ، أو العجز عن النظر الى الملك من الرعب ، أو عدم الصبر

(٤) انظر سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢١٦ بتصرف .

على أذى قومه ، القتل ، مفارقة الوطن أو تكذيبهم اياه .. وكل هـذه الأمور لا تدرك الا فى يقظة وليس فى مجرد رؤيا .

( ب ) الرواية الثانية : ما ساقه ابن اسحق فى سيرته ورواه ابن هشام .. الذى يبدؤها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جاءنى جبريل ( وأنا نائم ) بنمط من ديباج » . ويسوق الرواية الى أن يقول : « .. ثم انتهى — أى جبريل — فانصرف عنى وهببت من نومى فكانما كتبت فى قلبى كتابا » .. فهو بمقتضى تلك الرواية كان نائما .. ثم هب من نومه بعد أن انتهى جبريل من القراءة .

وهذه الرواية تفيد ان هناك بعضا من القرآن أنزل فى النوم وليس فى اليقظة والاجماع على غير ذلك ، ويفتح بابا أمام خصوم الحق لرد ما يشاؤون من القرآن على اعتبار انه كان فى رؤيا والرؤى لا تلزم أحدا بما فيها ..

ويمكننا الرد على ذلك بأن نقول :

ان الروايتين مقبولتان مع ان رواية البخارى ومسلم عن عائشـة أولى بالقبول وليس بينهما أى تعارض حيث انه يمكن الجمع بينهما بما روى عن عائشة فى الصحيحين : « أول ما بدىء به الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وانه كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثـل فلق الصبح » ووجه الدلالة فى ذلك ان الرسول رأى ما رأى فى النوم أولا — توطئة له وتهيئة نفسية له ليلقى الملك فى اليقظة حتى لا يفاجأ به ، ثم تحققت الرؤيا عندما جاءه جبريل فى غار حراء فى الحقيقة الجلية التى لا تقبل مراء .

---

(٥) انظر ابن حجر جـ ٢٠ ص ٢٤ مع تصرف .

فما ذكره ابن اسحــاق قد يكون رواية لرؤيا النــوم ، وما رواه الشيخان عن عائشة هو حكاية لما وقع فى اليقظة .. فلا تعارض حينئذ .

ومع ما أحس النبى به من فزع ورعده بعد نزول جبريل عليه فى غار حراء وعندما قص ما رآه على ورقة بن نوفل وأخبره ورقة بأن ما جاءه هو الناموس ( أى الوحى ) الذى يأتى الأنبياء من قبله ، وان قومه سيعادونه ويؤذونه ويخرجونه — وتساؤله أمام ورقة : أو مخرجى هم ؟ ويجيبه ورقة مبينا له صعوبة المهمة التى سيناط بها ، وعظم الأمانة التى سيحملها، والرسالة التى سيبلغها عن الله الى خلقه داعيا اياهم الى التوحيد والعبادة ونبذ ما ألفوه من عبادة الأصنام ، يقول ورقة : « والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبنه ، ولتؤذينه ، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه .

ثم انصرف رســول — صلى الله عليه وسلم — وعبــارات تكذبنه — فعال مبنيــة للمجهول بفتح الثالث مع ضــم الأول — والهــاء فى كل منها ليست ضمائر وانما للسكت ( والمعنى لتكذبن ) أى سيكذبك قومك وكذا الأمر فى ( ولتؤذينه — ولتخرجنه — ولتقاتلنه )[٦] .. مع كل هذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يترقب نزول جبريل مرة ثانية واشتاق اليه لانه علم الحقيقة فاستعدت نفسه للقاء وتحمل المهمة وأداء الأمانة .

---

(٦) انظر سيرة ابن هشــام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد — جـ ١ ص ٢٢٢ ط دار الجيل .

## المبحث الثانى

### فترة الوحى والتهيئة النفسية للداعية

بعد نزول جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالآيات الأولى من سورة العلق ومعرفة النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا هو الوحى الذى كان ينزل على الأنبياء من قبله ، وانه منوط بمهمة عظيمة هى هداية الناس الى الحق والى طريق مستقيم وانه نبى هذه الأمة .. اشتاق الى رؤية جبريل وتلقى الوحى منه عن الله تعالى .. وطالت مدة الانتظار وامتد أمد الترقب والتطلع .. حتى نزل عليه جبريل للمرة الثانية بوحى جديد والمدة التى كانت بين النزولين تعرف بفترة الوحى .

وقد فتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم حزنا غدا منه الى مرارا كى يتردى من شــواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد انك رسول الله حقــا ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، قال فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك[٧] .

**مدة فترة الوحى :**

روى عن العلماء عدة روايات فى تحديد مدة انقطاع الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد النزول الأول لجبريل :

فينقل ابن سعد فى طبقاته بعض ما قيل فى مقدارها : قيل : « كانت أياما ، وقيل : أربعون يوما ، وقيل : ستة أشهر ، وقيل : سنتان ونصف ، وقيل : ثلاث سنين » والراجح انها أربعون يوما[٨] .

---

(٧) انظر السيرة النبوية — ابن كثير مجلد اول جـ ١ ط دار الفكر .
(٨) انظر الطبقات الكبرى — ابن سعد جـ١ ص١٩٤ ، وانظر نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين — الشيخ محمد الخضرى بك ص ٣٤ .

ويعلق على مدة فترة الوحى الدكتور أبو شهبة فيقول : « والذى أراه وأميل اليه هو القول بأن أقصاها أربعون يوما ، ويليه القول الثانى وهو انها ستة أشهر ، وأما القولان الأخيران فانى أستبعدهما ، فالفترة انما كانت ليسترد النبى أنفاسه مما حدث له من ضغط جبريل وما عراه من الهول والفزع لأول لقاء بين ملك وبشر ، وليحصل للنبى شوق الى لقاء جبريل بعد هذه الفترة . أما أن يقضى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين أو سنتين ونصف من عمر الدعوة الاسلامية من غير وحى فهذا مالا تقبله العقول ولا يدل عليه نقل صحيح »(٩) .

فكان انقطاع الوحى أياما ليذهب ما كان بالنبى صلى الله عليه وسلم ما وجده من الروع وليحصل له التشوف العود ، فلما تقلصت ظلال الحيرة وتبينت أعلام الحقيقة وعرف النبى صلى الله عليه وسلم معرفة اليقين انه أضحى نبيا لله الكبير المتعال وأن ما جاءه سفير الوحى ينقل اليه خبر السماء ، وصار تشوقه وارتقابه لمجىء الوحى سببا فى ثباته واحتماله عندما يعود ، جاءه جبريل للمرة الثانية(١٠) .

**ماذا نزل من القرآن بعد فترة الوحى ؟ :**

يروى ابن هشام فى سيرته عن ابن اسحق ان الوحى عندما فتر بعد نزول جبريل على النبى وانباء ورقة اياه بأنه سيكون نبى الأمة — نزل

---

(٩) انظر السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة — د/محمد أبو شهبة — ج ١ ص ٢٦٤ ط دار القلم — دمشق ، وانظر الرحيق المختوم للمباركفورى ص ٧٨ .

(١٠) انظر دراسة فى السيرة النبوية — د/عماد الدين خليل ط الرسالة ، ودلائل النبوة للأصبهانى — ط دار المعرفة — بيروت لبنان .

عليه جبريل للمرة الثانية بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودعه وما قلاه .. الى اخر الرواية(١١) .

وتذكر بعض الروايات ان ما أنزل بعد الفترة هو أوائل سورة المدثر .

وبناء على أولية نزول المدثر بعد الفترة هذا جعل بعض العلماء يذهب الى أن أول ما نزل هـو المدثر وليس العلق .. وفيما يلى بيـان لتلك المسألة :

**(أ) من الروايات التى تبين ان المدثر أول ما نزل بعد الفترة :**

يذكر ابن كثير فى سيرته رواية الصحيحين حول ما نزل بعد الفترة ، فيروى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسـلم قوله : « بينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجئيت منه فرقا حتى هويت الى الأرض فجئت أهلى فقلت : زملونى ، زملونى فأنزل الله : « يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ، قال : ثم حمى الوحى وتتابع .. »(١٢) فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحى لا مطلقا ، خاصة وأن الرواية تذكر ان رسول الله كان يحدث عن فترة الوحى .

وقد ثبت عن جابر ان أول ما نزل « يا أيها المدثر » ويعلق ابن كثير قائلا : واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فان سياق الكلام — فى الحديث — يدل ما فيـه على تقدم الملك الذى عرفه ثانيا ، بما عرفه به أولا(١٣) ..

---

(١١) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٢٥ .

(١٢) الحديث رواه مسـلم — كتاب الايمان — باب بدء الوحى ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٣) السيرة النبوية — ابن كثير — مجلد اول — ط دار الفكر ص٤١٢ .

ويروى البخارى : عن وكيع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن انه سأله عن أول ما نزل من القرآن ، قال : « يا أيهـــا المدثر » قلت : يقولون : ( اقرأ باسم ربك الذى خلق ) قال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت ، فقال : لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ، ونظرت أمامى فلم أر شيئا ، ونظرت خلفى فلم أر شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت : دثرونى ، وصبوا على ماء باردا، قال : فدثرونى وصبوا على ماء باردا ، قال : فنزلت « يا أيها المدثر • قم فأنذر • وربك فكبر •• » ويعلق ابن حجر على تلك الرواية بقوله : « والمراد بالأولية فى قوله : أول ما نزل سورة المدثر أولية مخصوصة بعد فترة الوحى ، أو مخصوصة بالانذار والأمر به • لا ان المراد أنها أولية مطلقة — وكأن من قال : أول ما نزل ( إقرأ ) أراد أولية مطلقة ، ويحتمل أن تكون الأولية فى نزول المدثر بقيد السبب ، أى هى أول ما نزل بسبب متقدم ، وهو ما وقع من المدثر الناشىء عن الرعب ، وأما ( اقرأ ) فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم »(١٤) •

ويعلق النووى على حديث مسلم السابق : « قوله ان أول ما نزل قوله الله تعالى : « يا أيها المدثر » ضعيف ، والصواب ان أول ما نزل على الاطلاق « اقرأ باسم ربك » كما صرح به فى حديث عائشة رضى الله عنها ، وأما ( يا أيها المدثر ) فكان نزولها بعد فترة الوحى ، كما صرح به فى رواية الزهرى عن أبى سلمة عن جابر ، والدلالة صريحة ، فى مواضع منها قوله « وهو يحـــدث عن فترة الوحى » الى أن قال : « فأنزل الله

---

(١٤) أنظر فتح البارى — بشرح صحيح البخارى — ابن حجر — جـ ٨ ص ٦٧٨ ط دار الفكر بتصرف خفيف .

يا أيها المدثر .. » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « .. فاذا الملك الذى جاءنى بحراء .. ثم قال : فأنزل الله تعالى : يا أيها المدثر .. ومنها قوله : « ثم تتابع الوحى » يعنى بعد فترته . فالصواب أن أول ما نزل : اقرأ ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحى : « يا أيها المدثر »(١٥) .

وان نظرة فاحصة تبين لنا ان أول القرآن نزولا هو اقرأ كما هو الأصل الذى لا مراء فيه .. والحق ان الروايات غير متضاربة فى هذا لكل متأمل بصير ، فان أول ما نزل من القرآن الكريم لم يكن فيه الأمر بالتبليغ ، بل كان اللقاء فيه بروح القدس والاعلام بالقرآن الكريم وبمغزاه وهو تعليم الخلق وبيان الحق وانه كتاب الله تعالى يقرأ باسمه ويعرف به ذكره ، أما تكليف القيام بالتبليغ فقد جاء فى قوله تعالى : « يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر » وعندئذ قام الرسول بأداء الرسالة وشمر عن ساق العزم والجد فى دعوة الخلق الى الله(١٦) .

فنرى أنه من خلال روايات الصحيحين والتعليق عليها ان أول ما نزل بعد فترة الوحى هو سورة المدثر ، وأوليتها ليست مطلقة بل مقيدة بما بعد فترة الوحى — وأول ما نزل على الاطلاق هو سورة العلق حيث نزل عليه بها جبريل على نحو ما سبق بيانه وكان فى غار حراء ، أما روايته عن نزول المدثر فانه يذكر فيها انه كان يمشى فى الصحراء فسمع صوتا فرفع بصره الى السماء .. على نحو ما ذكر فى الرواية عن الصحيحين .

---

(١٥) شرح النـووى — على صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٠٦ ، وانظر فى ظلال القرآن سيد قطب جـ ٦ ص ٣٧٥٢ .

(١٦) انظر خاتم النبيين — الامام محمد ابو زهرة — جـ ١ ص ٢١٦ .

**( ب ) رواية من قال ان الضحى أول ما نزل بعد فترة الوحى :**

بالاضافة الى رواية ابن اسحاق السابق بيانها من أن سورة الضحى أنزلت على النبى بعد فترة الوحى يروى الترمذي عن جنــدب ، قال : « كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت أصبعه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت ، قال : وابطأ عليه جبريل ، فقال المشركون قد ودع محمد فأنزل الله تبارك وتعالى : « ما ودعك ربك وما قلى »(١٧) ..

ويعلق الأحوذى على تلك الرواية بقوله : « وأبطأ عليه جبريل أى تأخر واحتبس . قال الحافظ : والحق ان الفترة المذكورة فى سبب نزول والضحى غير الفترة المذكورة فى ابتداء الوحى فان تلك دامت أياما وهذه لم تكن الا ليلتين أو ثلاثا »(١٨) .

ويقول القرطبى معلقا على رواية ابن هشام أن الضحى أنزلت بعد فترة الوحى : وهذا محل نظر ولعلها غير الفترة التى نزلت بعدها ( والضحى ) ويقول : « ما ودعك ربك وما قلى » هذا جواب القسم وكان جبريل عليه السلام أبطأ على النبى صلى الله عليه وسلم فقال المشركون : قلاه الله وودعه فنزلت الآية .. وكان المشركون قد قالوا لما ابطأ جبريل عليه : ان محمدا ودعه ربه وقلاه ، ولو كان أمره من الله لتابع عليه كما كان يفعل من كان قبله من الأنبياء ، وفى البخارى عن جندب عن سفيان قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فجاءت امرأة هى العوراء بنت حرب — زوج أبى لهب حمالة الحطب ، فقالت يا محمد

(١٧) رواه الترمذى وحسنه .

(١٨) انظر تحفــة الأحوذى بشرح التــرمذى ـــ ج ٣ ص ٢٧٢ — ط دار الفكر .

انى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله عز وجل : « والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى »[١٩] .

وشواهد تلك الرواية تبين لنا أن الفترة التى أنزلت بعد « والضحى » غير تلك الفترة فى أول الوحى .

ونرى فى تلك المسألة هذا الرأى حيث ان شواهد تلك الرواية من سبب نزول « والضحى » ناطقة بأن الفترة هذه غير تلك — لان الرواية تقول ان امرأة أبى سفيان قالت أنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك .. وهنا نتساءل كيف تقول ذلك قاصدة جبريل مع ان الأمر كان فى أوله ولم ينزل عليه سوى سورة « اقرأ » — ولم يعلم بذلك أحد من المشركين أو من غيرهم .. بل من كان قد علم هو زوجته خديجة التى أخذته الى ابن عمها ورقة بن نوفل ولما سمع القصة منه عرفه بالنبوة ولم يكن النبى قد أخبرا أحدا ولم يعلن أمره ولم يبدأ حتى بالدعوة السرية لأنه لم يؤمر بها بعد ؟ .

وأبو لهب زوجها لم يعلم بالمسألة ولا بأمر الوحى الا بعد بدأ النبى بانذار عشيرته الأقربين بعد أن جاءه الأمر بالانذار وهذا فى سورة المدثر ثم تتابع الوحى .. بعد .. ثم بعد مرحلة فتر وأنزلت سورة الضحى فى الفترة الثانية .

وخلاصة تلك المسألة ان جبريل نزل عليه فى غار حراء بسورة العلق وعلى أثرها ذهب الى خديجة وقص عليها ما كان وطمأنته بعد أن ذهبت الى ورقة بن نوفل الذى أخبر بدوره النبى صـــلى الله عليه وسلم بأمر

---

(١٩) انظر تفسير القرطبى — ط دار احياء التراث — بيروت — وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٢ .

الرسالة والنبوة وهيأه نفسيا لتلقى الوحى مرة ثانية وترقب النبى نزول جبريل الذى فتر عنه ليهدأ انفعال النبى وليذهب عنه ما أحس به من المرة الأولى ثم نزل بعد ذلك وأمره بالانذار والتبليغ فى ســـورة المدثر التى أنزلت عليه بعد الفترة مباشرة على ما ذكر صحيح الروايات ، كما ان تلك الفترة لم تطل الا على بضعة أيام فقط •

**رواية تستحق التعليق :**

وهذه الرواية ليست لبحث مسألة مما ناقشناه من حيث المدة ، أو أول ما نزل ، أو غير ذلك •• وانما هى فى مسألة لها مساس بسلوك النبى صلى الله عليه وسلم ، هذه الرواية منسوبة الى أعظم كتب السنة وكتب الحديث كالبخارى وقد الصقت بها الصاقا وسرت منها الى عقول المسلمين، تقول الرواية : عندما فتر الوحى حزن الرسول حزنا شديدا غدا منه مرارا كى يتردى من شواهق الجبال فكلما أوفى بذروه جبل كى يلقى نفسه تبدى له جبريل ، فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا كمثـــل ذلك ••• الخ •• أى ان النبى صلى الله عليه وسلم يريد قتل نفسه •• يريد الانتحار •• وهذه الرواية غير مقبولة عقلا ، ومرفوضة وباطلة من عدة وجوه :

١ ــ تتعارض مع أصـــول الايمان وعصمة الرســـل ظاهرا وباطنا وخواطر وأفكارا ــ فلا يقع منهم اطلاقا ما يشكك فى نبوتهم ورسالتهم •

٢ ــ ويتعارض مع ما يجب أن يكون عليه النبى من رسوخ نبوته ، وفيها أيضا ان جبريل كان يتبدى له كلما أوفى ذروة جبل ليلقى نفسه ، وقوله يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن جأشه ــ فاذا طالت عليه فترة الوحى عاد من جديد لما كان عليه فأين رباضة الجأش هنا ؟ •

٣ ــ زيادة ( التردى من شواهق الجبل ) مشكوك فيها ، هل هى من زيادة معمر على رواية عقيل ــ أو هى داخلة فى رواية عقيل ؟ ــ ويقول ابن حجر : ان هذه الزيادة ــ عندى ــ خاصة برواية معمر •

٤ — ان هذه الرواية تشمل أمرين :

( ا ) أولهما : ظاهر محسوس يمكن مشاهدته والحكم بوجوده أو عدم وجوده بمقتضى امكان مشاهدته حسا •

( ب ) والثانى : باطن محجوب فى داخـل النفس لا يمكن معرفته لأحد الا باخبار صاحبه الذى دار فى نفسه أو اخبار من أظهرهم عليـه بنقل ثابت •

فذهاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى شواهق الجبال وأعاليها التى ألفها وألف الصعود اليها فى أزمان خلواته وتطلعاته للتفكر فى عجائب الله الكونية وبدائع ملكوته أمر محسوس يمكن مشاهدته — ويمكن أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد حزن فى فترة الوحى اشتياقا لأنوار الشهود الروحانى الأعلى •

أما كون هذا الذهاب الى شواهق الجبال وذراها لقصد إلتردى منها ليقتل نفسه كما هو نص الرواية أمر مستور وباطن محجوب فى حنـايا النفس لا يعلمه الا الله ، ولم يثبت قط فى حديث صحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عن نفسه فى مدة فترة الوحى انه كان يذهب الى قمم الجبال الشواهق وذراها ليرمى نفسه من فوقها انتحارا لحزنه على فتور الوحى ، ولذا فقد كان نسبته ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم منكرا من القول — وكل ما نقـل من روايات عن فترة الوحى لم يشر الى تلك الرواية الزائفة[٢٠] ••

وينبغى التوقف أمامها ومعرفة ما تضمنته من أباطيل قـد تطرب وتفرح أعداء الاسلام وخصومه ويجدون فيها مطعنا على شخص صاحب الرسالة وحامل الأمانة رسول الله عليه الصلاة والسلام •

---

(٢٠) هـذا الرد بايجاز — انظر تفصيل هذا فى كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الصادق عرجون — من ص ٣٨٦ الى ص ٤٠٥ — ط دار القلم •

## السيدة خديجة تحدد صفات الدعاه

من خلال ما سبق يتبين لنا فى وضوح وجلاء ما يجب أن تتحلى به الدعاة من صفات وما يتميزوا به من سمات خلقية لينجحوا فى دعوتهم وقد أوجزت كل هذا السيدة خديجة رضى الله عنها — عندما عاد اليها الرسول صلى الله عليه وسلم من غار حراء وطلب الدثار والغطاء من شدة ما يعانيه وذلك فور نزول الوحى عليه ، ثم قص عليها ما كان •• وهى لا تعلم تعليلا لما حدث ، لكنها استنبطت أن ما حدث لن يكون الا خيرا واعتمدت فى هذا على ما علمته من كريم الخلق وعظيم الخلال عن رسول الله فقالت له : « •• ابشر فوالله ما يخزيك الله أبدا ، والله انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق •• » •

فهو بهذا أهل لحمل الرسالة ونيل الكرامة •• فهو غير قاطع لرحمه التى تستحق وصلها ، كما انه صادق فى حديثه ، كما انه يساعد الضعيف ويقويه عونا له على ما هو فيه ، كما انه يعطى المعدوم ويفرج كربته ، ويكرم الضيف الذى يجيئه •• ويساعد أصحاب الحق على الحصــول عليه •• وهذه صفات فى مجملها تــدل على قمة المرءوة والشــهامة ، والايجابية مع المجتمع — مع إنه كان يحب العزلة والخلوة ليتفكر ويتأمل — ومع هذا شارك المجتمع مشاركة وجدانية فى مشاكله وحلها — وقد عصمه الله عن ضلالات العقيدة وزيغ عبادة الأصنام •• فالصفات الرئيسية التى يجب أن يتحلى بها الداعية الناجح من خلال ذلك :

١ — صلة الرحم وزيارة القربى ومن له حق الصلة والبر عليه ولا يعزل نفسه عن أهله •

٢ — التزام الصدق فى كل شىء : فى قوله وفعله وأن يتوافق القول مع الفعل ولا يقع بينهما تناقض • فيصدق مع الله ، ومع نفسه ، ومع الناس •

٣ — أن يشارك الدعاة فى معاونة الضعفاء وحملهم ومساعدتهم على قضاء مصالحهم — وذلك اما أن يكون بصورة فردية ، أو فى صورة جمعيات خيرية تنشأ لغرض مساعدة الضعفاء واعانتهم •

وللدعاة درو كبير فى الدعوة الى مثل ذلك •

٤ — كرم الطباع وحب البذل والعطاء : وهذا يتجلى فى مساعدة المعدومين والفقراء بالماليات أو العينيات ، كما يتضح فى اكرام الضيف والاحتفاء به • وعلى هذا فان الداعية يجب أن يعرف عنه الكرم والشهامة •

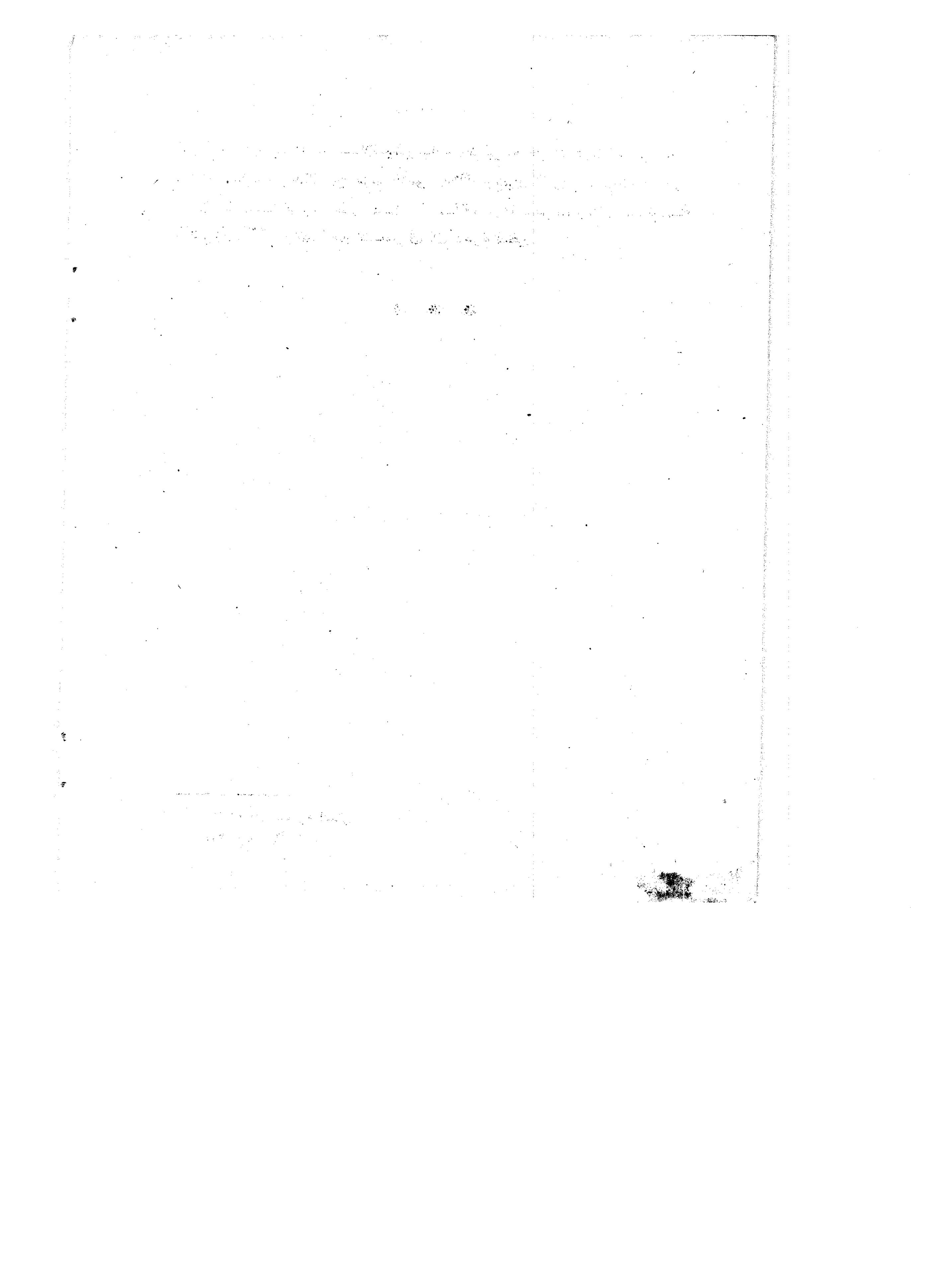
وبالتالى فانه ليس بمعزل عن مجتمعه ومشاكله والمشاركة قدر استطاعته بما يستطيع فى حل تلك المشاكل — فهو شخصية ايجابية منبسطة ، وليس شخصية سلبية منطوية ، شخصية مرحة ، لا مكتئبة انه شخص سوى •

٥ — كما يجب أن يتحلى بالصبر الجميل على كل ما يصادفه من عقبات ومشكلات حتى ييسر الله له طريق الحل ، وأن يكون صابراً على من يدعوهم الى الحق متحملا أذاهم حتى يهديهم الله ، لأن طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود والأضواء كما يتوهم البعض وانما هو طريق شاق لا يتمكن من السير فيه الا من كان من أولى العزم أو تشبه بهم فى الصبر « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وينقل القرآن وصية لقمان

لابنه « يا بنى أقم الصـــلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصـــبر على ما أصـــابك ان ذلك من عزم الأمور »[٢١] ويقول آمرا رســـوله « وأمر أهلك بالصـــلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبـــة للتقوى »[٢٢] . فهذا هو الصبر فى كل دعوة للخير .

* * *

(٢١) ١٧ سورة لقمان .
(٢٢) طه ١٣٢ .



# الفصل السادس

## دعوة الحق بين السر والعلانية

**ويشمل :**

**١ ــ الدعوة السرية وحكمتها ·**

**٢ ــ المرحلة العلنية للدعوة ·**

## المبحث الأول

## المرحـــلة السرية للدعـــوة

بدأت هـــذه المرحلة وذلك الطور السرى من أطوار الدعوة بعد أن نزلت سورة المدثر على النبى صلى الله عليه وسلم وتضمنت الأمر الصريح بالانذار والدعوة إلى الله حيث قال تعالى « يا أيها المدثر • قم فأنذر • وربك فكبر • وثيابك فطهر • والرجز فاهجر •• الآيات » • وعندئذ جال بخاطر النبى صلى الله عليه وسلم بمن يبدأ ؟ والى من يفضى بدعوته ؟ — وكان لابد من أن تكون البـــداية بأقرب الناس اليـــه ، وبمن يثق فيهم ويطمئن اليهم من أصدقائه وخلانه ، فعرض الأمر عليهم فآمن به عدد قليل فى أول الأمر •

وكان من الطبيعى أن تؤمن به زوجتـــه خديجة التى ذهبت الى ابن عمها ورقة بن نوفل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول جبريل عليه فى المرة الأولى فى غار حراء واستوثقت من نبـــوته • وكانت بمثابة حماية نفسية له فى دعوته فى داخل المنزل ، وقد خفف الله عليه بها ، فكان لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه أو تكذيب له فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس •

وكان ممن أســـلم فى تلك المرحلة الأولى : على بن أبى طالب الذى آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه ، وصلى معه وكان عندئذ ابن عشر سنين •

---

(١) كانت الصـــلاة فرضت على الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى بدء
—

وأسـلم بعده زيد بن حارثة الذى كان قد أتى به حكيم بن حزام بن خويلد من الشام مع رقيق كان فيهم ، واختارته خديجة غلاما لها ، ولما رآه رسول الله عندها استوهبه منها فوهبته له ، فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه وكان ذلك قبل الوحى . وعندما حضر أبوه ليأخذه خيره رسـول الله صلى الله عليه وسلم فاختار أن يقيم مع رسـول الله وصدقه وكان يصلى معه .

وممن أسلم فى هذه المرحلة أيضا صديقه الوفى : أبو بكر الصديق — وكان اسمه عبد الله بن أبى قحافة ، وأظهر اسلامه ودعا الى الله ورسوله — وكان ممن أسلم بدعوته : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام بن خويلد ابن أسـد ، وعبد الرحمن بن عوف بن عبـد الحارث ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيدة بن عثمان وجاء بهم أبو بكر الى رسول الله حين استجابوا له وأسلموا وصلوا ..

وهؤلاء النفر السابقون الى الاسـلام حيث سبقوا الناس فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءه من الله .

وبعدهم تتابع الناس الى دخول الاسلام والاستجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فأسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سـلمة ابن عبد الأسـد ، والأرقم بن أبى الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وأسلم عبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل

---

= الدعوة وقد روى ان جبريل علمه الوضوء والصلاة وحدد له الأوقات وصلى جبريل برسول الله ليعرفه الكيفية ، وصلى رسول الله بخديجة ليعلمها الكيفية كذلك — وقد اكد فضل الصلاة ليلة الاسراء والمعراج حيث فرضت من فوق بسبع سموات ، فهناك للصلاة فرضيتان .

ابن عبــد العزى ، ثم أسلمت أسماء وعائشــة إبنتا أبى بكر ، وخباب ابن الأرت ..

وقد أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ثلاث سنين .

**حكمة سرية الدعــوة :**

البــدء بالدعوة سرا يدل على سياسة حكيمة رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجب أن يلاحظها أصحاب الدعوات فى دعواتهم حتى تحقق النجاح المطلوب والأمل المرجو والمنشــود ، وترجع حكمة السرية الى ما يلى :

١ — كانت الدعوة سرية فى مبــدأ أمرها وتتم فى الكتمان والخفــاء وذلك حتى لا يقاومها الأعداء وهى لما تزل فى مهدها الصغير ، ثم تطورت بعد ثلاث سنين ، فكانت الدعوة ابتداء خفية لتتكون خلية الاسلام وأن الخلايا يكون بذر البــذور فيها بالكتمان لأن الجهر بها يبــددها قبل أن تتكون حتى ينمو عودها وتتكون سوقها .

٢ — كان أهــل مكة ســدنة الكعبة والقــائمين على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب ، فالوصول الى المقصود بالاصلاح فيها يزداد عسرا وشــدة عما لو كان بعيــدا فالأمر يحتاج الى عزيمة لا تزلزلها المصائب والكوارث كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة فى بدء أمرها سرية لئــلا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهــم . فكان لابد من اطمئنان الرسول صلى الله عليه وسلم الى من بدأ معهم دعوته . لتكون منهم الركيزة الأولى للانطلاق — وليطمئن الى ثبات الايمان فى قلوبهم حتى لا يفتنوا بعد[٢] .

(٢) انظر السيرة النبوية — أبو شهبة — جـ ١ ص ٢٨٣ .

فكل تعليـــلات السرية ترجع الى أن الدعوة فى بدئها ضعيفة تحتاج الى ركيزة أولى تقوم عليها وهذا لا يتم الا فى سرية والا لو أعلن الأمر فى بدايته لقضى على الدعوة فى مهـــدها ، فكان لابد من أن تمر بمرحلة من النمو تؤهلها لمقاومة أنواء المشركين وتصديهم للحق .

ومثل الدعوة الخفيـــة كمثل جنين تكون فى بطن أمه فانه لا يظهـــر للوجود حياة كاملة صالحا لأن يقاوم دواعى الفناء ، والأخذ من عناصر البقاء ، والتغذى بكل أسباب القوة فكذلك الدعوة الى كل فكرة تقتضى التدبير الخفى ثم الاعلان الجلى . ويرى الامام أبو زهرة أن الاستخفاء فى هذه الفترة ليس الاستخفاء بالدعوة فقد كان النبى صلى الله عليـــه وسلم يعلن ما جاء به من نذير وما فى حمبته من تبشير ولكن الاستخفاء كان فى اقامة العبادة التى دعا اليها رب العالمين[٣] .

ويقول البوطى فى سيرته : « .. ألهم الله تعالى رســـول صلى الله عليه وسلم — والالهام نوع من الوحى اليه — أن يبدأ الدعوة فى فترتها الأولى بسرية وتكتم ، وألا يلقى بهـــا الا من يغلب على ظنه أنه سيصيخ لها ويؤمن بها تعليما للدعاة من بعدم وارشادا لهم الى مشروعية الأخذ بالأســـباب الظاهرة والحيطة ، وما يقرره التفكير والعقل الســـليم من الوســـائل التى ينبغى أن تتخذ من أجل الوصـــول الى غايات الدعوة وأهدافها ، ومن هنا ندرك أن أسلوب دعوته عليه الصلاة والسلام فى هذه الفترة كان من قبيل السياســـة الشرعية بوصف كونه اماما ، وليس من

---

الرحيق المحتوم — صفى الرحمن المباركفورى — رابطة العالم الاسلامى — مكة ص ٨٥ .

السيرة النبوية — ابن كثير ج ١ ص ٤٢٧ .

(٣) خاتم النبيـــين ج ١ — محمد أبو زهرة — ط دار الفكر العـــربى ص ٣٢٣ .

أعماله التبليغية بوصفه كونه نبيا »[٤] ونحن نوافق الاستاذ البوطى فى ذلك ففى فعله صلى الله عليه وسلم درس عملى لكل من يتصدى لدعوة اصلاح ولكل مبلغ عن الله فلابد من التدرج فى دائرة النشر وتحديد مركز الانطلاق بدقة وبثقة تامة ، وذلك تمثل فى الرعيل الأول الذين أسرعوا الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا نقطة الانطلاق وقد قويت هــذه الانطلاقة بحيث لم يردها عنت المشركين واسرافهــم فى التعذيب والتنكيل فى المرحلة التاليــة ، والداعى صاحب دعوة الحق عنــدما يريد مباشرة دعوته عليه أن يبدأها فردية لأن اقناع الفرد عن طريق الحوار الهادىء والعقل الناضج أيسر من اقناع الجماعة ، بل ان من بين الجماعة قد يكون بعض الأفراد صادفت الدعوة منهم قبولا ولكنهم تحت ضغط العقل الجمعى والسلوك الجماعى العام لا يجرؤن على الاعلان عن ذلك ، فعندئذ لابد من الاتصال الفردى .

ولأن للجماعة تأثيرها على الفرد ويشترك معها فى السلوك العام — حتى ولو يكن موافقا عليه — فقد دعا القرآن الى الخلوة الى النفس أو الى صــديق وفى للحوار الهادىء للوصول الى الحق والصــواب ، فقال تعالى : « قل انما أعظكم لواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا، ما بصاحبكم من جنة ، ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد »[٥] — وعندئذ يكون الوصول الى الحق أرجى ، والايمان بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم أوقع .. وعلى ذلك فانه يجوز لأصحاب الدعوة الاسلامية فى كل عصر أن يستعملوا المرونة فى كيفية الدعوة من حيث التكتم والجهر أو اللين والقوة حسب مقتضيات كل عصر وملابسات الأحوال .

---

(٤) فقه الســيرة — د/محمد سعيد رمضان البــوطى ص ٧٦ ط دار الفكر .

(٥) سبأ آية ٤٦ .

## المبحث الثانى

## المرحلة العلنية لدعوة الحق

بعد مضى ثلاث سنوات على بدء الدعوة السرية ودخل فيها أفراد عديدون كانوا بمثابة الركيزة الأولى ونقطة الانطلاق وقد ارتوت قلوبهم برحيق الأيمان ، وسما وجدانهم وارتقى فكرهم ، وعزموا على إلتزام الحق والصبر عليه .. كان الأمر الالهى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يعلن دعوته ، ويجهر بأمره ويصدع به .

**الأمر بالجهر :**

أنزل الله تعالى أمره الصريح الى رسوله صلى الله عليه وسلم ليجهر بما أمر به فقال تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »[٦] وقال : « وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »[٧] وقال « وقل إنى أنا النذير المبين »[٨] فتلك الآيات أمرت بأن يجهر بدعوته مع عدم الاهتمام بالمشركين الذين سيقفون منه موقف العداء ومن دعوته موقف الخصوم الحاقدين ، كما أمرت بأن يبدأ بانذار عشيرته وأقاربه وخفض الجناح لمن آمن به ، مع بيان مهمته الأساسية وهى أنه نذير مبين ، يبين الحق من الباطل والخطأ من الصواب .. وعندما جهر بالدعوة واستعلن بها هو وأصحابه لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى عاب آلهتهم وسفه أحلامهم ، وبين لهم ما هم فيه من ضلال وجهل وخرافات .. عندئذ جاهروه وأصحابه

---

(٦) الحجر ٩٤ .

(٧) الشعراء ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٨) الحجر ٨٩ .

بالعداوة وعزموا على مخالفته عصبية وجهلا ، ولما لم يمكنهم أن يقرعوا الحجة بالحجة وأفحموا لجأوا الى السباب والشتم ، والايذاء والتعذيب وبدأ دور المحنة والبلاء وكان دورا طويلا شاقا ..

**التنفيـــذ العملى للأمر الالهى :**

ها هو النبى صلى الله عليـــه وسلم قد أمر بأن يجهر بالدعوة وأن يعلن أمره ، وهو يعلم تماما ما قد يصادفه من الأعراض وصور السخرية والاستهزاء والتهكم ، والايذاء الجسمانى والنفســـانى ، ولكن لابد أن تكون البداية العلنية ..

صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر ، يا بنى عدى ، لبطون قريش حتى أجتمعوا ، فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما الأمر ؟ فجاء أبو لهب وقريش ، فقـــال : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيـــلا بالوادى تريدان أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا قط — وفى رواية — ما جربنا عليك الا صدقا ، قال : انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ..

قال أبو لهب : تبا لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا ، فنزل قول الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب » .. وهذا يدل على أن كبير المعارضة عم النبى صلى الله عليه وسلم ، لكيلا يعلم الناس أنها عصبية أسرة أو بطن من قبيلة ، انما هى رسالة الله الى خلقه .

وقد ذكر مسلم فى روايته أنه لما نزلت الآيات وقف النبى صلى الله عليه وسلم وقال « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا صفية — عمة رســـول الله — لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا فاطمة — بنت رســـول الله — سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

ويذكر ابن كثير : أن النبى دعاهم مرة ثانية ، ووقف وقال :

« الحمد لله واستعينه ، وأثق به وأتوكل عليه وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له ، ثم قال : ان الرائد لا يكذب أهله ، والله الذى لا اله الا هو انى لرســـول الله اليكم خاصة ، والى النـــاس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاســـبن بما تعملون ، وانها للجنة أبدا أو للنار أبدا .. » وقد أيده أبو طالب بقوله : أمض لما أمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأنفعك غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب .

أما أبو لهب فكان لجوجا كعادته وفى بذاءة لسانه ، فقال : هذه والله السوءة خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم . فقال أبو طالب ( مصرا ) والله لنمنعنه ما بقينا ..

ويذكر الندوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى جبل الصفا صعد ونادى بأعلى صوته « يا صباحاه » وتلك كانت صيحة معروفة لدى العرب ومألوفة عندهم كلما أحس إنسان بخطر عدو يغير على بلد أو على قبيلة على غفلة منها نادى « يا صباحاه » — فلم تتأخر قريش فى تلبيـــة هذا النداء واجتمعوا اليـــه بين رجل يجىء ورجل يبعث اليـــه رسوله ..

ومما اتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم : انه بعد أن نزلت آيات الجهر بالدعوة وانذار العشيرة الأقربين كلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن عمه عليا بن أبى طالب أن يصنع لهم طعاما ويدعو أهله اليه وفيهم عمومته بنو عبـــد المطلب وأولادهم نحو الأربعين رجـــلا ، فلما اجتمعوا كلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأن الدعوة الاسلامية وما تنادى به من نبذ معتقداتهم الفاســـدة والايمان بالله وحده فغضبوا وقاطعوا كلامه وانصرفوا مسرعين ..

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ييأس ولم يؤثر موقفهم من الاعراض عن دعوته والانصراف عما يقـول فاعاد الوليمة ودعاهم فلما اجتمعوا قال لهم : « ما أعلم انسانا فى العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به ، لقـد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة ، وقـد أمرنى ربى أن أدعوكم اليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر ؟ » فاعرضوا عنه وهموا بتركه ، واذا بعلى بن أبى طالب ينهض — وكان لا يزال صبيا — فيقول : « أنا يا رسـول الله أنا حرب على من حاربت » وحينئذ ابتسـم بنو هاشم وقهقه بعضهم وأخذ نظرهم ينتقل بين أبى طالب وابنه وقالوا فى سخرية : لقد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه ثم انصرفوا مستهزئين ..

بعد هاتين المحاولتين وتكرار الاعراض فيهما لم يهن عزم رسول الله صلى الله عليـه وسلم ولم يقعده ذلك عن عزمه ولم يسلمه الى يأس بل انتقل بدعوته من محيط العشيرة الأقربين الى أهل مكة جميعا ، واتجه نحو الصفا وصعد ونادى بأعلى صوته على جميع القبائل .. على نحو ما سبق من الروايات المذكورة[٩] ..

وواضـح أن خطورة دعوة العشـيرة الى الوليمتين واعراضهم عن النبى صلى الله عليه وسلم كانت سـابقة على صعوده على الصفا ونداء القبائل — وهذا تدرج طبيعى فى التوسع فى دائرة التبليغ .

ومن خـلال ذلك نلمس حكمة النبى صلى الله عليـه وسلم فى تنفيذ الأمر الالهى بالجهر بدعوة الحق .. فعندما نزل الأمر الالهى بدأ بعشيرته الأقربين ..

---

(٩) القول المبين فى سيرة سيد المرسلين — د/محمد الطيب النجار — ط دار اللواء — المملكة العربية السعودية الرياض ص ٨٧ .
وانظر فقه السيرة — الغزالى — ص ١٠٢ ، وانظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٥٩ — دار المعرفة .

( ا ) وهذا تطوير عن مرحلة السرية الســـابقة ، فقد كانت الدعوة تتسم بالفردية •

وجمع العشيرة الى الوليمتين وكان العدد حوالى أربعين رجلا وعرض النبى عليهم أمر الدعوة ، ودعاهم الى الايمان ونبذ عبادة الأصنام — كان هذا توسيعا لدائرة الدعوة • مع أنهم أعرضوا جميعا ، « وقد خص عشرته الأقربين بالانذار لتنحسم أطماع عشيرته ، وأطماع الأجانب فى مفارقته على الشرك » ••

وعشيرته الأقربون قريش وقيل عبد مناف ، ووقع فى صحيح مسلم « وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين •• »[١٠] •

ومما قيل فى البدء بعشـــيرته الأقربين وتخصيصهم بالذكر مع أنهم داخلون ضمن من أمر بأن يصدع لهم بالأمر •• فيا ترى ما الحكمة فى هذا التخصيص ؟ •

والجواب أن هـــذا الماح الى المسئوليـــة ودرجاتها التى تتعلق بكل مســـلم عموما وأصحاب الدعوة خصـــوصا وأدنى درجات المسئولية هى مسئولية الشخص عن نفســـه وتلك تمثلت فى مدة فترة الوحى ، ليطمئن النبى صلى الله عليـــه وسلم على أنه نبى مرسل وأن ما ينزل عليه وحى من الله — عز وجل — أما الدرجة الثانية فهى مسئولية المسلم عن أهله وممن يلوذون به من ذوى قرباه ، وهذا هو تخصيص الأهل من العشيرة بالانذار والتبليغ بعد أن أمر بالجهر العام والتبليغ الشامل • أما الدرجة الثالثـــة فهى المسئولية عن المجتمع وســـائر القوم والبلدة ، ومسئولية الحاكم عن دولتـــه — وكل من الدعاة والحكام هما الوارثان الشرعيـــان

---

(١٠) تفسير القرطبى ج ١٣ ط دار احياء التراث — بيروت ص ١٤٣ •

لرسول الله صلى الله عليه وسلم • والعلماء ورثة الأنبياء ، والحاكم خليفة عن رسول الله[١١] •

( ب ) وهذا أيضا تطوير عن المرحلة السابقة ( مرحلة تبليغ الأهل والعشـــيرة ) فبعد أن تبين الموقف الأعراضى فى صورة سخرية واستهزاء وقهقة البعض والانصراف عنه بعد أن أولوا عنده — انتقل النبى من هذا المحيط الى محيـــط الدعوة العامة لجميع القوم عنـــدما صعد على الصفا ونادى فعم وخص وصاح بأعلى صوته ليعلن الحق على أسماع الجميع مستخدما فى ذلك أسلوبه الأخاذ الرائع فى اقناعهم بما يدعو اليه •

١ — ففى بداية حديثه الى القبائل بعد أن اجتمعت يعتمد على مقدمة يسلم بها الجميـــع ، فيسألهم : •• لو أخبرتكم أن خيـــلا بالوادى تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ يجعلهم أولا يسلمون بعدم كذبه وبما عرفوه عنه من الصـــدق والأمانة ، فيجيبونه فورا ، معترفين له بذلك : « ما جربنا عليك الا صدقا » وفى الرواية الأخرى « ما جربنا كذبا قط » هذا تسليم كان من المفروض أن يسلموا بما سيأتى بعده من خبر •• وعندما ذكر لهم ذلك الأمر من التوحيد « انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد •• » لم يرد عليـــه أحد بالتكذيب الا عمه أبو لهب الذى لم يكذبه صراحة ولكن سبه ودعا عليه بالتباب ••

والدافع له الى هذا كان أى شىء غـــير التكذيب أو الشك فى صدق النبى صلى الله عليه وسلم والا فانه كان يستطيع أن ينقض المقدمة التى

---

(١١) انظر فقه الســـيرة لمحمد سعيد البوطى — ط دار الفكر ص ٨٠ مع تصرف .

وانظر : زاد المعاد فى هدى خير العبـــاد — ابن القيم الجوزية — ط مؤسسة الرسالة — ص ٨٦ ج ١ .

قدم بها النبى ، ويذكر ولو واقعة واحدة تشير الى أن النبى قد كذب ..
لكنه سلم مع غيره بأن النبى صادق .

وهذا ملمح يجب أن ينتبه اليه الدعاة وهو حسن السيرة بين القوم
وأن يكون له من الثقة فى نفوسهم ما يجعلهم يسمعون دعوته ويستجيبون
لأمره ، اذ لو كان غير ذلك ما سمع منه أحد شيئا ولرد كلامه عليه وفشل
فى دعوته .

٢ — وفى موقف آخر من مواقف الدعوة نرى رسـول الله صلى الله
عليه وسلم بعد أن يحمد الله ويستعينه ويتوكل عليه ويشهد بأنه واحد
لا اله الا هو ولا شريك له — وهذا تقرير لما سيدعو اليـه — نراه يؤكد
الصـدق لقوله : ان الرائد لا يكذب أهله ويقسـم بالله الواحد على أنه
رسـول الله الى الناس كافة — وهذا القسم مع التسليم بصدقه يؤكد
أهمية ما سيدعو اليـه — ثم يقرر لهم عقيدة الآخرة من الموت والبعث
ويستخدم فى ذلك أسـلوبا رائعا حيث يقيس غائبا على حاضر — فهم
يعلمون النوم وما يعترى الانسان فيه من عدم الاحساس والادراك لما
حوله ، أما الاستيقاظ فعودة الحركة والحيـاة والادراك — يقيس لهم
النبى الموت على النـوم ، والبعث على اليقظة ليقرر المعنى فى قلوبهـم
« والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون » وهـذا ما ينبغى
مراعاته على الداعيـة أن يكون واضحا فى دعوته مستخـدما فى ذلك
الأساليب السهلة الواضحة التى تصل الى النفوس ، وكم من نافرين من
الدعوة لعـدم فهمهم اياها ربما لتقعر الداعيـة أو لجهله أو لعدم فهمه
دعوته .

٣ — وفى توجيـه الخطاب الى فاطمة ابنته ، والى قريش ، وبنى
عبد المطلب والتأكيد فى كل نداء أنه لا يغنى عنهم من الله شيئا فيه بيان

الى أنه لا نافع الا الايمان والاستجابة لداعى التوحيد ، ولا تغنى قرابة أو نسب من الله شيئا •

ويجب أن يضـــع كل من يتصدى للدعوة الى الله نصب عينيه أن موقف أبى لهب من السب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والتحريض عليه عنــدما قال خذوا على يديه قبل أن يأخذه غـــيركم •• وتلك المواقف الاعراضية من القوم انما هى نماذج متكررة وفى صور مختلفة ومتنوعة حسب كل عصر وزمان — فليكن الداعى متأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثبات على المبــدأ والاصرار على تبليغ الدعوة وايصال الحق الى العباد •

وأسوق ما قاله النــدوى تعليقا على خطاب النبى لقومه وسوقه مقدمة الصدق « كان العرب واقعيين عمليين انهم رأوا رجلا جربوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة ، قد وقف على جبل يرى ما أمامه وينظر الى ما وراءه وهم لا يرون الا ما هو أمامهم فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم الى تصديق هذا المخبر الأمين فقالوا : نعم ، ولما تحققت شهادة المستمعين ، قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شـــديد » وكان ذلك تعريفا بمقام النبوة وما ينفرد به من علم بالحقائق الغيبية والعلوم الوهبية ، وموعظة وانذار فى حكمة وبلاغ لا نظير لهما فى تاريخ الديانات والنبوات — فلم تكن طريق أقصر من هذا الطريق ، ولا أسلوب أوضح من هذا الأسلوب ، فسكت القوم ، ولكن أبا لهب قال : تبا لك سائر هذا اليوم أما دعوتنا الى لهذا »[١٣] •

---

(١٢) السيرة النبــوية — السيد ابى الحسن على النــدوى — ط دار الشروق — جدة — ص ٨٨ •

وانظر : الســيرة النبوية لابن كثير — ج ١ ص ٤٥٦ ط دار الفــكر بيروت •

وهذا المعنى الذى قررناه يؤكد لنا ولسائر الدعاة أن الداعية لابد أن يكون واضح الأسلوب ناضج الفكرة — يرتب دعوته ترتيبا منطقيا مع البعد عن غريب الأســاليب ، والتعقيدات التى تجعل مدعويه يرفضون دعوته التى لم يفهموها لصعوبة عرضه لها وركاكة أسلوبه فى تبليغها .

والانسان عدو ما يجهل .

## التخطيـــط الدعـــوى

ليعلم الدعاة أن الدعوة الناجحة هى التى تقوم على التخطيـــط لها ورسم خطة مرحلية لتبليغها والدعوة اليها — أما اذا كانت عملية التبليغ قائمة على المصادفة حسبما اتفق فان الداعية لا يحقق هدفه الذى يصبو اليه ..

فاذا كانت دعوته الى شىء جديد أو غير مألوف لدى المدعوين فلابد أن يعمل أولا على كسب مؤيدين له مقتنعين بفكرته مؤمنين بدعوته وهدفه الذى يرجوه ، وتلك المرحلة لابد أن يعتمد فيها على الاتصـــال الفردى واللقاء الشخصى المتأنى مع الالحاح المهذب فى الدعوة الى الحق ، ولكى يتحقق ذلك يجب أن يكون صاحب الدعوة على وعى كامل بدعوته ، وعلم محيط بما يدعو اليه — حتى يزيل أى لبس أو تساؤل لدى الشخص الذى يدعوه — أما ان جعل دعوته مجرد شعارات أو خيالات خادعة فانه الى فشل واخفاق .

وبعد عمليـــة الاتصال الفردى وتكوين الخليـــة الأولى ، والركيزة الأساسية فى الدعوة يوسع الداعية دائرة التبليغ فتأخذ الشكل الجماعى المحدود عامدا فى ذلك الى الوضوح والمسلمات العقلية لدى المدعوين حتى يحظى بقبـــولهم دعوته وتأييدهم اياها اذا تركوا أهواءهم جانبـــا — وعصبياتهم وراء ظهورهم .

وهذا ما فهمناه من خـــلال مرحلتى الدعوة السرية ثم الجهرية بعد تكوين الركيزة الأولى فى المرحلة السرية .

وأن يعلم الداعية أن دعوته لابد أن تصادف مقاومة من ذوى الأهواء والأغراض ممن لا يرضيهم الحق — وأساليب هذه المقاومة قد تتنوع من القول الى الفعل من المعارضات القوليـــة الى القهر والاضطهاد والتعذيب ويتحقق النصر للدعاة بقدر الاخلاص والصبر .

# الفصل السابع

## المحـــاولات القوليـــة
## لمقـــاومة الدعوة والصـــد عنها

ويشمل :

وفد قريش مع أبى طالب ·
التخطيط الاعلامى للصد عن الدعوة
( اتهامات وبراءات ) ·
التشويش على الدعوة ·
الدعوة من الاعراض والايذاء المادى ·
أسلوب المفاوضات والاغراء ·
الاثارة القولية للداعية للايقاع به ·
الدعوة بين التبليغ والمقاومة ·

## المبحث الأول

## وفد قـــريش مع أبى طالب

بالطبع عنـــدما أعلن النبى صلى الله عليه وسلم دعوته وصدع بها تنفيذا لأمر الله تعالى قلقت قريش لذلك ، الا أنهم لم يردوا عليـــه ولم يبعدوا عنه الا عندما عاب آلهتهم وسفه عقولهم ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا على عداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون •

وحدب عليـــه عمه أبو طالب وحفظه ورعاه ومنعـــه منهم ، ومضى رسول الله على أمر الله ، فلما رأت قريش ذلك بدأوا عدة محاولات لصرف عمه عنه ليسلمه اليهم••فشكلوا وفدا من أشرافهم ذهبوا الى أبى طالب••

حديث الوفد : قالوا لأبى طالب : يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضـــلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيننا وبينـــه ، فانك على مثل ما نحن عليـــه من خلافه فنكفيكه •• هـــذا كلام الوفد لأبى طالب •• وذلك وفد من كبارهم حتى يتركوا معانى فى قلب أبى طالب ليجيبهم الى ما يطلبون •• ولاسيما أولئك الذين لهم وزن ومكان فى العرب فقـــد تكون وفدهم من عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وأبى سفيان بن حرب ، وأبى البخترى ، والأسود بن المطلب ، وأبى جهل ، والوليـــد بن المغيرة ، ونبيه ومنبه ابنى الحجاج بن عامر ، والعاص بن وائل كل هؤلاء ذهبـــوا الى أبى طالب يكلمونه فى أمر ابن أخيه ، لكن أبا طالب رد عليهم رد جميلا رقيقا فانصرفوا عنه ••

والرسول صلى الله عليه وسلم مستمر فى دعوته وماض على ما هو عليه من اظهار دين الله واعلاء كلمة الحق وشرى الأمر بينهم وبينه حتى تضاغنوا وأكثرت قريش من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تزامروا وحض بعضهم بعضا عليه •

وهذا بالطبع زاد قلق قريش وعاود الوفد أبا طالب من جديد لكن فى هذه المرة كان بلهجة غير المرة الأولى وبلغة مغايرة •• وبصورة أحد •

**الوفد يهدد :**

قال الوفد متوعدا : « يا أبا طالب ، ان لك سنا وشرفا فينا وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا •

لقد كان التهديد لأبى طالب باعلان العداوة وقد أزالوا كل الحجز فى القول ولم يراعوا سنا أو شيخوخة ولا شرف منزلة كما ذكروا فى الأولى وبلاشك أن تغير لهجة القول كان له أثر فى نفس أبى طالب وأحس بضيق فى الأمر ، وان لم يتبرم من حماية حبيبه ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه أراد أن يعرض عليه ما أصابه من ضيق ويشركه فى الأمر الذى تفاقم ••

فقال له : « يا ابن أخي أن قومك جاءونى فقالوا كذا وكذا فأبق على نفسك وعلى ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق •• » •

**ثبات الداعية :**

سمع الرسول صلى الله عليه وسلم من عمه ما قاله •• انه بين أمرين هل يرد على عمه بأنه ترك أمر الدعوة ليصلح ما بين عمه وبين القوم ؟ أو

يرد بأنه على مبدئه واصراره فى انفاذ وعد الله وأمره له بدعوة النـــاس ؟ لكنه يرفع رأســـه معلنا تمسكه بدعوته وثبـــاته على طريق الله القويم ومواصلة التبليـــغ والدعوة مهما كانت النتائج ، فيرد رد أولى العزم من الرسل « يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه ما تركته .. » ثم أستعبـــر فبكى ليس ضعفا ولكنه يرجـــو من عمه وحبيبه لا يســـلمه ولا يخذله ..

ويرد أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدا ..

محاولة جديدة : حادث القوم أبا طالب فى أن يأخذ عمارة بن الوليد قائلين : هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه ولك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك ، وأســـلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفـــرق جماعة قومك وسفه أحلامنا فنقتـــله فانما هو رجل برجل ..

لكن أبا طالب يرد عليهم قائلا : والله لبئس ما تسوموننى أتعطوننى ابنكم أعـــذوه لكم ، وأعطيـــكم ابنى فتقتلونه .. هـــذا والله ما يكون أبدا[١] ..

---

(١) انظر خاتم النبيين — لأبى زهرة — ص ٤٢٠ مع تصرف خفيف .

وانظر القول المبين فى سيرة سيد المرسلين — الطيب النجار — ص ١٠٠ ط دار اللواء .

وانظر السيرة النبوية للندوى — ط دار الشروق — جدة ص ٨٩ .

وانظر السيرة النبوية — ابن كثير ج ١ ص ٤٧٥ ط دار المعرفة — بيروت لبنان .

وانظر السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة — ابو شهبة — ص ٣٠١ ج ١ ط دار القلم — دمشق .

عجبا لهؤلاء القوم ؟ !

يحاولون محاولات مستميتة لصرف أبى طالب عن نصرة ابن أخيه حتى ينفردوا به فينالوا منه ما يريدون من قتله ..

فليعلم كل حامل للدعوة ان التاريخ يعيد نفســه وان هذا النموذج من قريش نموذج متكرر على مدى الزمان ، والمكان .

فقد يسعى أعداء الدعوة إلى صرف محبى الدعوة ومريدى الداعيــة عنه بشتى الطرق والأساليب — بالطعن فى سلوك الداعية المفترى عليه لينفروا منه أحبابه وأنصــاره ، أو بتهديدهم ان هم ظلوا معه ولكلامه سامعين وبفعاله مقتدين وعلى طريقته سائرين وبالنظر فى التاريخ القريب أو البعيد نجد نماذج لهذا ..

فليثبت الدعاة مع محبيهم لا يرهبون تهديدا ولا وعيدا ، ولا اغراء .. ولا بديل عن الايمان والدعوة .

## المبحث الثانى

## التخطـــيط الاعلامى للصـــد عن الدعوه

## ( اتهامات وبراءات )

بعد أن حاول زعماء قريش صرف النبى عن دعوته عن طريق تهديد أبى طالب بالقتال ، وعنـــدما اتضح موقفه من الدعوة وأنه لن يسلم ابن أخيه لشىء يكرهه وثبت النبى على موقفه من تبليغ هدى الله الى الناس.. وجدوا أن أنوار الحق تسرى وأن أمر الاســـلام يفشو والأتباع رغـــم ما يلاقونه من تعذيب ومهانة يتكاثرون اجتمع صناديد من أهل الباطل ليتفقوا على حملة اعلامية يشوهون بها وجه الدعوة وصد الناس عن سبيل الله ، وعن الدعاة ودعواتهم ..

فقد حضر الى الوليد بن المغيرة نفر من قريش وذلك عندما حل موسم الحج وحان قدوم العرب الى مكة .. اجتمعوا لماذا ؟ يريدون أن يرسموا خطة لابعاد الناس عن سماع الحق من رســـول الله .. لينفروا الناس منه .. أرادوا أن يتفقوا على قول واحد يجيبون به من يسأل عن الدعوة من الوفود القادمة ..

قال الوليد : يا معشر قريش انه قد حضر الموسم وأن وفود العرب ستقدم عليـــه وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، فاجمعوا فيـــه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا .

قالوا : فأنت يا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

عجبا لهؤلاء القوم ! ان فى كلامهم هذا دليلا على أنه لا توجد أسس معقولة رفضوا عليها دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وانما كان كل منهم

رفضهـا لهواه الخاص لذلك أرادوا أن يوفقوا بين الأهواء ويجمعوا على باطل واحد ليردوا الناس عن الحق واتبـاعه والحجر على عقولهم لذلك ناقشوا كل الصفات التى نسبوها اليه ليختاروا منها واحدة •

**الاتهامات والبـراءة :**

وها هم يثبتون التهمة وينفونها على النحو التالى :

١ ــ الاتهام الأول :

قال قائلهم : نقول انه كاهن ••

البراءة : قالوا والله ما هو بكاهن ، نفوا عنه الكهانة ، والأدلة : لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ــ أى كلامه الخفى •• ولا سجعه •

٢ ــ الاتهام الثانى :

قال قائلهم : نقول انه مجنون ••

البراءة : قال ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته •• براءة مع الدليل •

٣ ــ الاتهام الثالث :

قال قائلهم : نقول انه شاعر ••

البراءة والدليل : قال : ما هو بشـاعر ، لقد عرفنا الشعر كله •• رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه فما هو بالشاعر •

٤ ــ الاتهام الرابع :

قال قائلهم : نقول انه ساحر ••

البراءة والدليل : قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ••

يا سبحان الله ••!

اتهامات باطلة يفترونها ، ثم براءات مدعمة بالأدلة يقدمونها .. ومع ذلك يصرون على نسبه تهمة باطلة.وأبطلوها بأنفسهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ..

وفى النهاية يتفقون على وصفه بالسحر .. حيث يشير عليهم الوليد بقوله : ان أقرب القول فيه أن تقولوا انه ساحر ..

ويحاول تبرير هذا الوصف فيقول : جاء بقول هو سـحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته .. فتفرقوا عنه بذلك .

وهنا لنا وقفة : لقد أنكروا السحر وأقاموا الدليل على عدم صحة نسبته اليـه .. ثم يعودون اتباعا لأهوائهم وتنفيثا لحقدهم بوصفه به من جديد مبررين ذلك بأسباب وأدلة واهية .

فما فرق النبى بين أحد وأحد .. وأن الفرق وقع بين المؤمن الذى صدق وآمن وبين الكافر الذى طغى وبغى وصد عن سبيل الله .

لقد أقاموا الأدلة على براءته من الكهانة والسحر والشعر والجنون بأنفسهم .. ولكن حقدهم لم يرض بهذه البراءات فبدلا من أن يسلموا له ويؤمنوا بدعوته .. يعودون لوصفه بالسحر الذى نفوه عنه من قبل .. وهذا كله للنيل من شخص الداعى لينصرف الناس عن دعوته ، ويفقدوا الثقة فى قوله ..

وهذا أسـلوب متبع فى الوقت الحاضر حيث تقوم وسائل الاعلام المعادية للاسلام بتشويه صورة المسلمين فى مجتمعاتهم للنيل من الاسلام ذاته .. ونسبة ما هم — أى المسـلمون — فيه من تخلف وضياع وتبعية الى الاسـلام كمنهج .. وغاب عنهم أن ما حاق بالمسلمين من هذا الهوان انما هو لبعدهم عن الاسلام وأخلاقياته ومنهجه .

**التنفيذ العملي للحمـــلة :**

بعد الاتفاق والتخطيــط على الباطل جلسوا فى طريق القـــادمين الموسم ، ليصـــدوهم عن الدعوة •• فكانوا لا يمر بهم أحد الا حذروه ، وذكروا له أمر النبى — وقالوا له انه ســـاحر فهم يبدءون القادم بالكلام ثم يصفون النبى بالسحر ••

ويتحدث القرآن عن موقف الوليد وقومه المتآمرين : « ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا • ومهدت له تمهيدا ثم يطمـــع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيـــدا[٢] • سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر • ثم قتـــل كيف قدر • ثم نظر ثم عبس وبسر • ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر »[٣] •

ولو تأملنا سير الأحداث وعقد المؤامرة الاعلامية والاتفاق على خط معاد من التشـــويه •• لوجدنا أنهم أفادوا الدعـــوة من حيث أرادوا الاضرار بها ••

فهم كانوا يتلقفون القـــادم ويذكرون لهم أمر النبى مع الاتهـــام بالسحر •• وهنا نتساءل : هل يلزم أن يكون هذا القادم قد علم بالبعثة النبوية ؟

فكأنهم أخبروا وأعلموا غـــير العالمين بأمر الدعوة •• ولا يلزم أن تصدق اتهامهم صاحب الدعوة بالسحر فهذا يجعله يسأل غيرهم ويعرف حقيقة الدعوة والداعية وربما يكون ذلك دافعا الى الاسلام •

فقد قاموا بدور اعلامى مضـــاد ولكنه عرف الناس بالدعوة فسأل عنها وعن صاحبها واستزاد من الحق فى أمرها[٤] ••

---

(٢) أى خصيما •
(٣) سورة المدثر من آية ١١ — ٢٥ •
(٤) انظر ابن هشام ج ١ ص ٢٤٢ •

والذى تولى كبر هذا التشويه أبو لهب فعندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الناس اذا وافى الموسم فى منازلهم وفى عكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم الى الله كان أبو لهب — وراءه يقول : لا تطيعوه فانه صابىء وكذاب(٥) .

وفى رأيى أن ما حدث من هؤلاء النفر من قريش وما قام به أبو لهب أكبر دعاية للاسلام حيث أن الوفود كانت تسأل عن الأمر وتستبينه وتكتشف سفاهة أبى لهب ، وقد ساعد ذلك على انتشار الدعوة وتساءل من لم يعلمها عنها وعندما عادوا الى بلادهم قصوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فذاع أمره وشاع فى كل البقاع .

---

(٥) انظر الرحيق المختوم — المباركفورى — ط رابطة العالم الاسلامى ص ٩٣ .

وانظر السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ط دار الشروق ص ٩٥ .

## المبحث الثالث

## التشـــويش على الدعوة وصـــاحبها

بعد أن تبين لنا فى ما سبق التخطيط الذى تم لصرف القادم من خارج مكة عن الدعوة بالنيل من شخص صاحبها بوصفه ســاحرا ، كان هناك أيضا من يحاول التشويش على الدعوة لصرف أهل مكة عنها لا عن طريق اتهام النبى صلى الله عليــه وسلم بالسحر — فقد كانوا يعلمون ويعرفون الحقيقة — وانما عن طريق استبدال أساطير الأولين بالقرآن حتى يصرفهم عن سماع القرآن •

فقد روى أن النضر بن الحارث — من شياطين قريش — وكان ممن يناصب النبى صلى الله عليه وسلم العداوة •• وكان قد تعلم بها أحاديث رســتم واسبنديار ، فكان اذا جلس رسول الله مجلســا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصــاب من قبلهم من الأمم من نقمــة الله • جلس مكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن يقوم ، ثم يقول : انا والله يا معشر قريش أحسن حديثــا منه فهلم الى فأنا أحدثكم أحسن من حديثــه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورســتم واسفنديار ، ثم يقول : بماذا محمــد أحسن حديثا منى ؟ •

وهذا أسلوب فى صرف الناس من أصحاب الدعوات البناءة والهائهم عن اتباع الحق والتزام الصــواب • وذلك الشقى هو المراد بالضمير فى قول الله تعالى : « واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » •

وعلى نفس الخط كان أبو لهب وامرأته ، فعندما جمع النبى القبائل وعرض عليهم الاسلام ودعاهم الى الله رد عليه أبو لهب « تبا لك سائر.

هذا اليـــوم ألهذا جمعتنا » فانزل عليـــه فى الرد « تبت يدا أبى لهب وتب » •

ومن المفارقات العجيبـــة أن أبا لهب هذا عم النبى صلى الله عليـــه وسلم وهو الذى أعتق ثويبـــة جاريته عندما بشرته بميلاد محمد — ومع هذا كان من أشـــد الناس عداوة له •• وكانت امرأته أم جميل من أشـــد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت تسعى بالافساد بينه وبين الناس بالنميمة وتضع الشوك فى طريقه والقذر على بابه فينحيه ويقول : أى جوار هذا يا بنى عبد مناف ؟ فلا عجب اذا كان الله قد توعدها بالنار كما توعد زوجها •

ومما رواه الامام أحمد فى مسنده عن رجل هو ربيعة بن عبادة وكان جاهليا فأسلم ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى ســـوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها قولوا لا اله الا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليـــه ووراءه رجل قضىء الوجـــه أحول ذو غديرتين يقول : « انه صـــابىء كاذب يتبعه حيث ذهب فســـألت عنه فقالوا : عمه أبو لهب » •

ويذكر المباركفورى أن هناك عدة أساليب لمجابهة الدعوة ، منها : الســـخرية والتحقير ، وتشويه تعاليمه واثارة الشبهات وبث الدعايات الكاذبة ، بحيث لا يبقى للعامة مجال فى تدبر دعوته ، وكانوا يقولون عن القـــرآن « أساطير الأولين اكتتبها » وكانوا يقولون « انما يعلمه بشر » كما كانوا يقولون عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق •• » ••

حملة دعائية منظمة للتشـــويه وصرف الناس عن الدعوة وصاحبها بشتى الأساليب • تشويه شخص الداعية واتهامه بالأباطيل والأكاذيب

وتشويه الدعوة ذاتها بمعارضتها بما يتوهم أن يصرف الناس عنها •• ولم يعلم هؤلاء •• أن ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم تلبية لنداء الفطرة التى تميل لعبادة الله والتدين واشباع الجانب الروحى الذى لا تشبعه الأباطيل والأضاليل ••

وليتنبه الدعاة الى تلك الحملات التى تهدف الى التشويش على الدعوة وصرف الناس عنها بأساليب متنوعة فى الوقت الحاضر •

## المبحث الرابع

## الدعـــوة بين الاعـــراض والايذاء

مما يؤلم الداعيـــة أن يعرض دعوته بدقة ومهارة ثم يجد إعراضـــا ونفورا ممن سمعوه ، وعدم اهتمام بما دعا اليـــه حيث قد يسبب له ذلك احباطا وهذا اللون من الايذاء النفسى تعرض له رســـول الله صلى الله عليه وسلم ‥ فمن ذلك :

لما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف يطلب النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه راجيا أن يقبلوا ماجاءهم به من الله عز وجل ، فخرج اليهم وحده ولما وصل اليـــه عمد الى ثلاثة نفر من ســـادة قريش وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة هم : ( عبد ياليل ) و ( مسعود ) و ( حبيب ) أبناء عمر بن عمير بن عوف فكان عند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم رســـول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهـــم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاســـلام والقيام معه على من خالفه ‥ ، ولكن بماذا رد عليه ثلاثتهم ؟ ردوا عليه باجابة متكاملة منهم ، فقد قال الأول وهو ينزع ثياب الكعبة — : ان كان الله قد أرسلك ‥ وقال الآخر : أما وجد غيرك أحدا يرســـله ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ‥ لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك ‥ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يئس من خيرهم وطلب منهم أن يكتموا عنه لأنه كره أن يبلغ قومه عنه فيثيرهم ذلك عليه ‥ وبالطبع لم يفعلوا ‥

ومن مواقف الايلام النفسى ما كانت تفعله أم جميل زوجة أبى لهب فعندما سمعت ما انزل فيها وفى زوجها من قرآن أتت رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفى يدها حجر ملء الكف فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله انى لشاعرة ، ثم قالت :

مذمما عصينا ... وأمره أبينا ... ودينه قلينا

وانصرفت فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟ فقال ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى .. وكانت قريش تسمى رسول الله .. لكراهيتهم له وذكر اسمه على ألسنتهم « مذمما » بدل « محمد » ..

عجبا لتلك المرأة بذيئة اللسان التى تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانها ولم تكتف بذلك بل أرادت أن تضربه بالحجر الذى كان معها لكن تتجلى عناية الله برسوله بأن أخذها ببصرها عنه .. ولكن بذاءة لسانها لم تكف فقالت ما قالت من هذا الشعر ..

ومن ذلك أيضا ما ذكر من أن أبا جهل كان اذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنبه وأخزاه ، وقال : تركت دينك ودين آبائك وهم خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفيلن رأيك ، ولنضعن شرفك ، وان كان تاجرا قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

وذكر ابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعرض للاستهزاء والسخرية منه ومن دعوته ويلقى ما يلقى من التكذيب والأذى وكان عظماء المستهزئين خمسة نفر ولهم مكانة وشرف فى قومهم وهم الأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلاطلة — وهؤلاء لما تمادوا الى

الاستهزاء وتمادوا فى الشر وأكثروا من الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عليه : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين •• » •

وقد كفاه الله اياهم عن نحو ما سيأتى ••

فاسلوب السخرية والتحقير والاستهزاء بالداعيــة والاعراض عنه قد يصادف الدعاة فى حركتهم لتبليغ الدعوة ••

## المبحث الخامس

## أســـلوب المفاوضات والاغـــراء

ومن الطرق التى قد يسلكها أعداء الحق التظاهر باللين واللطف مع صاحب الدعوة والتفاوض معه ليترك الحق الذى هو عليه ولا يؤدى أمانة تبليغ الدعوة الى العالمين • وهذا الأسلوب قد تعرض له النبى صلى الله عليه وسلم ••

فعنــدما رأت قريش أن حمزة قد أســلم وأن الدعوة ماضية وأن أصحاب رسول الله يتزايدون — رغم ما يتعرضون له من التعذيب والقمع — لجأوا الى أســلوب آخر من أساليب مقاومة الدعوة وهو الاغــراء والمكر فارسلوا سيدا منهم هو عتبة بن ربيعة يتحدث بلسانهم ، قال عتبة : يا ابن أخى••انك منا قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضا ••

قال النبى : قل أبا الوليد أسمع ••

قال : يا ابن أخى •• ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تصير أكثرنا مالا ••

وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك •

وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ••

وان كان الذى يأتيك هذا رئيا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ••

يا سبحان الله .. ! ؟ يعرض المتحدث بلسان القوم الاغراءات التى يسيل لها لعاب أى شخص يطلب الدنيا .. أنها أمور قد تجعل الضعاف يفكرون فيها وربما آثروها على دعواتهم ..

يعرضون عليه المال .. يقدمون رشوة لاسكاته ..

يعرضون عليه السيادة عليهم .. ويعرضون عليه الملك ..

ألوان شتى من الاغراءات المال .. المنصب .. السيادة ..

ولكن بماذا رد عليهم رسول الله ؟

بعد أن انتهى عتبــة ، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال : فاسمع منى ، قال : فقل — قال : « بسم الله الرحمن الرحيم • حم • تنزيل من الرحمن الرحيــم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشــيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ... الآيات الى أن وصل الى السجدة فسجد[٦] ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ، سمعت فأنت وذلك .. وكان أبو الوليد أثناء قراءة النبى صلى الله عليه وسلم يسمع منصتا وألقى يده خلف ظهره معتمدا عليها ليسمع ..

ويرد عليهم رســـول الله فيما عرضوه عليــه .. مابى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيــا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم ..

---

(٦) الآيات سورة فصلت من ١ — ٣٨ .

ونلمس فى هـذه المحاورة ما قد يلجأ اليـه بعض أعداء الدعوة من وسائل اغراء الدعاة •• كما تتضح حكمة النبى صلى الله عليـه وسلم فى الرد البليغ من القرآن الكريم والأسلوب المهذب الذى رد به على عتبـة ردا على تودده اليه ••

فقال عتبة : يا ابن أخى ••

فيخاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم بـ ( يا أبا الوليد ) بكنيته ولم يناده باسمه رغم أنه يعرف الغاية التى جاء من أجلها ، ورغم الأمور التى عرضها عليه ويرفضها النبى صلى الله عليه وسلم لما يقاطعه ولم يصده بل انتظر حتى إنتهى من كلامه ثم قرأ عليه القرآن •• ومن هذا يجب أن يتعلم الدعاة أن يسمعوا لغيرهم ولا يقاطعوهم حتى وان اختلفـوا معهم فى الرأى والغاية حتى اذا ردوا عليهم كان الرد كاملا ومقنعا •• أما أن يدعوا التعصب بعض من يحمـلون الدعوة الى رفض سـماع أى رأى مخالف فهذا ليس فى صالح الدعوة ••

وقد يلجأ أعداء الدعوة الى نسبة الجنون والمرض العقلى الى الداعى وهـذا نلمسه فى قول عتبـة : وان كان الذى يأتيك هذا رئيـا من الجن لا تستطيع رده عنك طلبنا لك الطب •••

وفى فتـرة من التاريخ صودرت آراء جمـاعة من الدعاة وأودعوا مستشفيات الأمراض العقليـة بدعوى أنهم مجانين ، وآراؤهـم آراء لمعدومى العقول •• وعنـدما إنفرجت الأزمة افرج عنهـم وخرجوا من المستشفى لا لأنهم شفوا من جنونهم فهم ليسوا كذلك •• وانما لأن من أدخلوهم قد زالوا عن ملكهم وأعيـد الحق الى نصابه وأعتـرف بالعقل لأصحابه ••

وهنـاك بعض صور المساومات التى هى محاولات كانت ليـلتقى الاسلام والجاهليـة فى منتصف الطريق بأن يترك المشركون بعض ما هم

عليـــه ويترك النبى بعض ما هو عليـــه كقوله تعـــالى « ودوا لو تدهن فيدهنون » •

وقد روى ابن جرير والطبرانى أن المشركين عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعبدوا آلهتهم عاما ، ويعبـــدون ربه عاما ، وقد روى عنهم أنهم قالوا : « لو قبلت آلهتنا نعبد الهك •• » ولكن الداعية مبدأ والحق لا يقبل الباطل فلا يلتقيـــان أبدا •• فالأمور اما حق واما باطل ، أو نور أو ظلام •• فما بعد الحق الا الضلال ••

## المبحث السادس

## اثارة الداعية بالقول للنيل منه بالأذى

وهذا أسلوب استفزاز حتى يستثار الداعى فيخطىء فيؤخذ بخطئه ويعاقب به ويوقع به بسببه ويجد الأعداء مبررا لهذا الايقاع ٠

وقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لمثل هذا الموقف ٠٠

حيث يروى ابن هشام : أن أشرافهم اجتمعوا يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ٠ سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ٠٠ فبينما هم كذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر عليهم غمزوه ببعض القول ، وعرف ذلك فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرف ذلك فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طير ٠٠ حتى قام اليه أحدهم ليرفؤه ( ليهدئه ) ، بأحسن القول ٠٠ حتى قال : يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا ٠٠ فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر ٠

فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم كذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون :

أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقــول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رســول الله : نعم • أنا الذى أقول ذلك ، وأخــذ رجل منهم بمجمــع ردائه •• فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ ثم انصرفوا عنه صلى الله عليه وسلم ، وقيل رجع أبو بكر ، وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر •

ومن هنــا نلمس أن استفزازهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليقع فيما يعتقدونه خطأ •• واجابة الرسول صلى الله عليــه وسلم لهم لم تتعد الحقيقة فهم قوم يهزأون برسول الله اليهم فهم هلكى ما لم يرجعــوا عن غيهم •• وعندما وثبوا اليــه قائلين أنت الذى تقول كذا وكذا •• لم ينكر النبى ولم يخش كثرتهم بل قال : نعــم •• حتى أخذوا بمجمع ردائه •• يريدون الايقاع به •

وهذا توصية للدعاة فى كل عصر ألا يستجيبوا لاثارة المثيرين ، فربما يكون هذا الشخص الناقل الى الداعى ما يغضبه وما يثيره ليعلنه قد يكون مدفوعا من ألد خصوم الداعى ليأخذوه بخطئه ••

وليلزم الداعى الأدب والحلم فى كل مواقفه ولا يخرج عن الليــاقة مهما كانت الظروف مع تمسكه بالحق وتبليــغ دعوته •• والقيام بواجبه بالحكمة والموعظة الحسنة ••

## المبحث السابع

## الدعـــوة بين التبليغ والصـــد

عندما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تبليغ الدعوة الى قومه سلك الرسول صلى الله عليه وسلم كل الأساليب والطرق فى تبليغ الدعوة والاستمرار فى هداية الناس من هذه الصور :

١ ـــ مقابلة الوفـــود : ومن ذلك مقابلته وفد النصـــارى وعرض الاســـلام عليهم ، وكانوا عشرين رجـــلا قدموا الى رســـول الله وهو بمكة حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه بالمسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه .. وكان رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسائلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا ، دعاهم الرسول الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه ـــ أى القرآن ـــ فاضت أعينهم بالدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش ، فقـــالوا لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتـــأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنـــده حتى فارقتم دينكم وصـــدقتموه فيما قال ما نعلم ركب أحمـــق منكم ، فقالوا لهم : ســـلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيرا »[٧] .

ويقال ان هؤلاء النصـــارى من نجران وفيهم نزلت هـــذه الآيات : « واذا يتلى عليهم قالوا آمنـــا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبـــله

---

(٧) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٨ ، .

وانظر الروض الأنف ـــ السهيلى ـــ مجلد ثان ص ١٣٩ ط دار المعرفة .

مسلمين • أولئـك يؤتون أجرهم مرتين بما صبـروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون • واذا سـمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين »[٨] ••

٢ — عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل : حيث كان يقف عليه الصلاة والسلام على منازل القبائل — حيث ينزلون — من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسـول الله اليكم يأمركم أن تعبـدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به ••

وكان خلفه رجل أحول وضىء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله من قوله ، وما دعا اليـه ، قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ان هذا انما يدعوكم أن تسـلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك الى ما جاء من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، وكان هذا أبا لهب يتبع الرسـول صلى الله عليه وسلم ويرد عليه ما يقول •

وبهذا الأسلوب يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد نحا منحى جديدا بالدعوة لمحاولة الخروج من السد المغلق الذى وضعته قريش فى وجهه •• وكان هـذا المنحى هو الاتصال بأفراد القبـائل المختلفة التى تزور مكة ابان موسـم الحج وعرض دعوته عليها ، وكما سبق وبينا كان أبو لهب يتولى زمام مناهضة الدعوة الاسلامية اذ ما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع بجماعة من الناس الا ويأتى أبو لهب ليصدهم عما دعاهم اليه النبى •

---

(٨) الآيات سورة القصص ٥٣ — ٥٥ .

ومن القبـــائل التى آمنت به عندما عرض عليهم الاسلام بنو كلب ، وبنو حنيفة ، وبنـــو عامر ، على أن نقطة الانعطاف فى تاريخ الدعـــوة الاسلاميـــة تبدأ منذ اللحظة التى بدأ رســـول الله صلى الله عليه وسلم اتصالاته بأهل يثرب .. وعندما حدثهم عن دعوته ودعاهم الى عبادة الله الواحد عرفوا فيه نبيا كان يحدثهم جيرانهم من اليهود عن قرب ظهوره فاسرعوا فى الانحياز اليه حتى لا تسبقهم اليه اليهود ويكون لهم النصر بواسطته . كما أن العيش المشـــترك بين اليهود والقبائل العربيـــة خلق اســـتعدادا فى نفوس البشر بين العرب لســـماع نبى يحدثهم عن الله بلسانهم ويبثهم الشكوى من أوثان لا تستقيم مع العقل والمنطق .

تتعدد صـــور تبليغ الدعوة الى العالمين ومعها تتعدد صـــور مقاومة الدعوة ومعارضتها — قريش تصـــد وفد النصارى وتلومهم لأنهم لبـــوا نداء الفطرة النقية وأسرعوا بالايمان والتصـــديق برسول الله صلى الله عليـــه وسلم وبما أنزل اليه من ربه .. وليس فى صدورهم من التعصب ما يمنعهم عن الحق .

وها هو السفيه أبو لهب يتتبع خطوات النبى صلى الله عليه وسلم ليصد القبـــائل عن اتباعه وسماع دعوته ، ولكن هذا لم يقف حائلا دون ايمان بعض القبائل بالدعوة واتباع ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم .. وباءت محاولات أبى لهب بالفشل .. لأن الله يأبى الا أن يتم نوره .. ولو كره الكافرون .. وما تجدى وقفة جهول أو غضبة مغرور فى منع هذه الرسالة الكبيرة من المضى الى هدفها البعيد .. ان الطحالب العائمة لا توقف السفن الماخرة[٩] ..

---

(٩) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٥٠ ، وفقه السيرة — الشيخ محمد الغزالى ط دار الكتب الحديثة ص ١٠٥ بتصرف .

وانظر : خلاصـــة الاثر فى سيرة سيد البشر — الشيخ احمد عساف — ص ٧٢ .

محاولات شركية يائسة يريدون صد البشر عن الحق •• الذى يلبى نداء العقل والفطرة •• الحق الذى يدعو الى نبذ التناقض الذى هم فيه من عبادة الأوثان وتقديسها والتقرب اليها •• وما منع أولئك الا التعصب الأعمى والعناد الممقوت ••

ألا فليعلم حملة الرســالة وأمانة تبليغ الدعوة أن الحق الــذى يدعون اليه قد يعارض من أصحاب الأهواء والميول المختلفة ••فليصروا على المضى قدما فى طريق الدعوة وأن يتغلبوا على ما يصادفهم من عقبات وأن يصبروا حتى تذلل « واصبر وما صبرك الا بالله » فالصبر من أخلاق أصحاب النفوس العالية والأهداف النبيلة .

## ( تعقيب )

من خلال ما سبق تبين لنا أن أساليب مقاومة الدعوة تتعدد وأن صور الصد عن الحق تتنوع وقد تدرجت من المفاوضات الى المساومات ثم التهديدات وهذه كلها يمكن حصرها فى صور قولية ، يضاف الى هذا أسلوب التشويه الاعلامي الذى تمثل فيما كان يقوم به أبو لهب وغيره فى التعرض للقادمين الى مكة لموسم الحج لصدهم عن النبى ودعوته بتشويه صورته والافتراء عليه وما كانت تقوم به أم جميل من النميمة فى البيوت فى النبى صلى الله عليه وسلم لصرف أهلها عنه ، والصد الذى أراد أن يصرف الناس عن القرآن وسماع أساطير الأولين وحكايتهم عنه ، وهذه الأساليب لم تنته بعد •• فهى متكررة ومتطورة ففكرتها لا تزال قائمة وستظل ما دام هناك حق فى مواجهة باطل وقد يصادفها الدعاة فى صورة فردية أو جماعية ••

( ا ) فقد يتعرض الداعى شخصيا لتشويه صورته ونسبة الأباطيل اليه،والهدف من هذا هوتنفيرالناس منه شخصيا فلايسمعون‌منه ولايتأثرون بدعوته اذ كيف يسمع الناس من شخص منحرف أو مذموم — ويوما ما تعرض علماء الدعوة — متمثلين فى زيهم الرسمى — الكاكولة والعمامة — تعرضت صورة الشيخ — أى شيخ — للسخرية والاستهزاء وجعله مثارا للاضحاك — لصرف الناس عن شخصية « الداعية » عموما اذا كيف يسمع من شخص مضحوك منه ومن أفعاله — وهذا كله من خلال بعض المسرحيات والأفلام[١٠] وخاصة المنتجة فى الستينات — ويلح الاعلام فى اذاعتها وعرضها مرارا •

---

(١٠) من تلك المسرحيات التى عرضت بالاهانة للشيوخ : شخصية =

وقد يقال ان هـذه الشخصيات ليست لدعاة ، وانما مجرد شيوخ معممين فقط نقول أصبحت العمامة رمزا للدعاة ، بغض النظر عن مشروعيتها وعمن نقلت عنه .

( ب ) وكما يتعرض الدعاة للنيل من أشخاصهم لصرف الناس عنهم ، فانهم من خلال ما يتعرضون له وما ينسب الى كثير منهم ليؤخذ هذا ذريعة لعدم قبول دعواتهم — تتعرض بعض الهيئات الدينية للاتهام بالتقصير فى رسالتها ، وذلك لفرض الوصاية عليها وعلى أهدافها للتحكم فى ذلك تحت دعوى الاصلاح ويكون ما وراء ذلك هو الهدم — فتختلق الأخطاء ، أو تضخم صغارها ويشهر بها على المستوى الشعبى والرسمى لايجاد مبرر للتدخل فى شئون تلك الهيئات أو المؤسسات وتعويق مسيرتها — ولمثل هذا يتعرض الكثير من الجمعيات الدينية ، وبعض الهيئات الحكومية .. على المستوى الشعبى والدولى والعالمى .

( جـ ) كما تأخذ الدول المعادية للاسلام ودعوته أخطاء قادة الدول الاسلامية ، وما يترتب على ذلك من انهيار اقتصادى أو اجتماعى أو تخلف عن ركب التقدم العالمى — يأخذون كل هذا لينسبوه الى الاسلام ، فيزعمون أن الاسلام هو سبب التخلف والانهيار ، وما يقوم به البعض من عدوان على البعض من الدول الاسلامية يفتح الباب أمام الدجالين ليقولوا أن الاسلام لا يقر السلام ولا يحفظ الحقوق ونقل هذه الصورة المشوهة من المستوى المحلى الى المستوى العالمى مستدلين على ما يقولون وما يدعون بأخطاء أولئك القادة المنسوبين للاسلام ، وهو منهم براء .

---

= الشيخ حسن فى مسرحية اللص والكلاب ، وشخصية الشيخ خميس فى مسرحية السكرتير الفنى ، وفى الأفلام دائما شخصية المأذون المتقعرة فى الكلام ، وشخصية الشيخ حكم فى فيلم السفيرة عزيزة .. وغير ذلك كثير — ولا يزال يقدم الى الآن — .

فالدعاة عليهم الالتزام بالحق والفضيلة على المستوى الفردى والمستوى الجماعى ، وكذلك المدعوون — ليعطى الجميع الصورة الصادقة للاسلام من التواد والتراحم والتعاطف — وحب السلام واعلاء راية الحق وانصاف المظلوم والأخذ على يد الظالم .

والدعاة هم الصورة المباشرة لذلك .

* * *

# الفصل الثامن

## الدعـــوة بين المحنة والمنحـــة

ويشمل :

١ ـــ الايذاء المادى والتعذيب ٠

٢ ـــ الحصار الاقتصادى ٠

٣ ـــ علاقة الداعية بربه ٠

## المبحث الأول

## من صــور التعذيب المــادى

لما وجد المشركون أن أمر رسول الله يعلو وأن دعوته تنتشر وأن نور الحق يسرى الى القلوب وأن أتباع رســول الله صلى الله عليه وسلم يتزايدون •• وأن محاولاتهم للصــد عن الدعوة قد باءت بالفشل لجأوا الى أســلوب العاجز عن الحجة واقامة البرهان •• وهو القوة والعنف كمنطق أى ظالم متجبر فقاموا بحملات تعذيب وقمــع على كل من آمن بمحمد صلى الله عليــه وسلم هادفين بذلك الى ردهم عن دينهــم الى آلهتهم المزعومة لكن نور الحق اذا أضاء القلب وصفت به الروح هان على الجســم كل ما يلاقى من عنت وألم فصــبر وتحمل محتسبا ذلك عند الله ••

وفيمــا يلى بعض صــور الصبر على التعذيب من المســلمين المعذبين ••

١ — بلال بن رباح : وكان صــادق الاسلام طاهر القلب ، وكان سيده أمية بن وهب يخرجه اذا حميت شمس الظهيرة فى بطحاء مكة ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضــع على صدره ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى •• ولكنه كان لا يقول وهو فى هذه المحنة وذلك البلاء : أحد •• أحد •• يعنى أن الله واحد •

٢ — آل ياسر : وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا — أهل بيت أســلام — يخرجون بهم اذا حميت الظهــيرة يعذبونهم برمضــاء مكة ، وكان الرســول صلى الله عليه وسلم يمر بهم

ويقول صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة • فأما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام •

٣ ـ فتنة المسلمين عن دينهم : كان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ، ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشـونه ، حتى ما يقـدر أن يستوى جالسا من شـدة الضر الذى نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له : اللات والعزى الهك من دون الله ؟ فيقـول : نعم حتى أن الجعـل ليمر بهم ، فيقول له هذا الجعـل الهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده •• »[1] •

وقد لاقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صور العنت والتعذيب الكثير والكثير ورغم ذلك صبروا وتحملوا فقلوبهم مليئة بالايمان ـ حتى من فتن فى دينـه ونطق بما يرضى قريشا ـ نطق بلسـانه فقط ليخلص نفسه أما القلب فهو عامر بالايمان مطمئن به •

ولم يسلم من أذاهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقد امتدت أيديهم بالأذى اليه خاصة بعد موت عمه أبى طالب •• فمن ذلك :

( ا ) عنـدما ذهب الى الطائف وعرض الأمر على الأخوة الثلاثة : عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب ابناء عمرو بن عمير ورفضوا دعوته عندما عرضها عليهم طالبـا منهم نصرته على قومه •• اعزوا به سفهـاءهم وعبيـدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليـه والجئوه الى حائط ( حديقة ) لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ورجع عنـه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه •• فعمد الى شجرة عنب وجلس فى ظلها وابنا ربيعة ينظران اليـه ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف •

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٨ •

( ب ) ويوما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وصناديد قريش جلوس فقال بعضهم لبعض من ينطلق الى سلا جذور بنى فلان فيأتى به فيضعه على ظهر محمد وهو ساجد ؟ فذهب أشقاهم عقبة بن أبى معيط فجاء به ووضعه على ظهر النبى وهم يتضاحكون ويميل بعضهم على بعض فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة — وهى فتاة صغيرة — فاخذته عن ظهره ، ثم أقبلت عليهم ووبختهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليهم : اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبى معيط ، اللهم عليك بأمية بن خلف » وقد استجاب الله الدعاء فقتلوا جميعا يوم بدر .

ومن ذلك أيضا : أن الشقى عقبة بن أبى معيط وطىء على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان ..

هذا هو رسول الله الداعى الى الله باذنه ، السراج المنير يتعرض لمثل هذه الأفعال القبيحة الحاقدة التى تبغى وأد الدعوة .. والصد عن سبيل الله .. فليعتبر الدعاة وليتعلموا كيف يصبرون ويتحملون .. ولا يرتدوا عن دعوتهم مع أول عقبة تصادفهم أو شدة تلاقيهم ، وليعلموا أن للدعاة ابتلاءات تتطلب الصبر والاستعانة بالله .. وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. وليعلم أتباع الحق أنه ما دام للباطل أهله وحزبه فان الأمور لا تخلو من عقبات وايذاءات .. فليقتدوا فى ذلك برسول الله فى الصبر « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » .

وذلك حتى يأتى الله بالفتح من عنده ..

## المبحث الثانى

## الحصـــار الاقتصـــادى

## ( المقاطعة )

ومن الأساليب التى يلجأ اليها أعداء الحق الحصار الاقتصـــادي وسد السـبل على الدعاة وأتباعهم •• فقـــد ذكر التاريخ أن المشركين اجتمعوا واتفقوا على مقاطعة المسلمين الذين آمنوا بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم •

يقول الغـــزالى : تمخض حقد المشركين عن عقد معاهدة تعتبـــر المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يعطف عليهم ، أو يحمى أحدا منهم حزبا واحدا دون ســائر الناس ثم اتفقوا على : ألا يبيعوهم أو يبتــاعوا منهم شيئا ، وألا يزوجوهم أو يتزوجوا منهم ، وكتبوا ذلك فى صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة توكيدا لنصوصها » ولا شك أن المتطرفين من ذوى النزق والحدة نجحوا فى فرض رأيهم واشباع ضغنهم فاضطر الرسول ومن معه الى الاحتباس فى شعب بنى هاشـــم ، وانحاز اليهم بنو المطلب كافرهم ومؤمنهم على ســـواء ماعدا أبا لهب ، فقد آزر قريشـــا فى خصومتها لقومه •

وضيق الحصـــار على المسلمين وانقطـــع عنهم العون ، وقل الغذاء حتى بلغ بهم الجهد أقصاه وسمع بكاء أطفالهم من وراء الشعب وغطتهم الأزمات العصبيـــة حتى رثى لحالهم الخصـــوم ومع اكفهرار الجـــو فى وجوههم فقـــد تحملوا فى ذات الله الويلات ، ولم يفد حـــدة الوثنيين فى الحملة على الاسلام ورجاله وفى تأليب العرب عليهم من كل فج » •

وبمقتضى تلك المقاطعة التى أشار اليها الكتاب نرى أن من أساليب مجابهة الدعوة : الحصـــار الاقتصادى — أى منع البيـــع والشراء —

وللحيلولة بين وصول الطعام اليهم فيضطرون تحت وطأة الجوع وآلامه الى الاستكانة والخضوع لمطالب المشركين والردة عن الاسلام ..

وبهذا الأسلوب تواجه دول العالم الاسلامى الآن وفى الوقت الحاضر ..

فأغلب دول العالم الاسلامى من دول العالم الثالث ، أو النامى ، أو بعبارة منصفة العالم المتخلف وترضخ هذه الدول فى معاملاتها للدول الكبرى غير المسلمة .. فتحتاج منها ما تكمل به نقصها فى الغذاء وغيره فتملى عليها الدول الكبرى ما تراه من شروط وضوابط كلها يرمى الى تحقيق التبعية لها ، فتمنع عنها العون اذا لم توافق على سياستها ..

وأن من عقوبات مجلس الأمن ما يعرف بالعقوبات الاقتصادية أى الحصار الاقتصادى على الدولة المعاقبة والتى تكون مسلمة ..

فهذا الأسلوب وجوده على المستوى الدولى الجماعى ، وعلى المستوى الفردى فقد يتعرض الداعى لسد أبواب الرزق عليه ليخضع تحت الحاح الحاجة الى مطالب خصمه والاستجابة لأوامره التى قد تكون ضد الدعوة ..

فليأخذ الدعاة وأصحاب المبادىء القدوة والأسوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين الذين حوصروا وصبروا وصابروا حتى جاءهم فرج الله ونقضت الصحيفة الظالمة .. وليعلموا أن ما قدره الله لهم من رزق لا يرده عنهم انسان ..

ومع المقاطعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكف عن ممارسة الدعوة فقد كان على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، مناديا بأمر الله لا يتقى فيه أحدا من الناس ..

## المبحث الثالث

### صـــلة الداعية بربه وتفـــريج الكرب

ان الداعى الى الله المتحمـــل لكل أنواع الأذى المادى والمعنـــوى الصابر على كل ذلك محتسبا اياه عند الله — لابد من أن ييسر الله له أمره ويشرح له صدره وينصره على أعدائه — اذا لجأ الى الله بالدعاء وجأر اليه بالرجاء فان الله قد قطع العهد على نفسه عندما قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وقال « ولينصرن الله من ينصره » فيفتح الله عليه أبواب الخير ، ويجعل له من العسر يسرا ، ومن الضيق فرجا « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » ونجد أن الله تعالى قد من على رســوله بهذا التأييد عندما كان الأمر مشتدا وعسيرا والباع الطويل لأهل الشرك والكفران ..

### ( ا ) اللجوء الى الله تعالى والدعاء له :

وقد تجلى هذا عندما ذهب النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف آملا نصرة قبيـــلة ثقيف ولكنهم خذلوه وأغروا به السفهاء والعبيـــد يسبونه ويصيحون به حتى اجتمعوا عليه وألجأوه الى حديقة لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وعمد الى ظل شجرة عنب وجلس تحتها .. ثم توجه الى الله داعيا مناجيا شاكيا ..

« اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى(٢) أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب على

---

(٢) تستقبلنى بوجه كريه .

فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليـــه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على ســـخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك » ها هو رســـول الله صلى الله عليه وسلم بعـــد أن يعانى من موقف أهل الطائف وما لاقاه منهم من عنت وسخرية واغراؤهم السفهاء والعبيد به •• وهذه أزمة نفسية كان يمكن أن تسبب له احباطا ويأسا لكنه يتوجه الى خالقه وبارئه ليعلن ويقر أنه راض عن هـــذا ما دام الله راضيا عنـــه •• وهذا استنجاد بالقوى القـــادر على هؤلاء المعاندين انه يشكو الى ربه ضعف القوة وقلة الحيلة والهوان على الناس ••

لكنه الى من يدعو ؟ وفى سبيل من يلاقى ما يلاقى ؟ انه يدعو الى الله وفى سبيله يلاقى من العنت ما يلاقيه •• فيريد الله أن يظهر له أنه معه وسوف يخلق له من الضيق فرجا ، ومن العسر يسرا •• فمن وسط هذا الخضم المعاند تبزغ اشراقات الرحمة والعون من الله ••

**نصرة الله للداعيـــة وتفريج الكرب :**

فى وسط هذه المعمعة رأى ابنا ربيعة ما لقيه رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم وتحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيـــا يقال له « عداس » فقـــالا له خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هـــذا الطبق ثم اذهب الى هـــذا الرجل فقل له يأكل منه ، ففعل عـــداس ولما وضعه أمام النبى صلى الله عليه وسلم وضع الرســـول يده فيه قائلا : بسم الله ثم أكل فنظر عداس فى وجهه ، وقال ان هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد ، فقال الرســـول صلى الله عليه وسلم ومن أى البـــلاد أنت يا عداس ؟ فقال : نصرانى ، وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصـــالح يونس بن متى ، فقـــال عداس :

وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه ، وقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ ! فقال : يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى ، قالا له ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه »[٣] ..

فالداعى لا ييأس أبدا فى أحلك الظروف وأسوئها من وجود من يقبل دعوته ويصدقه فيها .. وقد أحدث وجود عداس وجواره مع النبى صلى الله عليه وسلم الأمل والرجاء فى الهداية ..

**من صور دفاع الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم :**

قد تجلت رعاية الله لرسوله ونصره اياه فى كثير من الأمور التى تبين للدعاة أن من اتقى الله منهم وأخلص فى دعوته أيده الله بنصر من عنده ورد عنه أعداءه .. فمن ذلك :

١ — كفاية الله المستهزئين اياه : فقد تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لمواقف من الاستهزاء والسخرية ، وكان عظماء المستهزئين خمسة ولهم مكانة وشرف فى قومهم وهم : الأسود بن المطلب ، والأسود ابن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلاطلة — وقد قال الله فى شأنهم : « انا كفيناك المستهزئين » فروى أن جبريل أتى رسول الله وهم يطوفون بالكعبة فقام وقام رسول الله الى جنبه .. فمر الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه

(٣) انظر ابن هشام ج ٢ ص ٤٧ وما بعدها .

جبنا[٤] •• ومر الوليـد بن المغيرة به فأشـار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله فانتقض به فقتله ، ومر به العاص بن وائل فأشار الى أخمص رجله وخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شجرة عالية فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته ، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار الى رأسه فامتخض قيحا فقتـله •• وتحقق قول الله تعـالى : « انا كفينـاك المستهزئين » •

هذه حماية الله لنبيه صلى الله عليـه وسلم ليمارس دعوته بنجاح وبصيرة •• واذا كان الله قد كفاه من يستهزىء به •• وهو عبده ونبيه ورسوله الذى يدعو الى توحيـده وعبادته « أليس الله بكاف عبده » ؟ بلى يا رب ••

٣ ـ رد أبى جهل عنه عندما أراد قتله : قال أبو جهل : انى لاعاهد الله لأجلسن له ـ يريدالنبى ـ بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فضخت به رأسـه ، فاسلمونى عنـد ذلك أو امنعونى •• فليصـنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا والله لا نسلمك لشىء أبدا فامض لما تريد •• فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسـول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته الى الشام فكان اذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسـود وجعل الكعبة بينه وبين الشـام فقام رسول الله يصلى وقد غدت قريش فجلسـوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل •• فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا وقـد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجـر من يده ،

---

(٤) الانتفاخ من الداء .

وقامت اليـــه قريش ، فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ، فقـــال : قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البـــارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل ، لا والله ما رأيت مثـــل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم بى أن يأكلنى ..

وقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل عليه الســـلام لو دنا لأخذه(٥) .

٣ — انتقام الله ممن أهانه صلى الله عليه وسلم :

وهو عتيبـــة بن أبى لهب عندما أتاه يوما وقال له : انا أكفر بالنجم اذا هوى . وبالذى دنا فتدلى .. ثم تسلط عليه فى الأذى وشق قميصه وتفل فى وجهه صلى الله عليـــه وسلم الا أن البزاق لم يقع عليه وحينئذ دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم سلط عليـــه كلبا من كلابك » .. وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم .. فقد خرج عتيبة فى نفر من قريش حتى نزلوا بمكان بالشام يقال له الزرقاء ، فطاف بهم الأســـد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول : يا ويل أخى هو والله آكلى محمد على ، قتلنى وهو بمكة وأنا بالشام فغدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه(٦) .

وهـــذه النماذج ان دلت على شىء فانما تدل على أن الله يدافع عن أهل الحق وأصحابه واذا كان الله تعالى قـــد رد عن رسوله هذه الشرور الحاقدة بآيات مبينات من قدرته ونصرته فليعلم دعاة الحق أنهم ورثوا التبليغ والدعوة عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم وبقدر اخلاصهم فى دعواتهم والتزامهم الحق وعدم الحيد عنه فان الله تعالى يقيض لهم من يدافع عنهم ويؤازرهم فى دعواتهم ما داموا قد ساروا على الدرب ..

---

(٥) انظر ابن هشام ج ١ ص ٢٦٤ .

(٦) انظر دلائل النبـــوة ، والروض الأنف ، ومختصر ســـيرة الرسول

واذا كان الله تعالى قد خاطب رسوله بقوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليــك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » .

وقد عصمه وحفظه ، فقد خاطب المخلصــين من المؤمنين بصفة عامة ومن الدعاة بصفة خاصة : « أليس الله بكاف عبده »[7] ويقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا »[8] حتى لا يخافوا من البــاطل وأهله « انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين »[9] فالثقة فى نصر الله الحق من دلائل الايمان والتسليم لله .

* * *

---

(٧) الزمر من آية ٣٦ .
(٨) الطلاق ٢ .
(٩) آل عمران ١٧٥ .

# الفصل التاسع

## هجرتا الحبشة بين الحماية والتبليغ

ويشمل :

١ ـ الهجرة الأولى ٠

٢ ـ الهجرة الثانية ٠

٣ ـ دلالة الهجرة للحبشة ٠

## هجـــرتا الحبشـــة

لما تمادت قـــريش فى غيها وتكبرها وأصرت على تعـــذيب من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الفقراء والضعفاء ، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكان من الله ، ومن عمه أبى طالب وأنه غير قادر على أن يمنعهم مما هم فيه من البـــلاء ، قال لهم : « لو خرجتم الى أرض الحبشـــة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عنـــد ذلك المسلمون من أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الاسلام ٠

### أوائل المهاجرين الى الحبشـــة :

كان من أوائل المهاجرين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وعثمان ابن مظعون بن حبيب ، وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبى حتمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم بن عبـــد العزى ، وسهيل بن بيضاء ٠٠ فكان هؤلاء هم أول من خرج الى أرض الحبشة ٠٠ ثم تتابع المهاجرون من بعدهم ٠٠ وتوالى المسلمون فى الهجرة حتى بلغوا ثلاثة وثمانين رجلا ٠٠

يقول ابن هشام : كان عدد من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من

المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا ، وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا[1] .

اذن .. لقد خرج المسلمون فرارا بدينهم حتى لا تفتنهم قريش عنه بما يقومون به من تعذيب وتنكيل وفى أثناء فترة جوارهم النجاشى .. جرت أحداث فى مكة .. فقد دخل فى الاسلام حمزة بن أبى طالب .. وسبب اسلامه أنه رجع من رحلة صيد حاملا سيفه فذهب الى الكعبة كعادته ليطوف بها ، وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى فى قريش وأشد شكيمة فلما مر بالمولاة — وقد رجع الى بيته — قالت له : يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .. فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله له من كرامة فخرج يسعى ولم يقف على أحد معدا لأبى جهل اذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه فشجه شجة منكرة ، ثم قال : انشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك إن استطعت فقامت رجال من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فانى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا ، وتم حمزة رضى الله عنه على اسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزة عرفت قريش

---

(١) انظر ابن هشام ص ٢٨٠ وما بعدها من ج ١ لترى تفصيلات المهاجرين من كل قبيلة على حدة ، وانظر السيرة النبوية — لابن كثير — ج ٢ ص ٢٤

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[٢] ..

كما أسـلم عمر بن الخطاب : وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره وامتنـع به أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم كما امتنعوا بحمزة حتى غلبوا قريشا .

وروى عن ابن مسعـود قوله : ما كنا نقدر أن نصلى عنـد الكعبة معه .. وكان اسلام عمر فتحا ، وان هجرته كانت نصرا وان امارته كانت رحمة[٣] ..

وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة .

ومما قيل وذكر فى الروايات عن اسلام عمر وكيف أسلم .. ما ذكره ابن هشام ( أن أخته فاطمة بنت الخطاب )كانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيـد بن زيد ، وهما مستخفيان باسـلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة ، رجل من قومه ، من بنى عدى بن كعب قد أسلم ، وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف الى فاطـمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمـر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونسـاء ، ومع رسول الله صلى الله عليـه وسلم عمه حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام من رسول الله صلى

(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٢٦١ .
(٣) السابق ٢٩٤ .

الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة ، فلقيه نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابىء ، الذى فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقـــال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بنى عبـــد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ! أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة ، فيها : « طه » يقرئهما اياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب فى مخدع لهم ، أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شـــيئا ، قال : بلى والله لقـــد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك • فلما رأى عمر ما بأختـــه من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : انا نخشاك عليها ، قال : لا تخافى ، وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك ، طمعت فى اسلامه ، فقالت له : يا أخى ، انك نجس ، على شركك ، وانه لا يمسها الا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيهـــا : « طه » • فقرأها ، فلما قرأ منها صـــدرا ،

قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج اليه ، فقال له : يا عمر ، والله انى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فانى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر . فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم البـــاب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف ، فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع ، فقال : يا رســـول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة بن عبـــد المطلب : فأذن له ، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض اليه رسول الله صلى الله عليـــه وسلم حتى لقيه فى الحجرة ، فأخـــذ حجزته ، أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه به جبذة شـــديدة ، وقال : ما جاء بك يابن الخطاب ؟ فوالله ما أدرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرســـوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فكبـــر رسول الله تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم ، وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتصفون بهمـــا من عدوهم . فهذا

حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر بن الخطاب حين أسلم[٤] .

يا سبحان الله .. لقد خرج عمر من بيته وهو أشد ما يكون كراهة للاسلام وللرسول لقد كان يبغى قتله .. فيريد الله به خيرا عندما يلقاه نعيم بن عبد الله ويجعله يحول مساره الى أخته ليدخل عندها كارها عدوا .. ثم يخرج مهتديا مسلما يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ليقتله ولكن ليعلن اسلامه واذعانه لما جاء به من الحق والهدى ..

ويتحقق دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم أيد الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو أبى الحكم بن هشام .. لقد كان أحب الرجلين هو عمر بن الخطاب وليس أبا الحكم .. وكان اسلامه نصرا جديدا للاسلام .. وقوة للدعوة .. وما أحوج الدعوة فى عصر الى هذه النوعية من الرجال ..

لقد أسلم هذان الرجلان القويان حمزة وعمر رضى الله عنهما فاكتسبت الدعوة باسلامهما قوة وعزة ومنعة .. وكان اسلامهما كارثة شديدة حلت بقريش وأصنامها .

**عودة المهاجرين من الحبشة :**

لما بلغ خبر اسلام عمر وحمزة ، وأن المسلمين متمكنون من أداء صلاتهم بالمسجد الحرام وأنه حصلت مهادنة بين قريش والمسلمين .. لما بلغ ذلك المسلمين بالحبشة .. وكانت قد قامت ثورة ضد النجاشى بالحبشة فى ملكه وخشى المسلمون أن يصاب بهزيمة وربما يأتى ملك

---

(٤) هذه القصة بتمامها ذكرها ابن هشام عن ابن اسحاق فى السيرة النبوية جـ ١ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ وقد ذكرتها العديد من كتب السيرة مثل القول المبين فى سيرة المرسلين الطيب النجار ، والسيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة لأبى شهبة — والروض الأنف للسهيلى .

لا يعرف للمسلمين حقهم .. رأى معظم مهاجرة الحبشة الرجوع الى موطنهم مكة ..

وعلى هذا فاسباب عودة مهاجرى الحبشة تنحصر فى : ما نمى الى علمهم من اسلام حمزة وعمر واكتساب الاسلام قوة وعزة بهما وأن هناك مهادنة بين المسلمين وقريش — وقيام الثورة ضد النجاشى وخشية المسلمين عليه من الهزيمة ويأتى ملك بعده لا يعرف لهم حقوقهم ..

**سبب مرفوض لعودة المهاجرين :**

من غريب الروايات التى قيلت فى سبب عودة المسلمين من الحبشة ، هو ما حدث من قصة الغرانيق .. وقد رواها الرواة ومجملها أن النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قرأ « والنجم اذا هوى » فلما بلغ قوله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى » فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجدوا وسجد ، فنزلت « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم »(٥) ويفسرون كلمة تمنى بمعنى قرأ .

وهذه قصة واضحة البطلان لما يأتى :

١ — سياق القراءة نفسه حيث ان الجملة المفتراة لا يؤيدها ما قبلها وما بعدها فالآيات قبلها وبعدها تنعى على المشركين عبادة الأصنام وأنها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان . فكيف يتفق معنى الجملة مع معانى الآيات .

---

(٥) سورة الحج ٥٢ .

٢ — مخالفة هذا الادعاء لجوهر الدعوة الاسلامية التي تدعو الى نبذ عبادة الأصنام وابطالها .

٣ — تفسيرهم معنى « تمنى » في الآية بأنها بمعنى قرأ هو تفسير بعيد كل البعد عن المقصود وليس في اللغة العربية وجود لهذا المعنى الا في البيت الذي استشهدوا به وهو :

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخرها لاقى حمام المقادر

مما يدل أنه وضع خصيصا لهذا الغرض ، كما أنه لم يقع هذا لنبي أو رسول من قبل .

ويضيف قول الدكتور أبي شهبة الى أسباب البطلان :

انها — أي القصة — باطلة من عدة وجوه .

١ — من جهة النقل : حيث طعن فيها الكثيرون من المحدثين والمحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول .

٢ — من حيث الرواية : فهي مضطربة اضطرابا فاحشا ، فمن قائل : انه كان خارج الصلاة ، ومن قائل : انه كان في الصلاة ، وآخر يقول : حدث نفسه فيها ، ومن قائل أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها وهو ناعس ، أو أن الشيطان انتهز سكتة من سكتات النبي صلى الله عليه وسلم فقرأها حاكيا صوت النبي .

٣ — هذه القصة لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الصحاح ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة .

٤ — انكار اللغة للقصة حيث ان معنى « الغرنوق » بضم الغين ، أو « الغرنوق » بكسرها — والغرنيف اسم لطائر مائي أسود أو أبيض .

ومن معانيه الشباب الأبيض الجميل ، ويطلق على غير ذلك ولا شيء من معانيه يلائم معنى الالهية والأصنام »[٦] .

فالقصة باطلة من أصلها وما هي الا محض افتراء — الا أنه قيل أنها من الأسباب التى جعلت مهاجرى الحبشة يعودون حيث قد بلغتهم على غير حقيقتها فقد نقل اليهم أن قريشا قد أسلمت فرجعوا الى مكة .. فلما أتوا وكانوا دون ساعة من نهار وعرفوا جلية الأمر رجع منهم من رجع الى الحبشة ولم يدخل من سائرهم أحد الا مستخفيا أو في جوار رجل من قريش ... وقد تبين بطلان القصة من أصلها .

والسبب فى عودة المسلمين الى مكة كان كما أسلفنا ما بلغهم من اسلام عمر وحمزة وتمكن المسلمين من أداء الصلاة فى المسجد الحرام .. ولكنهم صدموا بالواقع عندما جاءوا الى مكة حيث وجدوا الحال على ما هو عليه وأن قريشا لا تزال تتعقب المسلمين بالايذاء والتعذيب والتنكيل .. فعادوا من جديد الى الحبشة ..

**الهجرة الثانية الى الحبشة :**

وهذه كانت بعد أن صدم المسلمون العائدون من الحبشة ظنا منهم أن قريشا هادنت الاسلام والمسلمين بمكة .. لكنهم وجدوا أن التعذيب والتنكيل لا يزال موجودا وأن قريشا تنكل بالقادمين وتغرى سائر

---

(٦) هذه الأسباب بايجاز : راجع تفصيلها فى السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة — لأبى شهبة جـ ١ ص ٣٦٦ ، ٣٧٥ .

وانظر : فقه السيرة — الشيخ الغزالى — ص ١١٦ ، ١١٧ .

والقول المبين فى سيرة سيد المرسلين — د/محمد الطيب النجار — ص ١٠٧ .

القبائل بمضاعفة الأذى للمسلمين فلم ير رسول الله بدا من أن يشير على أصحابه بالهجرة مرة أخرى الى الحبشة ..

وكانت هــذه الهجرة الثانية أشــق من الأولى حيث تيقظت قريش وقررت احباطها الا أن المسلمين كانوا أسرع فخرج فى هذا الفوج ثلاثة وثمانون رجلا وتسع عشرة امرأة ..

**قريش تطارد مهاجرى الحبشة وتتعقبهم لاعادتهم :**

وما حدث من استطاعة المسلمين الهجرة الى الحبشة للمرة الثانية لم يرق لقــريش ولم يرتاحوا له فجعلهم يشكلون وفــدا من رسولين هما عبــد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص محملين بالهــدايا للنجاشى وبطارقتـــه أملا فى اعادة المهــاجرين ليردوهم ويفتنـــوهم عن دينهم ويخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ..

وقد تحدثت أم سلمة رضى الله عنها عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش الى النجاشى ..

فيذكر ابن هشام عن ابن اسحاق ما روته أم سلمة من أمر الرسولين فيقول :

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشى :

قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشى ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشــا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا الى النجــاشى فينا رجلين منهم جلدين . وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يســتطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيــه منها الأدم ، فجمعوا له أدما كثــيرا ، ولم يتركوا من بطارقته الا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو ابن العــاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعــا الى كل بطريق

هديته قبـــل أن تكلما النجاشى فيهم ، ثم قدما الى النجاشى هداياه ، ثم سـألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم • قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشى ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليــه هديته قبل أن يكلما النجـــاشى ، وقالا لكل بطريق منهم : انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم ، فاذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم ، فان قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقـــالوا لهما : نعم • ثم انهما قدما هداياهما الى النجاشى فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهـــاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينـــك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا اليــك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشـــائرهم لتردهم اليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه • قالت : ولم يكن شىء أبغض الى عبـــد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يســـمع كلامهم النجاشى • قالت : فقالت بطارقته حوله : صـــدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينـــا وأعلم بما عابوا عليهم فأســـلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب النجاشى ، ثم قال : لاها الله ، اذن لا أسلمهم اليهما ، ولا يكاد قوم جاورونى ، ونزلوا بلادى ، واختـــارونى على من سواى ، حتى أدعوهم فأســـألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ، ورددتهم الى قومهم ، وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى •

بعد أن قرر النجاشى سماع المسلمين اللاجئين الى بلاده جرى بينه وبينهم حوار دعوى رائع يجلى بوضوح أن الحق منتصر وأن الاســـلام ،

دين فطرة يقود صاحبـــه الى الحق اذا نقت الفطرة فيـــه وخلا القلب من الهوى والتعصب •• وهاهو هذا الحوار الذى جرى كما ذكره ابن هشام عن ابن اسحاق •

الحوار الذى دار بين المهاجرين والنجاشى :

أرسل الى أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل اذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليـــه وسلم كائنا فى ذلك ما هو كائن • فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيـــه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ، ولا فى دين أحـــد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقـــال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهليـــة ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتـــة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ويأكل القوى منـــا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رســـولا منا ، نعرف نسبه وصـــدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصـــدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصـــلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبـــد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام — قالت : فعدد عليه أمور الاسلام — فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنـــا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننـــا ،

ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهروا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك • قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشى : فاقرأه على ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : « كهيعص » • قالت : فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشى : ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم اليكما ، ولا يكادون •

فهذه هى النتيجة لصدق التبليغ عن الله وصدق النية فى معرفة الحق ، فمتحدث المسلمين جعفر بن أبى طالب كان على وعى وبصيرة بدينه ، وصدق اخلاص فيما يرجوه من هداية النجاشى ، والنجاشى بدوره كان راغبا فى سماع الحق والاهتداء اليه ، فسمع بلا تعصب ولا اتباع لهوى فتأكد أن هؤلاء المسلمين على حق وصواب وعاهد نفسه وربه على ألا يسلمهم الى الرسولين •• لقد قطع على نفسه عهدا بالحماية والأمان •

لكن محاولات رسولى قريش لم تتوقف فارادوا أن يقنعوا النجاشى بأن هؤلاء يقولون قولا عظيما عن عيسى محاولين بذلك أن يوغروا صدر النجاشى فيغضب على المسلمين ويسلمهم فيجرى حوار جديد بين النجاشى والمسلمين فى هذا الأمر وتتأكد رعايتهم عند النجاشى على عكس ما رمى اليه الرسولان •• وهذا هو الحوار كما ذكره ابن هشام :

رأى المهاجرين فى عيسى أمام النجاشى :

قالت : فلما خرجنا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم • قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا نفعل فان لهم أرحاما ، وان كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد • قالت : ثم غدا عليــــه من الغد فقال : أيها الملك ، انهم يقــــولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرســـل اليهم فسلهم عما يقولون فيه • فقالت : فأرســـل اليهم ليسألهم عنه • قالت : ولم ينزل بنــا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم اذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن • قالت: فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول قالت : فضرب النجاشى بيده الى الأرض فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود • قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : وان نخرتم والله ، اذهبـــوا فأنتم شيوم بأرضى ـــ والشيوم : الآمنون ـــ من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم • ما أحب أن لى دبرا من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم ـــ قال ابن هشام : ويقال دبرى من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم والدبر • بلسان الحبشة : الجبل ـــ ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشـــوة حين رد على ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه • قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار •

فمن خلال تلك الرواية والحوار الذى جرى بين النجاشى والوفد من

ناحية والمسلمين من ناحية أخرى نرى أن قريشا لجأت الى أسلوب تقديم الهدايا الى البطارقة كرشوة،وذلك كسبا لهم الى جانبهم عندما يستشيرهم النجاشى فى أمر المهاجرين فيشيرون عليه بأن يسلم المهاجرين الى الرجلين •

لكن الله تعالى الذى جعل أبا طالب — رغم كفره — يحمى رسول الله ودعوته متحملا فى ذلك كل سفاهات قومه — يخصص النجاشى ليحمى من لجأ الى بلاده من المسلمين ، وناقشهم فى أمرهم ، وسمع منهم القرآن وبكى وبكى أساقفته وهذا لجوء الى الحق لا الى العناد ••

وعندما يخبره الرجلان بأن هؤلاء المسلمين يقولون عن عيسى أنه عبد الله ويقولون قولا عظيما ، وذلك لاثارته وجعله يسلم المسلمين أيضا ناقشهم فى أمر عيسى •• وهنا يتجلى التمسك بالحق فى أروع صوره لدى المهاجرين •• فيسألهم : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ •

فيرد جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم « هو عبد الله ورسوله وروحه ألقاها الى مريم العذراء البتول •• » •

فضرب النجاشى بيده الى الأرض فأخذ منها عودا ، ثم قال والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ••

اذن لقد فشل وفد الظلم والعدوان فى مهمته وحمى الله المؤمنين من بطشهم وأمن المسلمون بالحبشة فى جوار النجاشى الذى أسلم وقد عمد الى كتاب فكتب فيه : هو يشهد ألا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه ألقاها الى مريم ••

وعندما مات النجاشى سنة تسع نعاه للرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه وصلى عليه بالبقيع ورفع اليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو في المدينة وصلى عليه(٧) .

**دلالة الهجرة الى الحبشة :**

دلت هذه الهجرة على عدة أمور موجزها فيما يلى :

١ — حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على صلاح المسلمين حيث لم يرد أن يتعرضوا لألوان التعذيب وربما فتنوا عن دينهم تحت وطأة التعذيب لذلك نصحهم وأشار عليهم بالخروج الى الحبشة محدد لهم مكان الهجرة حتى لا يتشتتوا في عدة أماكن لا يأمنون على أنفسهم .. كما يتبين حرصه كذلك على أصحابه حيث أمرهم بذلك مع أنه كان في منعة وعافية .. وهذا ما يجب أن يتحلى به الداعية من حب لمدعويه .

٢ — هى أيضا ابتلاء لمدى حب المسلمين لدينهم وايثارهم عقيدتهم على كل شىء حيث هان عليهم ترك الديار والأهل رجاء سلامة الدين ..

٣ — برهنت تلك الهجرة لقريش التى بغت وظلمت — على أن المسلمين أتباع محمد صلى الله عليه وسلم يقابلون الصعاب بصدر رحب من أجل دينهم وأنهم مصممون على التضحية مهما عظمت في سبيل الله ورسوله .

ألا فليعلم دعاة الحق أن عليهم باخلاص النية في الدعوة والتوجه بها الى الله وأن الحق عندما يخطئ القلب يقوى صاحبه ويجعله صلبا صبورا لا توهنه الصعاب .. ومهما كانت جولة الباطل وقوته فانه لن يستمر طويلا أمام صبر المؤمنين المخلصين .

---

(٧) ابن هشام ج ١ ص ٢٩٤ ، وانظر السيرة النبوية — ابن كثير ج ٢ ج ٢ ص ١٠ وخلاصة الاثر في سيرة سيد البشر — عساف ص ٤٧ .

# الفصل العاشر

## معجــزة الاسراء ٠٠ والمعــراج
## بين الفتنــة والتشريع

ويشمل :

١ ـــ الاسراء والمعراج والدعوة ٠

٢ ـــ القيمة الدعوية للاسراء والمعراج ٠

## المبحث الأول

## الاسراء والمعــراج والدعوة

من العلامات على طريق الدعوة ما وقع من أمر الاسراء والمعراج ، حيث أسرى الله بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ورأى فيها ما رأى من آيات الله الكبرى ،ومن مشاهد فيها دلالات وارشارات وتشريعات وكانت بمثابة اختبار وفتنة للبعض ، وقد تحدث القرآن عن رحلة الاسراء والمعراج فى سورتين هما الاسراء ، والنجم — فتحدث جل وعلا فى مستهل سورة الاسراء : « سبحان الذى أسرى بعبده ليــلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصــير »[١] وقال فى سـورة النجم « والنجم اذا هوى ما ضــل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاسـتوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسـين أو أدنى فأوحى الى عبــده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقــد رآه نزلة أخرى عند ســدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذا يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى • لقد رأى من آيات ربه الكبرى »[٢] كما قال تعــالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ••• »[٣] •

وقد ثبتت فى صحاح الســنة النبوية كالبخارى ومســلم وغيرهما من الكتب المعتمدة ، وكلها أجمعت على حقائق ووقائع محددة كامامة الأنبياء ، واستفتاح السموات ، ولقاء الملائكة ، والأنبياء والرسل ، ورؤية مشاهد

---

(١) سورة الاسراء آية ١ .

(٢) سورة النجم الآيات من ١ .

الجنـــة والنار ، وفرض الصلوات وتخفيفها ولقاء موسى عليـــه السلام ومراجعته فى فرضية الصـــلاة وتخفيفها وفيما يلى عـــرض لرواية الامام مسلم فى صحيحه عن الاسراء والمعراج ••

**الاسراء والمعراج فى السنة النبوية :**

يروى الامام مســـلم رضى الله عنه بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداث الاسراء والمعراج فيقول :

٢٥٩ — ( ١٦٢ ) حدثنا شيبان بن فروخ • حدثنا حماد بن سلمة • حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق ( وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل • يضع حافره عنـــد منتهى طرفه ) قال ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس • قال ، فربطته بالحلقـــة التى يربط به الأنبياء • قال : ثم دخلت المســـجد فصليت فيه ركعتين • ثم خرجت • فجاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن • فاخترت اللبن • فقال جبريل صلى الله عليه وسلم : اخترت الفطرة • ثم عرج بنا الى السماء • فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل • قيل : ومن معك ؟ قال : محمد • قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه • ففتح لنا • فاذا أنا بآدم • فرحب بى ودعا لى بخير • ثم عرج بنا الى السماء الثانية • فاستفتح جبريل عليه السلام • فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل • قيل : ومن معك ؟ قال : محمد • قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه • ففتح لنا • فاذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صـــلوات الله عليهما • فرحبا ودعوا لى بخير • ثم عرج بى الى السماء الثالثة • فاستفتح جبريل • فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم • قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه • ففتح لنا • فاذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم • اذا هو قد أعطى شطر الحسن • فرحب ودعا الى بخير • ثم عرج بنا الى السماء

الرابعة . فاستفتح جبريل عليه السلام . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيــل : ومن معك ؟ قال : محمد . قال : وقد بعث اليــه ؟ قال : قد بعث اليه . ففتــح لنا . فاذا أنا بادريس . فرحب ودعا لى بخــير . قال الله عز وجل : « ورفعناه مكانا عليا » [ ١٩/مريم/آية ٥٧ ] .

ثم عرج بنا الى السماء الخامســة . فاستفتح جبريل . قيل : من هذا ؟ قال : جبــريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليــه . ففتح لنا . فاذا أنا بهارون صلى الله عليــه وسلم . فرحب ودعا لى بخــير . ثم عرج بنا الى السماء السادســة . فاستفتح جبريل عليه السلام . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم . فرحب ودعا لى بخير . ثم عرج الى السماء السابعة . فاستفتح جبريل . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث اليه؟ قال : قد بعث اليــه . ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم صلى الله عليــه وسلم ، مسندا ظهره الى البيت المعمور . واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليــه . ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى . واذا ورقها كآذان الفيــلة . واذا ثمرها كالقلال . قال : فلما غشيهــا من أمر الله ما غشى تغيرت . فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى . ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . فنزلت الى موسى صلى الله عليــه وسلم . فقال : ما فرض ربك على أمتــك ؟ قلت : خمسين صــلاة . قال : ارجع الى ربك . فاســأله التخفيف . فان أمتك لا يطيقون ذلك . فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم . قال : فرجعت الى ربى فقلت : يا رب ! خفف على أمتى . فحط عنى خمســا . فرجعت

الى موسى فقلت : حط عنى خمسا • قال : ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف • قال : فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد ! انهن خمس صلوات كل يوم وليلة • لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة • ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة • فان عملها كتبت له عشرا • ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا • فان عملها كتبت سيئة واحدة • قال : فنزلت حتى انتهيت الى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته • فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه » •

وساق رواية عن أنس عن أبى ذر رضى الله عنه أثبت فيها شق صدر النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فيقول :

٢٦٣ — (١٦٣) وحدثنى حرملة بن يحيى التجيبى • أخبرنا ابن وهب • قال : أخبرنى يونس عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فرج سقف بيتى وأنا بمكة • فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم • ففرج صدرى • ثم غسله من ماء زمزم • ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا • فأفرغها فى صدرى • ثم أطبقه • ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء • فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا : افتح • قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل • قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم • معى محمد صلى الله عليه وسلم • قال : فأرسل اليه ؟ قال : نعم • ففتح قال : فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة • وعن يساره أسودة • قال : فاذا نظر قبل يمينه ضحك • واذا نظر قبل شماله بكى • قال فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح • قال قلت :

يا جبريل ! من هذا ؟ قال : هذا آدم صلى الله عليه وسلم . وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه . فأهل اليمين أهل الجنة . والأسودة التى عن شماله أهل النار . فاذا نظر قبل يمينه ضحك . واذا نظر قبل شماله بكى . قال ثم عرج بى جبريل حتى أتى السماء الثانية . فقال لخازنها : افتح . قال فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا . ففتح .

وهذا الشق الذى وقع فى تلك الليلة غير الذى وقع له وهو عند السيدة حليمة السعدية فى مرحلة الطفولة أثناء الرضاع ، كما يتضح ذلك من رواية له عن أنس أيضا .. يقول :

٢٦١ — ( .. ) حدثنا شيبان بن فروخ . حدثنا حماد بن سلمة . حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلماء . فأخذه فصرعه فشق عن قلبه . فاستخرج القلب . فاستخرج منه علقة . فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه . ثم أعاده فى مكانه . وجاء الغلمان يسعون الى أمه ( يعنى ظئره ) فقالوا : ان محمدا قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره .

فقد كان يلعب مع الغلمان عند هذا الشق .

وهناك شق ثالث حدث قبل الوحى وهذا ما أشارت اليه تلك الرواية :

٢٦٢ — ( .. ) حدثنا هارون بن سعيد الايلى . حدثنا ابن وهب . قال : أخبرنى سليمان وهو ابن بلال . قال : حدثنى شريك بن عبد الله بن أبى نمر . قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسرى برسول الله

صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة ، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليـــه • وهو نائم فى المسجد الحرام • وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البنانى • وقدم فيه شيئا وأخر • وزاد ونقص •

فمن خلال ما سبق من تلك الرواية نرى أن الرسول جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم — والاسراء وقع بعد الوحى بأكثر من عشر سنوات •

وعلى هذا فان شق صـــدر النبى صلى الله عليـــه وسلم وقع ثلاث مرات :

( ا ) الأولى عندما كان طفلا عند السيدة حليمة السعدية •

( ب ) الثانية قبل أن يوحى اليه •

( جـ ) الثالثة ليلة الاسراء والمعراج •

كما أثبتت بعض الروايات بأنه الى ســدرة المنتهى ، وأدخل الجنة قال : « ثم انطلق بى جبــريل حتى نأتى سدرة المنتهى • فغشيهـا ألوان لا أدرى ما هى • قال : ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك » •

وفى بعض الروايات ذكر أنه رأى أربعـــة أنهار ، نهران ظاهران ونهران باطنان وسأل جبريل عنها ، « فقلت : يا جبريل ما هذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنان فنهران فى الجنـــة ، وأما الظاهران فالنيــل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منـــه لم يعودوا فيه ••• الخ » •

« فأتيت بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق البطن فغسل بماء زمزم ثم ملىء حكمة وايمانا » •

وقد ذكرت بعض الروايات أوصافا للأنبياء الذين قابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فيصف موسى عليه السلام بقوله : « موسى آدم طوال كأنه من رجال شنوءة » •

ويصف عيسى بقوله : « وعيسى جعد مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس » وفى رواية : « كأنما خرج من ديماس » •

ويصف خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام فيقول : « ورأيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وأنا أشبه ولده به » •

ويذكر أنه رأى جبريل عليه السلام فيقول : « ورأيت جبريل عليه السلام فاذا أقرب من رأيت به شبها دحية »[٣] •

فهذا عرض لبعض أحداث الاسراء والمعراج كما وردت فى السنة النبوية الشريفة لبيان ما فيها من الآيات والمكرمات التى من الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته •

وقد وقع الاسراء والمعراج فى السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية ليلة السابع والعشرين من رجب وهى رحلة بالروح والجسد معا ، ولم تكن رؤيا فى منام كما وهم الواهمون ، ولو كان بالروح فقط لما كذبه المشركون من قريش وسائر العرب ، ولما عجبوا له هذا العجب ولما قابلوه بالانكار والجحود والسخرية اذ لا مجال لتكذيب ما رؤى مناما ، وقد

(٣) انظر الاسراء والمعراج : صحيح مسلم كتاب الايمان — باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من ص ٣٨٧ الى ص ٤٠٨ ط الشعب ج ١ ، وصحيح البخارى كتاب الصلاة ، كتاب الحج وسنن النسائى كتاب الصلاة ج ١ ، وسنن الدارمى كتاب الأشربة باب ما جاء فى الخمر ج ٢ ص ١١٠ ط ١ دار الكتب العلمية بيروت •

حاول بعض العلماء المحدثين أن يستدل على أمكان وقوع الاسراء والمعراج بما وصل اليه العلم من مخترعات حديثة تطوى المسافات الشاسعة فى زمن قليل كالطائرات النفاثة التى تسبق سرعتها سرعة الصـوت وكالصواريخ التى تحمل الانسـان الى القمر ثم ترجع الى الأرض •• ولكن أنى لهـم ذلك ؟ ! فلا مجال لمقـارنة قدرات البشر بقدرة الرب جلا وعلا لأن تلك المخترعات تقوم على أسباب ومقومات ، وما دام الشىء قد قام على أسباب فلا يدعو للعجب(٤) ••

والحـديث عنها حديث عن معجزة بكل المقاييس ، فالآية فى سورة الاسراء أعلنت أن الذى أسرى هو الله بقدرته وعظمته ••

والرحلة تحتوى على : مسرى وهو الله ، ومسرى به وهو رسول الله وغاية من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وعلة لتلك الرحلة « لنريه من آياتنا » ورؤية الآيات هى الغاية العليا والهدف الأسمى من تلك الرحلة وقد أكدت ذلك سورة النجم « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » •

**١ — دلالة الاسراء الى بيت المقدس :**

يرى القارىء أن الله ذكر قصة الاسراء فى آية واحدة فقط ثم أخذ فى ذكر فضائح اليهود وجرائمهم ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، وربما يظن القارىء أن الاثنين ليس بينهما ارتباط والأمر ليس كذلك فان الله تعـالى يشير بهذا الأسـلوب الى أن الاسراء انما وقع الى بيت المقدس لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الانسانية لما ارتكبوا من الجـرائم التى لم يبق معها مجال لبقائهم على هـذا المنصب وان الله سينقل هذا المنصب فعلا الى رسوله صلى الله عليه وسلم ويجمع له بين مركزى الدعوة الأبراهيمية كليهما فقد آن الأوان لانتقال القيادة الروحية

---

(٤) انظر القول المبين — النجار •

من أمة الى أمة ، من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والاثم والعدوان الى أمة تتدفق بالبر والخيرات ولا يزال رسولها يتمتع بوحى القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم ولأجل هذه الحكمة نرى الاسراء انما وقع قبيل بيعة العقبــة الأولى أو بين العقبتين[٥] .. فكأن المكنة فى الأرض لا تكون الا بالاستقامة على أمر الله وقيــادة الأمم لا يتحقق الا باقامة الحق والعدل وهذا ما تحقق لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول النـــدوى : .. أعلنت السورتان اللتان نزلتا فى شأن الاسراء والمعراج أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبى القبلتين وامام المشرقين والمغربين ودارت الأنبياء قبله ، وأمام الأجيال بعده فقد التقت فى شخصه، وفى اسرائه مكة بالقدس ، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى وصلى الأنبياء خلفه فكان هــذا ايذانا بعموم رسالته وخلود امامته وانسانيــة تعاليمه ، وصلاحيتها لاختلاف الزمان والمكان وجاء الاسراء والمعراج خطا فاصلا بين الناحيــة الضيقة المحلية المؤقتــة وبين الشخصية النبــوية الخالدة العالمية[٦] ..

مما دلت عليه تلك الرحلة : عالمية الدعوة الاسلامية ــ وقيادة الأمة لســائر الأمم وأن الاسلام مصــدق ما قبله من الرسالات السماوية السابقة .

(٥) انظر الرحيق المختوم ص ١٦٠ .
(٦) السيرة النبوية ــ السيد أبو الحسن على الندوى ص ١١٧ .

## المبحث الثانى

## القيمة الدعـــوية للاسراء

كانت للاسراء والمعراج قيمة فى طريق الدعوة نوجزها فيما يلى :

١ — التخفيف عن النبى صلى الله عليه وسلم : حيث كانت بعد وفاة عمه أبى طالب وزوجته السيدة خديجة وكانا يمثلان الحماية الخارجيـــة والداخليـــة له صلى الله عليه وسلم ، فكان عمه حماية خارجيـــة ، وكانت خديجة حماية داخلية فى البيت — وقد امتدت أيدى المشركين بالأذى الى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة عمه •• وكانت تلك الرحلة تخفيفا عن النبى صلى الله عليه وسلم وترويحا عن نفسه وزيادة فى يقينه بأن الله معه بتأييده ونصرته •

٢ — تجديد نشاط الداعى : كانت الاسراء والمعراج فى منتصف فترة الرسالة التى مكثت ثلاثة وعشرين عاما ، وبذلك كانا علاجا لمسح متاعب المضى ، ووضع بذور النجاح للمستقبل •• فبعدها استمد النبى صلى الله عليـــه وسلم طاقة جديدة لمواصلة مســـيرة الدعوة والتقدم بها وتأسيس دولتها بالمدينة بعد الهجرة اليها •

٣ — تأكيد أواصر القربى بين كل الأنبياء : وهذا المعنى من أصول الاسلام وصلب العقيـــدة ، قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » والتحيات المتبادلة بين النبى صلى الله عليه وسلم وأخوته السابقين توثق هذه الآصرة ، ففى كل سماء أحل الله فيها أحد رسله ، كان النبى يستقبل فيها بهذه العبارة : مرحبا بالأخ الصالح والخلاف بين الأنبياء وهم صنعته الأمم الجائرة عن

السبيل السوى أو بالأحرى صنعه الكهان والمتاجرون بالأديان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أظهر أنه نبى مرسـل لتكميل البناء الذى تعهده من سبقوه ومنع الزلازل من تصديعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مثلى ومثـل النبيين من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملهـا الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » .

فكل الأنبياء على طريق واحد ، رسالتهم واحدة ودينهم واحد .

٤ — الفتنـة والاختبار : وذلك لأن النبى صلى الله عليـه وسلم لما أخبر قريشا بما رأى صباح الاسراء ، فلما أصبح غدا على قريش وأخبرهم الخبـر فقال أكثر الناس « هذا والله الأمر البـين ، والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة ؟ ! فارتد كثير ممن كان أسـلم وذهب الناس الى أبى بكر ، فقـالوا له : « هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه جاء هذه الليـلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة » فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صـدق فما يعجبكم من ذلك ، فوالله انه ليخبرنى أن الخبر ليأتيـه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليـل أو نهار فأصدقه ، فهذا أعجب مما تعجبون منه » .

قال ابن هشـام : وأنزل الله فيمن ارتد عن اسـلامه « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ».

٥ — بعض التشريعـات : وبالاضافة الى ما سـبق فان هناك بعض التشريعات التى تمت من خلال الأحداث ، ومنها ما شرع مباشرة من الله تعالى من ذلك : آداب الاستئذان : حيث كان جبـريل يستفتح كل سماء

فيقال له : من الطارق ؟ فيقول : جبــريل ، فيقال : ومن معك ؟ فيقــول : محمد ، فيقال : أو قد بعث ؟ فيقول : نعم ‥ وهذا يرينا بوضوح وجلاء ما يجب أن يراعى عند دخول البيوت وضرورة الاستئذان على أهلها •

كما أن فيها الاشـــارة الى ضرورة مصاحبـــة الغريب والتعريف به وارشاده وهذا ما تم فى صحبة جبـــريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يعرف به الأنبيـــاء ويعرفه بالأنبياء صلوات الله عليهم ويســـلم عليه ويسلمون عليه •

وفيه أيضا فرضية الصلاة على الأمة خمسين صلاة فى اليوم والليلة وصارت فرضا خمسا فى الفعل خمسين فى الأجر ‥ وهذه اشـــارة الى اعادة فرض الصلاة فى السماء بعد أن فرضت فى الأرض تأكيد على فضلها وأنها معراج المؤمن وسمو روحه •

٦ ـــ كما أن فيها اشـــارة الى الأسلوب الأمثل فى سلوك طريق الله ـــ جلا وعلا ـــ وهى أن من أراد أن يسلك سبيل الطاعة ويمضى فى طريق الله تعالى عليـــه أن يطهر قلبه من كل ما سوى الله فرسول الله صلى الله عليـــه وسلم قد شرح الله صدره عنـــدما جاءه جبريل فشرح عن صدره كما تقول الروايات ، فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح عن صدرى ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت »[٧] أى غسل قلبـــه بعد أن شق عليه ليصـــل الى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام •

فمن أراد التوبة والرجوع الى الله فليطهر قلبه بالتوبة والاستغفار والندم على ما سلف ـــ والا فلا قيمة لاعلانه التوبة وهو قائم على الذنب فالتخلية قبل التحلية •

---

(٧) الحديث رواه مســـلم عن انس ـــ كتاب الايمـــان ـــ باب الاسراء برسول الله •

٧ — الاسراء معجزة بكل المقاييس : وأخيرا فان الحديث عن الاسراء والمعراج ليس مجرد سرد للأحداث وانما تقرير لمعجزة وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم •• ودليل على صدقه وصدق نبوته فأمام أحداثها لا يملك المتأمل الى أن ينسبها الى القدرة الالهية التى لا تخضع لأحكام عقول البشر القاصرة •• ففى تلك الرحلة تم اجتياز حاجز الزمن والمسافة ، فما كانت تقطعه الابل فى شهرين ذهابا وايابا يقطعه رسول الله على البراق فى أقل من ليلة ، وما رآه من مشاهد وما ناله من تكريم لا يصل اليه بشر وانه قد نال لتلك المكانة فى اطار العبودية والخضوع لله ، حيث يقول تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده » ولم يقل أسرى بنبيه أو برسوله أو بحبيبه •• لأن تلك الكرامة كانت فى اطار تكريم الله لعبده المطيع •

وعندما ناقشه القوم صبيحة الاسراء •• كانت مناقشتهم مقبولة عقلا ومطابقة لواقعهم العادى وقد قارنوا اسراء الرسول صلى الله عليه وسلم بأسفارهم أى قارنوا قدرته بقدرتهم وقد غاب عنهم أن فاعل الاسراء ليس هو الرسول صلى الله عليه وسلم وانما هو الله تعالى بقدرته لا بقدرة النبى صلى الله عليه وسلم •• فالنبى لم يسر بنفسه ولكن أسرى الله به •• وما دام الذى أسرى هو الله فلا وجه للمقارنة ولا مجال للمناقشة •

٨ — الأخذ بالأسباب : وهذا تعليم لكل مسلم أن يأخذ بالأسباب العادية التى خلقها الله تعالى لتحقق النتائج التى يرجوها فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه ربط البراق فى الحلقة التى كان يربط بها الأنبياء•• وهنا نتساءل لماذا ؟ ان البراق أتى لمهمة محددة هل نقل النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وبالعكس •• فلن يترك المكان حتى يؤدى مهمته ، لكن النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نأخذ

بأســباب الحفظ والأمان •• فان الدواب اذا أهملت شردت واذا عقلت بقيت •• فربطه النبى صلى الله عليــه وسلم حتى لا يشرد •• وعلم ذلك لأعرابى جاءه على بعير ثم شرد البعير وقال انى توكلت على الله •• فقال له النبى صلى الله عليــه وسلم : « اعقلها ثم توكل » • وهــذا المعنى ينسحب على كل شئون الحياة •• فالتوكل لا يعنى ترك الأسباب ، وانما هو الأخذ بالأسباب ثم ترك النتائج لله تعالى •

٣ — دين الفطرة : كما أن فى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم قدح اللبن التى حمله اليه جبريل مع قدح الخمر ، وشرب منه الا قليــلا ورد عليه جبــريل « اخترت الفطرة » وفسرت الفطرة هنا بأنها الاستقامة ، وأنها الاســلام •• فى هذا دلالة على أن تشريعات الاسلام تفيد البشر وتصلح من شأنهم وتوفر لهم السعادة والأمن والاستقرار وهذه كلهــا مطالب فطرية لدى الانسان وكما أن اللبن يفيد الجسم ويغذيه بدون أى تدخل من بشر ، فان التشريعات الاسلامية تفيد البشر اذا لم تتدخل فيها أهواء البشر وميولهم الخاصة فان السعادة تتحقق بالامتثال والطاعة وترك الهوى وطريق الشيطان والبعد عن الضلالات والأباطيل •

وأخــيرا فان الاسراء والمعراج معجــزة وتشريع وترويح عن نفس النبى صلى الله عليــه وسلم وهى منعطف وعلامة على طريق الدعوة الى الله تعالى •

* * *

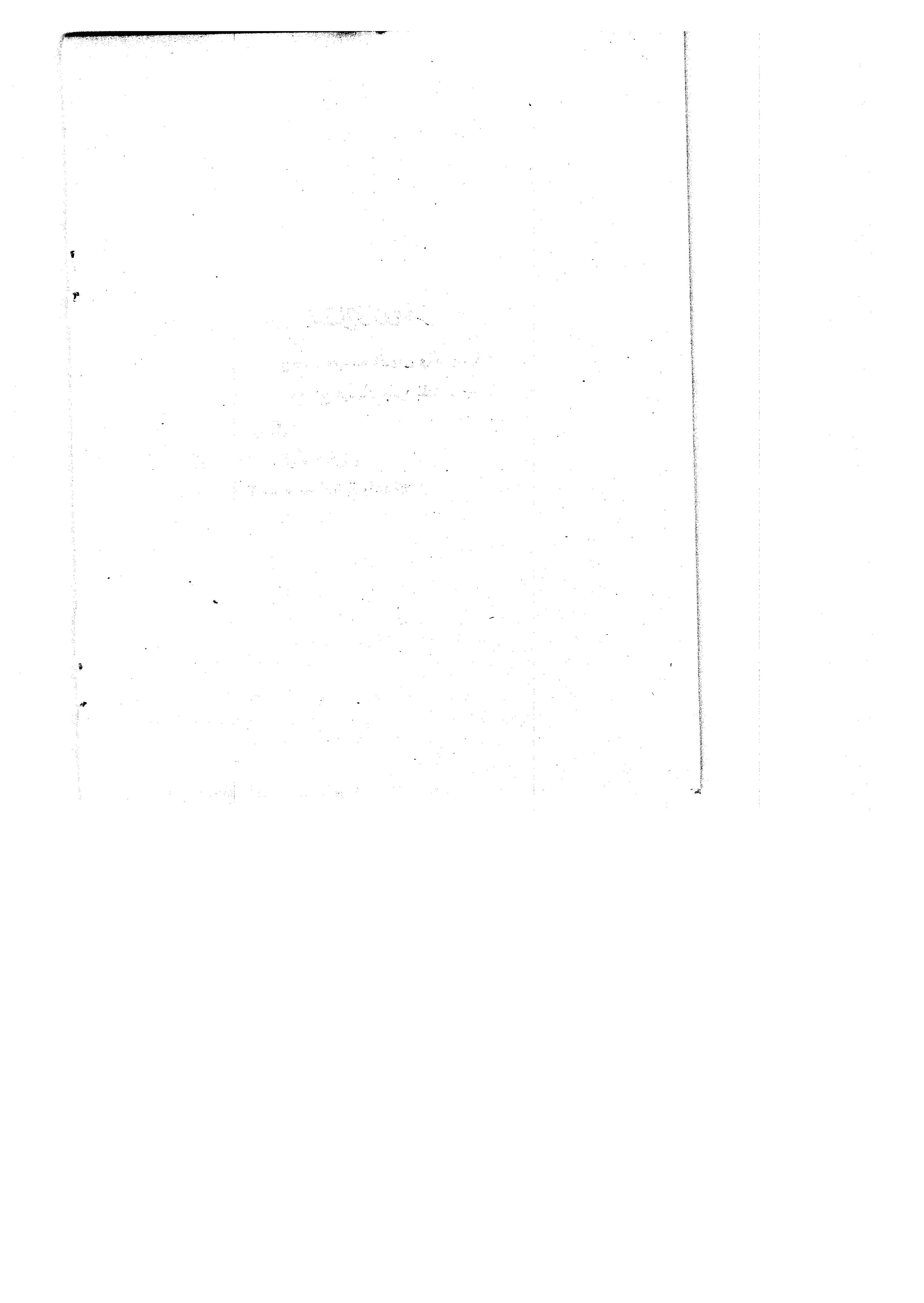
# الفصل الحادى عشر

## بيعتا العقبة الأولى والثانية
## ومطلع عهد جديد للدعوة

ويشمل :

١ ـ البيعة الأولى ٠

٢ ـ البيعة الثانية وأهميتها ٠



## من صور النشـــاط الدعوى

## بيعتا العقبـــة الأولى والثانيـــة

وهاتان البيعتان من نشاط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الدعوة فى عرض نفسه على القبائل .

ففى موســـم الحج عام أحد عشر من البعثـــة وجدت الدعوة بذورا صالحة سرعان ما تحولت الى شجرات باسقات اتقى المسلمون فى ظلالها الوارفة من نفحات الظلم والطغيـــان طيلة أعوام ، وكان من حكمته ازاء ما يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله أنه كان يخرج الى القبـــائل فى ظلام الليـــل حتى لا يحول بينـــه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين ، وقد عرض دعوته على بنى شـــيبان الذين أجابوا بأرجى الأجوبة ولكن توقفوا فى قبول الاسلام وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقبـــة منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فقصـــدهم حتى لحقهم وكانوا ســـتة ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعون بن الحـــارث ، ورافع بن مالك ، وقطبـــة بن عامر ، وعقبة بن عامر ، وجابر بن عبد الله . وكان من سعادة أهل يثرب أنهم كانوا يسمعون من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان سيخرج فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما لحقهم الرســـول صلى الله عليه وسلم أى لحق بالنفر الستة . قال : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : من موالى اليهود ؟ أى من حلفائهم ، قالوا : نعـــم ، قال: أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلســـوا معه فشرح لهم حقيقة الاسلام ودعوته ودعاهم الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله يا قوم انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا تسبقكم اليه ، فأسرعوا الى اجابة دعوته وأسلموا .

يا ســـبحان الله ! لقد قيض الله اليهود ليكثروا من ذكر بعثة النبى صلى الله عليـــه وسلم أمام الأوس والخزرج مما هيأهم نفســـيا لقبول دعوته واعلان اســـلامهم وتصديقهم لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم فالله تعالى قد هيأ للاســـلام ليتم اعلاء كلمة الحق بنصرة أهل المدينـــة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ضاقت السبل فى مكة وأهلها ..

وهذه لمحة يجب على كل أصحاب الدعوات أن ينتبهوا لها وهى أنه لا يأس فى تبليغ الدعوة ، ولا قنوط من استجابة الناس ولو بنسب قليلة وايجابية بسيطة وما على الدعاة الا الثبات والصبر حتى يأتى نصر الله .

وبعد أن أســـلم هؤلاء النفر الكريم عادوا الى يثرب حملوا اليهـــ رسالة الاسلام حتى لم يتبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر رســـول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

## المبحث الأول

## البيعـــة الأولى

بعد أن حمل هؤلاء الستة الدعوة الى أقوامهم وقبائلهم جاء فى موسم الحج التالى فى العام الثانى عشر من البعثة النبوية اثنا عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الذين كانوا اتصلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبعة آخرون وهم : معاذ بن الحارث ، وذكوان بن عبد القيس ، وعبادة ابن الصـــامت ، ويزيد بن ثعلبة ، والعباس بن عبـــادة ، وأبو الهيثم بن التيهـــان ، وعويم بن ســـاعدة — والأخيران من الأوس والبـــاقى من الخزرج .

وقد اتصل هؤلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة بمنى وبايعوه بيعة النساء — أى وفق بيعتهن التى نزلت عند فتح مكة :

وقد روى البخارى عن عبـــادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تعالوا بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتـــلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا فســـتره الله فأمره الى الله ان شاء عاقبه وان شـــاء عفا عنه ، قال — فبايعته على ذلك — وفى رواية : « فبايعناه على ذلك »[٢] .. وبعد تمام البيعة أرسل معهم من يعلمهم دينهم ويفقههم فيه ولينشر الاسلام

---

(١) انظر الرحيق المختوم — المباركفورى — ص ١٥٣ .

(٢) رواه البخارى — باب حلاوة الايمان — باب وفود الأنصار .

بين الذين لا يزالون على الشرك وكان هذا السفير مصعب بن عمير — الذى نجح فى دعوته بيثرب وقد هيأ الجو للهجرة(٣) .

ومما قيل فى سبب تسمية تلك البيعة بيعة النساء : أنه لم يكن فيها بيعة على القتال وربما سميت بذلك لوجود عفراء بنت عبيد الله بن ثعلبة بها وهى أول امرأة بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم(٤) ..

(٣) المباركفورى — الرحيق المختوم ص ١٦٢ مع تصرف خفيف — وانظر ابن هشام .

(٤) خلاصة الأثر فى سيرة سيد البشر — الشيخ عساف — ص ٥٧ .

## المبحث الثانى

## العقبـــة الثانيـــة

وفى العام التالى رجع مصعب بن عمير وخرج عدد من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما فرغوا من الحج ومضى ثلث الليل اجتمعوا فى الشعب عند العقبة وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من النساء وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العبـاس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه وتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ودعا الى الله ورغب فى الاسلام ، ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه واستوثقوا منـه ألا يدعهم ويرجع الى قومه ، فوعد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم منى وأنا منكم أحارب من حاربتم وأســالم من سالمتم واختار الرسول صلى الله عليـه وسلم منهم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس »(٥) .

### أهمية البيعة وخطورتها :

بعد أن تمت المحادثة حول شروط البيعة وأجمعوا على الشروع فى عقدها ، قام رجلان من الرعيل الأول ممن أسلموا فى مواسم سنتى احدى عشر وثانى عشر من البعثـة قام أحدهما تلو الآخر ليـؤكد كلاهما للقوم خطورة المسئوليـة حتى لا يبايعوه الا على جلية من الأمر ووضـوح ، وليعرفا مدى اسـتعداد القوم للتضحية ويتـأكدا من ذلك • ويذكر ذلك ابن اسحاق فيقول : لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن فضله :

(٥) السـيرة النبوية — الندوى — ص ١٣٤ ، وانظر السـيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٩٢ وما بعدها .

هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتوه فمن الآن ، فهو والله ان فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، قالوا : فان نأخذه على تهلكة الأموال وقتل الأشراف ، فمالنا بذلك يا رسول الله ؟ قال : الجنة ، قالوا أبسط يدك ، فبسط يده فبايعوه »[٦] .

**الشيطان يكشف المعاهدة :**

وقد كشف الشيطان أمر تلك البيعة فعندما تمت اكتشفها أحد الشياطين وحيث جاء الاكتشاف فى اللحظة الأخيرة ولم يكن يمكن ابلاغ زعماء قريش هذا الخبر سرا ليباغتوا المجتمعين وهم فى الشعب قام الشيطان على مرتفع من الأرض وصاح بانفذ صوت سمع قط : « يا أهل الجباجب — المنازل — هل فى محمد والصباة معه ؟ اجتمعوا على حربكم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أزب العقبة أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك • ثم أمرهم أن ينفضوا الى رحالهم[٧] ..

وكانت هذه بيعة الحرب حيث أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال وشرط شروطا سوى شرطه فى بيعة النساء التى كانت على بيعة النساء فى العقبة الأولى لأن الله لم يكن قد أذن لرسوله فى الحرب ، فلما أذن له فيها وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة •

---

(٦) الرحيق المختوم — نقلا عن ابن هشام •

(٧) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٧٢ ، وانظر السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة — لأبى شهبة ص ٤٤٤ — وانظر القول المبين — النجار — ص ١٣٠ •

**العقبة الكبرى :**

وهذا الوصف للبيعة الثانيــة أى بيعة العقبة الكبــرى حيث تمت فى جو تعــلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشتات المؤمنــين والثقة والاستبسال والشجاعة فى هذا السبيل ، فمؤمن من أهل يثرب يحنو على أخيه المستضعف فى مكة ويتعصب له ، ويغضب من ظالمه وتجيش فى حناياه مشاعر الود لهذا الأخ الذى أحبه بالغيب فى ذات الله •

ولم تكن هذه المشــاعر والعواطف نتيجة نزعة عابرة تزول على مر الأيام ، بل كان مصدرها هو الايمان بالله وبرسوله وبكتابه ايمان لا يزول أمام أية قوة من قوات الظلم والعــدوان ، ايمان اذا هبت ريحــه جاءت بالعجائب فى العقيــدة والعمل ، وبهذا الايمان استطاع المســلمون أن يســجلوا على أوراق الدهر أعمالا ويتركوا عليهــا آثارا خلا عن نظائرها الغابر والحاضر وسوف يخلو المستقبل[8] •

ان مشركى مكة ظنوا وحســبوا أنهم حصروا الاســلام فى نطاق لا يعدوه وأرهقوا المســلمين حتى شغلوهم بأنفسهم فناموا نومة المجرم الذى اقترف الاثم وأمن القصاص •• أجل ففى هذه الليلة تحالف جنــد الحق أن يقصموا ظهر الوثنيــة وأن ينتهوا بالجاهلية ورجالهــا الى الفناء •

وبهذه البيعــة وما تم فيها من عهد وما كان من حب وود والتــزام بالعقيدة •• توفر للاسلام والدعوة اليه مناخ جديد تنمو فيــه وتترعرع وتبسق أشجارها لتظلل العالم كله بظلها الوارف فى العهد المدنى فى مرحلة ما بعد الهجرة ••

(٨) انظر الرحيق المختوم ص ١٧٢ — وانظر فقه السيرة للغزالى — ص ١٦٢ •

## وســـائل النشر

نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك فى دعوته عدة طرق تبين حرصـــه على النجاح فى دعوته •• من خلال ما ســـبق نرى أن تلك الأساليب كما يلى :

( ا ) الاتصـــال الفردى والجماعى : وذلك من خلال عرض الاسلام على الأشخاص والقبـــائل مجتمعة وقد تبين ذلك من خلال ما ســـبق حتى أسفر عن بيعتى العقبة الأولى والثانية •

( ب ) السرية والجهرية : وهذا على نحو ما سبق من بيان أن مرحلة السرية كانت اعـــدادا وركيزة للانطلاق فى المرحلة الجهـــرية التى تبعثها المقاومة الشرسة من قريش للدعوة •• وكانت مرحلة السرية تكوينا لركيزة من المؤمنين الصابرين المتحملين للأذى مع تمسكهم بدينهم وعقيدتهم •

( جـ ) الجمـــع بين الترهيب والترغيب : وســـلك النبى فى هذا عدة أساليب ووسائل أكدت أن الخوف والعذاب للمخالف •• والثواب للمؤمن الطائع •

( د ) القول والفعل : فكان يبلغ بالكلمة ويشرح دعوته •• مع تطبيق ما يقول واتخاذه أسلوبا له •

كما كان عليه الصـــلاة والسلام حركيا فى دعوته وتبليغـــه ـــ فلم يعكف فى مكان معين يأتى فيـــه اليه من يريد الاسلام ، وانما كان ينتقل بدعوته من مكان الى مكان ويخـــاطب المدعوين فى كل المناســـبات وينتهز التجمعات فى مختلف المناسبات والأحوال كمواسم الحج والأسواق لعرض دعوته عليهم ••

فعلى الدعاة الاصرار على دعوتهم والانتقال بهـا وتنويع أساليبها فى كل موقع بما يلائمه — وأن يجعلوا سيرة النبى صلى الله عليه وسلم مصـدرا لذلك بالاضافة الى كتاب الله وتأمل مناهج الرسـل فى دعوات أقوامهم فى كل أطوار الدعوة .

* * *

# الخـاتمة

وبعـد •• فقد كانت تلك الدراسـة الموجزة لبيان المواقف الدعوية من خلال السـيرة النبوية •• والتى توصلنا من خلالهـا الى العديد من التوجيهـات للدعاة فى مختلف مواقف السـيرة فى صورة تعليقات على الأحداث •• ليكون دعاة الحق دائما على بينة من أمر دعوتهم وبصيرة من أمرهم •• وذلك كما يلى :

١ — وضوح الفكرة فى أذهانهم بأن يكونوا على علم تام بما يدعون اليه ويبلغونه عن الله •

٢ — أن للحق أعـداء يصدون عنـه ويكيدون لأهله ويعارضـونه بالقول والفعل والتخطيط الدقيق من أجل ذلك •

وهذا يتطلب من الدعاة أن يكونوا من أهل العلم والخبرة والدراية بسياسـة الأمور وأن يخططوا هم أيضا للوصول بدعواتهم الى أهدافها والصبر على اجتياز العقبات •

٣ — ان الله ناصر الحق ومؤيد أهله وهـذا يتطلب عمق الايمـان والصبر فقد يمرون ببعض الابتلاءات والمحن •• وصدق العقيدة والصبر

وان أعداء الاسلام لن يستطيعوا النيل من الاسلام كدين — ولكنهم قد ينالون بعض الشىء من المسلمين أنفسهم ولكن الى حين •

٤ — التدرج فى دائرة التبليـغ والدعوة بما يلائم مقتضى الحال مع الايقان بأن الاسلام دين عالمى خالد « وان طائفة من الأمة لا تزال قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » •

وعالمية الاســـلام هذه يؤكدها كل متتبع لسير الدعوة فى العهد المدنى — وهذا موضوع دراستنا القادمة فى الكتاب القادم ان شاء الله — وأسأل الله التوفيق والقبول • وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

دكتور جلال ســعد البشار

المدينة المنورة فى ٢١ شوال ١٤١٢
٢٤ ابريل ١٩٩٢

# فهـــرس المراجـــع

## ( أهم المراجع )


١ ــ القرآن الكريم ..

٢ ــ فتح البارى ــ بشرح صحيح البخارى ــ ابن حجر العسقلانى ط دار الفكر .

٣ ــ صحيح مسلم بشرح النووى ــ ط دار الفكر .

٤ ــ تحفة الأحوذى ــ شرح الترمذى ــ ط دار الفكر للطباعة والنشر .

٥ ــ سنن الدارمى ــ ط دار الكتب العلمية .

٦ ــ أسباب نجاح الدعوة الاسلاميــة فى العهد النبوى ــ عبد الله بن محمد آل موسى ــ ط عالم الكتب ــ الرياض .

٧ ــ احياء علوم الدين ــ أبو حامد الغزالى ــ ط الشعب .

٨ ــ تاريخ الأنبياء ــ ابن كثير ــ م الحلبى .

٩ ــ تاريخ الطبرى ــ ط دار سويدان ــ بيروت لبنان .

١٠ ــ تاريخ العالم الاســلامى ــ العرب قبل الاســلام ــ د/محمود محمد زيادة .

١١ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ط الحلبى .

١٢ ــ تفسير الكشاف ــ الزمخشرى ــ بيروت .

١٣ ــ تفسير القرطبى ــ ط الريان ــ مصورة من ط الشعب .

١٤ ــ تفسير النسفى ــ ط محمود صبيح .

١٥ ــ خاتم النبيين ــ الامام محمد أبو زهرة ــ ط دار الفكر العربى .

١٦ ــ خلاصة الأثر فى سيرة سيد البشر ــ الشيخ أحمد عساف .

١٧ ــ دراسات فى السيرة النبوية ــ د/محمد الطيب النجار .

١٨ — دلائل النبوة للأصبهانى — ط دار المعرفة — بيروت لبنان •

١٩ — الدعوة الاسلامية — مناهجها — وأساليبها — د/أحمد غلوش — دار الأنصار •

٢٠ — الروض الأنف — السهيلى — ط دار المعرفة •

٢١ — الرحيق المختوم — صفى الدين المباركفورى — ط — رابطة العالم الاسلامى •

٢٢ — زاد المعـاد فى هدى خير العبـاد — ابن القيم — ط مؤسسـة الرسـالة •

٢٣ — السيرة النبوية — ابن هشام — تحقيق طه عبد الرؤف — ط دار الجيل — بيروت •

٢٤ — رسالة التوحيـد — الامام محمد عبـده — ط معهد الدراسات الاسلامية •

٢٥ — السيرة النبوية — فى ضوء الكتاب والسنة — د/محمد أبو شهبة — ط دار القلم — دمشق •

٢٦ — السيرة النبـوية — السيد أبو الحسن على النـدوى — ط دار الشروق — جدة •

٢٧ — السيرة النبوية — ابن كثير — ط دار الفكر — بيروت •

٢٨ — الطبقات الكبرى — ابن سعد — ط دار بيروت للطباعة والنشر •

٢٩ — علم النفس التربوى — الابراشى ، حامد عبد القادر ••

٣٠ — علم النفس الاجتماعى — د/حامد زهران •

٣١ — فصول فى سيرة الرسول — ابن كثير — ط دار الكتب العلمية •

٣٢ — فى ظلال القرآن — سيد قطب — ط دار الشروق •

٣٣ — فقه السيرة — الشيخ محمد الغزالى — ط دار الكتب الحديثة •

٣٤ — فقه السيرة / البوطى — ط دار الفكر •

٣٥ — القول المبين فى سيرة سيد المرسلين — د / الطيب النجار — ط دار اللواء — السعودية — الرياض .

٣٦ — لسان العرب — ابن منظور — .

٣٧ — مباحث فى الدعوة ومناهجها ورجالها — د/عبد الخالق ابراهيم — ط .

٣٨ — مختار الصحاح .

٣٩ — مختصر سيرة الرسول — عبد الله النجدى .

٤٠ — محمد رسول الله — محمد الصادق عرجون — ط دار القلم .

٤١ — المعجم الوسيط — ط دار احياء التراث العربى .

٤٢ — نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين — محمد الحضرى بك .

٤٤ — هداية المرشدين — الشيخ على محفوظ — ط دار الاعتصام .

## فهرس الموضـــوعات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

رقم الايداع ٧٣٥٢ لسنة ١٩٢٢

I. S. B. N. 977 - 00 - 3814 - x

**دار أبو المجد للطباعة**